الإسلام والمصطلحات المعاصرة

أنور الجندي



الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م


بسم الله الرحمن الرحيم



مدخل عام

دلالات الألفاظ والمصطلحات

إن اخطر ما يواجه التأصيل الإسلامي استعمال مصطلحات الغرب التي شكلها في معاركه المختلفة وتحدياته المتعددة خلال عصور مختلفة ارتبطت بالفكر الهليني وبالفكر المسيحي الكنسي ثم بالفكر المادي في العصور الأخيرة ثم جاءت لتنقل نقلا إلى اللغة العربية وإلى أفق الفكر الإسلامي لتحاول التعبير عن تصور مختلف اختلافا عميقا وفي هذا من الخطر ما فيه، ذلك لأن الكلمات والألفاظ عندما تنقل من لغتها الأجنبية التي ولدت فيها إلى لغات أخرى فإنها تفقد كثيرا من مفهومها ويقع فرق كبير بين مفهومها الحقيقي الأول وبين ما يجرى محاولة تصوره، ويرى السيد أبو الحسن الندوى أن للألفاظ والكلمات رحلة تاريخية كرحلة القوافل البشرية ورحلة الحضارات التي تفقد كثيرا من طراوتها ونضارتها عندما تقوم بهذه الرحلة وتتفاعل مع أشياء جديدة.

ولا ريب أن الإعلام الغربي الموجه للبلاد العربية والإسلامية يريد التركيز على مصطلحات معينة في سبيل الفصل بين مفاهيم الإسلام وإبعادها عن مجرى الحياة الاجتماعية ومنها مصطلحات قد لا يلتمس تأثيرها في وقت قريب .

(١) من هذه المصطلحات (الشرق الأوسط) حتى لا يقال الوطن العربي أو الأمة الإسلامية وحتى تدخل فيه إسرائيل فتؤثر تأثيرا كبيرا.

فالمصطلح الإسلامي وهو العالم الإسلامي أو الشرق الإسلامي يبين عقيدة شعوب المنطقة فشعوب المنطقة، الإسلامية أكثر تعلقا بالعقيدة الإسلامية من تعلقها برابطة الدم وبذلك تبعد إسرائيل من هذا المجال وهناك مداخلات كثيرة

يراد بها انتفاض المسلمين تبدو خلال التعبيرات والمصطلحات ، فهناك التركيز على وصف المسلمين بالبداوة مع إن البدو لا يشكل إلا أقل من ١٠% وهناك النقص المتعمد لإعداد المسلمين .

وهناك محاولة استثارة الشفقة على البهائية فى إيران والقاديانية فى باكستان واليهود فى فلسطين المحتلة لتؤدي كل منها دورها فى تفريق المسلمين.

(٢) ومن اكبر الأخطاء التي تواجهنا (تفريغ المعـــاني) مـــن مدلولاتهـــا الحقيقة باستخدام لغة ملتوية أو منافقة وهناك نقل مصطلحات العلـــم التجريـــي ومفاهيم البيولوجيا إلى التعبير بها عن أوضاع ومواقف فى المجتمع ، ومن ذلـــك : نظرية التطور والنسبية وتنازع البقاء والبقاء للإصلاح.

وقد استعملت هذه المصطلحات فى الفكر الغربي وفـــق أغـــراض معينـــة واستطاعت أن تقدم تصورات هي فى طبيعتها تتعارض مع التصورات الإســـلامية التي تملك مفهوماً متميزاً يقوم على أساس قاعدة الثوابت والمتغيرات.

ولا ريب فى أن لكل مصطلح ملابساته الخاصة التي لا تكاد تفارقه ولـــه ظلاله التي تلازمه فإذا استعرنا مصطلحا من مجتمع أو بيئة فإن ذلك المصطلح لا يدل على حدها العلمي المنطقي المكتوب فى الكتب فقط بل تأتى معه ملابساته وظلاله سواء أحببناها أم كرهناها ولذلك نرى أن الإســـلام وفكـــره ومنهجـــه الثقافي الكامل الجامع يبدو دائماً متمسكاً بمصطلحاته التي قصر عليها كـــإصراره على أوامره ونواهيه ومبادئه لا يرضى عنها بديلاً.

هذا فى نفس الوقت الذي يبدو واضحا فيه قصور المصطلحات ونقصـــها عن أن تستوعب مفاهيمنا فالمصطلحات الحديثة قـــاصرة وناقصـــة فـــهي لا تستوعب جميع الجوانب للمفاهيم الإسلامية. بل إن كثيراً مـــن المصطلحـــات الغربية ليست قاصرة فحسب ولكنها مضللـــة كذلـــك (وفيـــها مصطلـــح

الديمقراطية التي تسمى حكم الشعب بينما هي حكـــم طفـة استطاعت أن تسيطر) وإلى جانب ذلك فإن الديمقراطية ليست مقيدة بمنهج إلهـي أو أخـلاق إنسانية، كذلك أن كلمه (النظام) فإن إطلاقها يجرنا إلى مفهوم النظم المادية التي ابتكرها الإنسان وهنا يختلف الموقف مع النظام الإسلامي الذي يستمد مفهومـه من كلمتي الدين والإسلام والذي يتمثل في أحكام الإسلام السياسية والاقتصادية ولا يتصور تحقيقها إلا مع الإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر والوحي والغيب.

***

وفى مجال مصطلحات الغرب نجد مصطلحات الحق الإلهـي والتفويـض الإلهي والدولة الثيوقراطية ورجال الدين وهذه كلها تصور وضعاً تاريخياً وجد فى الغرب ولا صلة له بأي مجتمع آخر وهو ما يتعلق بالصلة التي كانت بين الكنيسـة وبين الملوك وتولياهم وعزلهم فالثيوقراطية مثلا هي الحكومة الدينية التي لم يعرفها الإسلام أبداً وخلاصة مفهوم الحق الإلهي أن الحاكم غير مسئول أمام الشعب لأنه يستمد سلطته من الله. وليس ذلك فى الإسـلام الـذي يقـرر أن الحـاكم راع ومسئول عن رعيته ومن هنا فإن علينا أن نفهم مصطلحات كل فكر فى إطـاره الخاص حتى لا نخضع نصوص القرآن أو نصوص السنة إلى مفاهيم وافدة تحمل من الكلمات ما يستعمل لغرض غير مفهومها الأصيل وفى هذا المعنى يقول دكتـور مروان قباني : "أننا يجب أن نحكم اللغة العربية فى فهم النصوص وعدم الخـروج عما كان يفهمه ويعرفه الصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم من دلالات الألفاظ والتراكيب وفى هذا قضاء على التأويلات الباطنية والتعبيرات البعيـدة الـتي لا توافق بمجال أساليب اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها فلا غرابه إذا أن نجد صعوبة فى الترجمة والتعريب للألفاظ الدينية الصرفه "

***

ومن مصطلحات الغرب: الأحياء، التنوير، النهضة، الإصلاح، الليبراليـــة، العلمانية، وكلها مصطلحات غربية وضعت فى ظروف خاصـــة، والإســـراف فى إستخدامها فى أفق الإسلام والفكر العربي فيه خطر كبير. أما عصر التنوير فهو العصر الذي غلب فيه في الغرب دعاة الإلحاد وإخراج النـــاس مـــن مفـــاهيم المسيحية خاصة والدين عامة.

ويحاولون خطأ وظلما تصوير العصر الحديث الذي برزت فيه مفـــاهيم "طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامه موسى" بعصر التنوير العربي وهى محاولة مضللة فإن هؤلاء التغريبيون لم يقبلهم الفكر الإسلامي وطاردهم وحمل عليهم وكشف زيف ما قدموه ، ولولا أن الصحافة والجامعة كانت مغربه ما استطاع فكرهم البقاء.

وسرعان ما كشف زيفه وتبين أنه فكر وافد وانه من عمـــل المســـتشرقين الذين أرادوا الأمر ما أن يظهر بأقلام كتاب عرب ومن عجب أنه كانت الفكرتان لمستشرق يهودي هو مرجليوث.

***

ويفرق الباحثون بين مصطلحات العلوم التجريبية – الـــتي هـــي واضحـــة الدلالة– وبين مصطلحات العلوم الإنسانية وتمثل المفاهيم المرتبطـــة بالسياســـة والاقتصاد (سواء أكانت رأسمالية أو ماركسية، من أمثال: برجوازيـــة، لبراليـــة، ديموقراطية، اشتراكية، أو أستقراطية) أو من أسماء المذاهب : بنيويـــة، حداثـــة، إنسانية،

ولقد حاول الكثيرون الادعاء بمقولة ديمقراطية الإسلام، اشتراكية الإسلام، ورأسمالية الإسلام هذا كله لغو باطل وقد اصبـــح كـــل مـــن يســـتخدم هـــذه المصطلحات وغيرها. إنما يستخدمها بدلالة معينة غير الدلالة الأصلية التي نشأت

مع المصطلح وذلك خطأ استخدام المصطلح بعيداً عن نشأته التاريخية، وتعني النشأة التاريخية للمصطلح فى العلوم الاجتماعية: التجربة المحدودة بالزمان والمكان التي مر بها مجتمع من المجتمعات فالديمقراطية التي تستخدم بمعنى حكم الشعب بدأت وكانت تقصد فى المصطلح اليوناني (الصفوة) وليس سائر سكان المدينة من العبيد والفقراء.

والليبرالية مصطلح يستعمل بمعنى فلسفة الحكم التي تستند إلى الحرية الفردية وقد نشأ الأصل التاريخي للكلمة مع تكون الرأسمالية الصناعية بمعنى تحرير الفرد القوي اقتصادياً وليس أي فرد من أفراد الشعب.

***

ومن المصطلحات المعاكسة: استعمال كلمة (أيديولوجية) بمعني كلمة عقيدة واستعمال كلمة (التزام) بدلاً من كلمة إيمان مع أن كلمة إيمان لها من العمق ما يسبر أغوار النفس الإنسانية.

***

وتلح المصطلحات الغربية على فكرة التغيير، والتطور المطلق، والتنكر للماضي وللقديم، في محاولة تدميرية خطيرة.

وهناك الدعوة إلى مفهوم تغير الشرائع وتطور النواميس بتغير الزمان والمكان وهذا كله ضرب من الفكر الذي يتحرك في إطار بشري خالص، ليس له قيم ثابتة أو يعترف بأصول ربانية أساسية تحكم دائرة الثوابت وتجعل القيم الأخرى تتحرك في دائرتها.

وللمسيحية والفكر الغربي العذر في هذا "التطوير" وهذه ''الانشطارية'' لأنه فكر بشري نشأ في ضوء الخلاف مع الدين الذي كان قد وصل إلى الغرب في صورة تختلف عن حقيقته المنزلة، أما بالنسبة للإسلام فالأمر يختلف، فالإسلام

بوصفه دينا عالميا خاتما لا يمكن التحدث فيه عن التطور أو التطوير (إلا إذا كـــان ذلك يعني تطوير الوسائل). أما الإسلام فقد رسم دائرة ثوابته ومتغيراتـــه ودائـــرة الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص، وجعل التغير مع الزمان والمكان في الفتوى وليس في الأحكام.

وقد أقام الإسلام قاعدة الأصول وترك لدائرة الفروع وما لم يرد فيه نـــص الاجتهاد بمقايسة الأحداث الجديدة على الماضي السابق ولذلك يجب عدم الخلـــط بين الثوابت والمتغيرات من ناحية ويجب التمييز بين المبادئ الأساســـية والتجربـــة البشرية التي يحدث فيها الخطأ أحيانا والاختلاف أحيانا وتجارب السلف في الإسلام ليست مقدسة، ولكنها تمثل ضوءا كاشفا للانتفاع بها في التجارب المتجددة.

وإذا كان الإسلام قد اعترف بالتطور والتغيير باعتباره قانونا دائـــم الفعـــل وسنة من سنن الله تبارك وتعالى في كونه، فإن الإسلام قد اعترف في نفس الوقت بالقيم الثابتة والأسس الأصلية التي لا تقبل التغيير وقد أعلن الإسلام قدرته دائمـــا على مواجهة المتغيرات سواء في البيئات أو العصور وهو غير مفهوم الغرب عـــن التطور في الدين الوضعي.

***

وفي مجال دلالات الألفاظ بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي يقول العلامة ليوبولد فايس (محمد أسد):

"إنه من باب التضليل المؤدي إلى أبعد الحدود أن يحاول الناس تطبيـــق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية.

إن للفكرة الإسلامية نظاما اجتماعيا متميزا خاصا بها وحدها يختلـــف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب ولا يمكن لهذا النظام أن يدرس ويفهم إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة وأن أي شذوذ عن هذا المبدأ

سوف يودي حتما إلى الغموض والالتباس بدلا من الوضوح والجلاء حول موقف الشرع الإسلامي تجاه الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر."

***

-٢-

إسلامية المفاهيم والقيم والمصطلحات

لقد أصبح من الواضح اليوم أن الفكر الإسلامي قد خرج من دائرة الدفاع وتصحيح المفاهيم إلى تقديم البدائل للمفاهيم الغربية الوافدة سواء أكانت من الفكر القومي أو الفكر الغربي أو الفكر الماركسي أو مفاهيم الصهيونية.

هذه المرحلة بدأت فعلا مع مشرق فجر القرن الخامس عشر الهجري ومازالت متصلة عاما بعد عام في سبيل تأكيد ضرورة تقديم البدائل الإسلامية الأصيلة للمفاهيم الوافدة على طريق الأصالة والتحول إلى بناء الفكر الإسلامي على قاعدة (تكامل الإسلام) بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع وبعد أن تأكد من أن العالم كله يتطلع في أمل كبير إلى الإسلام كمنقذ له من الحصار الخطير الذي فرضته الحضارة الغربية الغاربة.

وقد جاءت كتابات الغربيين في العقود الأخيرة لتؤكد عجز الحضارة الغربية عن العطاء وعن تقديم أشواق النفس الإنسانية واستعلائها في جوانبها المادية والإباحية على النحو التي وصلت إليه الحضارات الرومانية واليونانية قبل أن تهوي.

ويتبين اليوم في وضوح، للعرب والمسلمين، كيف أنهم خدعوا في هذه الحضارة ظنا منهم أنها تقدم علوما أصيلة صالحة للأمم كلها وأنها تحقق للعالمين الأمن والأمان وقد خدعهم بعض قادة الفكر فيهم الذين قدموا لهم القومية

والشيوعية والليبرالية كوسائل لبناء مجتمعاتهم وكانت التجربة بعد مـــرور قرنـــين كاملين اليوم سقط المتاع وقبض الريح.

فقد تأكد اليوم أن (تبعية) العرب والمسلمين للغرب لم تحقق لهم أي تقـــدم علمي أو حضاري حقيقي، وإنما توقف العطاء في حدود خدمة العرب والمسلمين لمنهج الغرب في الاقتصاد وتقديم العناصر الأولية واســـتقدام المصنعـــات دون أن يتحقق لهم إقامة صناعة حقيقية تقوم على مواردهم وسواعدهم.

فقد حرص الغرب على حجب معطياته العلمية واستبقاء هذه البلاد مصدرا للخامات وسوقا للبضائع وقد فعل ذلك بتركيا ثم بالبلاد العربية والإسلامية.

كذلك خدع الغرب أهلونا في الدعوة إلى القوميـــات ومفـــاهيم العروبـــة المنفصلة عن الإسلام والمرتبطة بالاشتراكية وكانت التجربة مريرة وقاسية.

وقد خدع العرب أيضا في الاشتراكية وتحولت بلادها إلى الولاء الماركسي وكانت نتيجة ذلك في نكسة ١٩٦٧ حيث لم يقبل الاتحاد السوفييتي إعطاء العرب أسلحة هجومية حتى لا يمكنهم من استئصال إسرائيل اكتفوا بإعطائـــهم أســـلحة دفاعية.

ولقد دخل العرب والمسلمون معارك حاسمة في سبيل الحرية وامتلاك الإرادة ولكن النفوذ الاستعماري كان قادرا على احتواء هـــذه الحركـــات وتدميرهـــا، واستطاع احتواء هذه الأقطار في نفوذه وسلطانه وتحويلها من العمل الإســـلامي الأصيل إلى التبعية.

لقد أدى استعمار الغرب للوطن العربي إلى أن أخذت صفـــوة المجتمـــع في تقليد الحضارة الغربية والأخذ بأطراف منها لكن النتيجة كانت مؤسفة في جميـــع الأحوال، إذ لم يبلغ معظم الطلاب المسلمين في تحصيل العلوم الغربيـــة مســـتوى زملائهم الغربيين، بل إنهم من ناحية أخرى فقدوا أصول حضارتهم الإسلامية ذاتها

فصاروا موزعين بين حضارتين تمزقاهما كل ممزق أو تتجاذبهم فصاروا من المستهلكين للتقنية التي خيبت ظنهم لأنهم لم يتقنوها.

ومن هنا كانت الدعوة إلى جعل العلم إسلاميا هي دعوة إيجابية حيث أنها لا تستهدف نبذ النمط الغربي جانبا وإنما تهدف إلى تحقيق التربية الإسلامية والإصلاح الخلقي.

والواقع أن المدارس والجامعات في كافة الدوائر الإسلامية تعاني أدواء مستفحلة لأن التدريس فيها لا يزال خاضعا خضوعا كبيرا للتقليد دون انتقاء أو هو يقوم على التقليد الذي لا يسمح بالنقد.

إن العلوم لا يمكن أن تصير إسلامية إلا إذا برزت على الصعيد العملي إنجازات رفيعة المستوى للعلماء المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ويطبقونه في أقوالهم وأفعالهم.

إن أسلمة المعرفة هي أساس تحرير الفكر الإسلامي من التبعية، ذلك لأن المعرفة في الثقافة الغربية هي المعرفة التجريبية التي تلغي المصادر الأخرى للمعرفة – مثل الوحي أو النقل ومن ثم تركزت الجهود في أسلمة العلوم على توضيح مكانة الوحي أو النص (أي المنقول) كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل التجريبي.

ولقد كان التصور الإسلامي للمعرفة تصورا كاملا جامعا يربط بين عالمي الغيب والشهادة، وبين العقل والنقل، وبين الدنيا والآخرة، وبين الروح والمادة.

مذهب الاستقراء:

ولقد كان المسلمون هم أصحاب مذهب الاستقراء القائم على الملاحظة والتجربة والمشاهدة بعد أن كانت البشرية لا تعرف هذا المذهب الذي استمده المسلمون من القرآن الكريم **{ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}**

وقد نبه علماء المسلمين إلى أخطاء النظر وأوهام الحس قبل ديكارت. وقد أكملوا المشاهدة الحسية بشيء آخر سموه (الاعتبار) أي التجربة. ولقد كان من أكبر أخطاء الغرب مقولة أن العقلية الإسلامية هي عقلية غيبية بشكل مطلق لاعتمادها على الوحي كأحد أسسها وهذا مرفوض تماما فليس هناك شئ مطلق وكيف تكون عقلية غيبية وقد أنتجت علما تجريبيا ومنهاجا تحليليا ونقديا.

والمسلمون يرفضون اتهام العقلية الإسلامية بالغيبية أو البيان بشكل مطلق وأن أكثر من عبروا عن هذا من كتاب العرب (أمثال عابد الجابري وغيره) كمقولة البياني والعرفاني والبرهاني تأثروا أساسا بالفكر الفلسفي الفرنسي وخاصة عند الفيلسوف (التوسير) فالعقلية الإسلامية تتضمن جانبا تحليليا نقديا تأويليا يعمل نفس العمل.

أسلمة المعارف والعلوم والمناهج

لا ريب أن هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية تتطلب أن تكون مرحلة "أسلمة المعرفة " والتخلص من التبعية للفكر الوافد بعد أن سقط الفكر الوافـــد في بلاده وانهارت النظم العلمانية والماركسية ولا ريب أن أسلحة المعرفة هي المدخـــل إلى الأصالة والرشد الفكري والعودة إلى المنابع لالتماس قيمنا الأساسية.

وأسلمة المعرفة ترقى إلى تحرير العلوم والمناهج والمعارف جميعا مما علق بهـــا من شوائب المادية وأهواء التيارات المناقضة للحق الذي جاء به الإسلام، لتوجيهها توجيها إيجابيا في خدمة الإنسان والمجتمع.

إن التماس إسلامية المعرفة هو عودة إلى الأصالة واكتشاف الذات فالإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع يجب أن يكون له توجيه في شأن المعرفة والعلـــوم لتحريرها من الاغتراب المسيطر على كثير من المناهج الوافدة القائمة أساسا علـــى النظرية المادية والعلمانية والتي تركزت على فكرة الفصل بين القيم والتي تعلى من شأن الانشطارية بين الماضي و الحاضر والعصر والتراث والروح والمادة والقلـــب والعقل.

وتستهدف الأسلمة أساسا أن تقوم المعرفة الإسلامية بديلا عـــن منـــاهج العلمانية والمادية والوثنية والإباحية والإلحاد وهي جماع الفكر البشري كله الـــذي جاءت الأديان على مدى العصور لمحاربته والذي أعادت القوى الضالة إحياءه من جديد وطرحه في أفق الفكر الإسلامي الذي يستمد مقوماته من التوحيد الخـــالص والإيمان بالغيب والوحي والنبوة والبعث والجزاء وان يكون الإنسان مسلم الوجـــه لله تبارك وتعالى بالالتزام الخلقي والمسئولية الفردية.

ومن هنا فلابد أن تقوم المعرفة الإسلامية على أساس ربانية القيم والغايـــات والنظر في قضايا الحياة والنفس والمجتمع والبيئة والطبيعة من خلال منابع الدين الحي والتعرف على سنن الله تبارك وتعالى في الكون والوجود والمجتمـــع مـــع التقديـــر الكامل لدور العقل ومسئوليته في حدود طاقته ووجهته.

وبذلك يقوم منهج المعرفة الجامع ذو الجناحين الذي يجمع بـــين الأصـــول الربانية للمعرفة والقدرات والمعطيات التي أفرزتها الحضارة الإنســـانية وتوجيهـــها الوجهة التي أقامها الإسلام لبناء الفرد المسلم والمجتمع وذلك إيمانا بأن العقل المسلم كان قادرا دوما وفي كل المراحل على الجمع بين العنصرين المتكـــاملين المكونـــان للإنسان أساسا ولحياته أيضا (الروح والمادة) وذلك أيضا لتحرير الحضارة الإنسانية من الانحصار في إنشطارية المادة وحدها وتجاهل الجانب الآخر الحي من جوانـــب الإنسان والحياة وهو جانب الوحي والغيب والوجدان والمعنويات.

إن إسلامية المعرفة تعني إيجاد منهج إسلامي قويم وشامل يلتزم بتوجيه الوحي والنص ولا يعطل دور العقل والاجتهاد وذلك حتى يمكن استعادة الهوية الثقافيـــة للأمة الإسلامية.

سبق المسلمون الغرب في أشياء كثيرة في مجال الثقافة:

(١) سبق المسلمون في إنشاء الموسوعات العامة.

(٢) سبق المسلمون في إنشاء تراجم الأعلام

(٣) سبق المسلمون في إنشاء منهج التحقيق العلمي

وقد قام المسلمون بعدة محاولات جديدة لوضع الموسوعات ومن أبرزها محاولتان:

أولاهما: كتاب إحصاء العلوم للفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ)

وثانيهما: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ثلاثون مجلدا) (٦٧٧-٧٣٣) أحمد بن عبد الوهاب القرشي البكري، جمع ما وصل إليه العلم عند العرب في عصره وقد رتب موسوعته ترتيبا جيدا يتناول السماء والأرض والنجوم ثم الإنسان وكل ما يتعلق بحياته وجسمه ثم الحيوان بأنواعه ثم النبات وأصنافه والطب وانتهى إلى تاريخ الأمم عامة وتاريخ العرب خاصة.

***

أما الفارابي فقد وضع علوم عصره في خمسة فصول:

(١) علم اللسان وفروعه من اللغة والنحو والصرف والشعر والكتابة والقراءة.

(٢) المنطق.

(٣) علم التعاليم (الرياضيات) وينقسم إلى سبعة أقسام (الهندسة، البصريات، الفلك، العدد، الموسيقى، علم الاتصال، علم الجبر.

(٤) العلم الإلهي – ما بعد الطبيعة، العلم الطبيعي الذي يتناول الأجسام والعناصر والبيئات والحيوان والمعادن.

(٥) العلم المعرفي (الأخلاق – السياسة – الفقه – علم الكلام)

أما ابن النديم فقد قسم (الفهرست) على الوجه الآتي:

(١) وصف لغات الأمم من العرب والعجم – أسماء كتب الشرائع – القرآن وعلومه.

(٢) في اللغة والنحو.

(٣) في الأجناس والسير والأنساب.

(٤) في الشعر والشعراء.

(٥) في الكلام والمتكلمين

(٦) في الفقه والفقهاء والمحدثين.

(٧) في الفلسفة والعلوم القديمة.

(٨) في الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة.

(٩) في المذاهب والاعتقادات.

(١٠) في أخبار الكيمائيين العضويين والرياضيين والمهندسين والمنجمين والأطباء.

*****

وقد جرى حصر الكتب العربية التي صنفت العلوم كالآتي:

(١) إحصاء العلوم للفارابي

(٢) مفاتيح العلوم للخوارزمي

(٣) الشفاء لابن سينا

(٤) إرشاد القاصد إلى سني المقاصد للبخاري الأكفاني.

(٥) مقدمة ابن خلدون.

(٦) مفتاح السعادة ومصباح السيادة.

(٧) كشف الظنون في أساس الكتب والفنون لحاجي خليفة.

(٨) كشاف اصطلاحات الفنون للمولوي التهاونوي

وهناك كتب موسوعية هامة:

الشفاء لأبن سينا

نهاية الأرب للنويري

خطط المقريزي

حياة الحيوان للدميري

صبح الأعشى للقلقشندي

مسالك الأبصار للعمري

***

أما فيما يتعلق بالموسوعات ودوائر المعارف الموجودة على الساحة فهي من نتاج المستشرقين (دائرة المعارف الإسلامية، الموسوعة العربية الميسرة، المنجد) وهي لا تخلو من دس على حضارتنا وعقيدتنا وبعض هذا الدس يحاول أصحابه وضعه في قالب العلم والتحقيق ويقول نسيم العماوي أن هذه الموسوعات اعتمدت على منح وهبات من مؤسسات غير عربية (مثل مؤسسات فورد وروكفلر وفرنكلين) وهي مؤسسات مشكوك في غيرتها على الثقافة الإسلامية في نقائها وحسن نيتها.

ولا شك أن بعض هذه الموسوعات قامت بدراسة المجتمعات العربية وتخلتها وجمعت معلومات وثائقية ذات مساس بالمصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالغرب ومن هنا فإن كل هذه الموسوعات يفتقر إلى الأصالة وبالجملة فهي لا تعبر عن هويتنا العربية الإسلامية.

ونقول : إنه جرت في السنوات الأخيرة محاولات لتصحيح دائرة المعـــارف الإسلامية وتنقيتها من الأخطاء والأهواء التي تزخر بها وقد قامت جامعة البنجاب الإسلامية بدراسة شاملة في هذه الصدد، وحبذا لو ترجمت إلى اللغة العربية حيث إنها كتبت بلغة الأوردو.

الباب الأول

المصطلحات العربية

١- الإسلام
٢- القرآن الكريم
٣- القرآن الكريم والعلم
٤- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
٥- الرسول
٦- الشريعة الإسلامية
٧- العقيدة
٨- اللغة العربية
٩- القران الكريم سقف اللغة العربية
١٠- تغريب اللغة العربية
١١- الأدب العربي
١٢- التربية الإسلامية
١٣- نحو نظام تربوي جديد
١٤- الفتوح الإسلامية
١٥- الوحدة الإسلامية
١٦- العروبة والإسلام
١٧- الدولة الإسلامية
١٨- حقوق الإنسان في الإسلام
١٩- الصحوة الإسلامية
٢٠- الاقتصاد الإسلامي
٢١- حقوق المرأة في الإسلام
٢٢- التراث الإسلامي



١- الإسلام

جاء الإسلام ليصحح مسار البشرية (بعد أن انحرفت إلى الوثنية والتعـــــدد) ويخرجها من الظلومات إلى النور.

وجاء الإسلام بثلاث قيم لم يكن لها وجود في الحياة العربية قبل الإسلام:

أولاً: أن مهمة الإنسان إقامة المجتمع الرباني في الأرض بالعمل مـــن أجـــل إصلاح هذه الحياة واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة.

ثانياً: اتصال العمل الإنساني بين الدنيا والآخرة عمل وجزاء وربـــط بـــين الدارين برباط وثيق حتى تعتبر الآخرة استمراراً للأولى

ثالثاً: قرر الإسلام مسئولية الفرد وقرر مسئولية الجماعة واعتـــبر الجماعـــة حارسة الدين المطبق لمبادئه وبذلك نظم حياة الجماعة تنظيماً سياسياً لم تعرفه الحياة العربية بل الحياة الإنسانية من قبل وذلك فى ضوء قوله عليه الصلاة والسلام (أن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن) فالغاية فى الحياة الدنيا هي توجيـــه حيـــاة المسلمين وسلوك الأفراد إلى إسلام الوجه لله تبارك وتعالى على أن تكون الجماعة الإسلامية مسئولة عن حراسة الدين وتنظيم المجتمع فتكون حياة المسلم في الآخـــرة استمراراً لحياته في الدنيا.

***

وقد جاء الإسلام دنيا ومنهج حياة، يجمع بين عبادة الله تبارك وتعالى وإقامة حدوده ونظامه الاجتماعي في العلاقات بين المسلمين سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

كما جاء دينا عالميا وخاتما وكانت الأديان كلها مقدمة لــه، وقــد قــدم للبشرية المنهج الكامل بعد أن دخلت البشرية بنزوله عصر الرشد الفكري.

وقد فصل بين عصر الإسلام والعصور السابقة قبلــه فيمــا أطلــق عليــه "الانقطاع الحضاري" حيث ماتت كل الدعوات والثقافات القديمة بــبزوغ نــور الإسلام.

ولما كان الإسلام قد جاء ليصحح طريق البشرية وينقلها إلى التوحيد فــإن هذا الهدف مازال قائما وهو يتجدد اليوم بعد أن صححت حركة اليقظة الإسلامية المفاهيم التي ظل النفوذ الأجنبي يبثها خلال أكثر من قرن ونصف قــرن بعــد أن حجبت القوى الأجنبية الشريعة الإسلامية وأحلــت محلــها القــانون الوضعــي والعلمانية والنظام الربوي وقد أمكن استظهار مفهوم الإسلام الجامع بعد أن عمل النفوذ الأجنبي على وصفه بأنه دين لاهوتي لا علاقة له بالنظام الاجتماعي الــذي خضع للنفوذ الغربي.

وقد عملت الدعوة الإسلامية في سبيل إعادة الوحدة الإسلامية الجامعة إلى

- تصحيح مفاهيم الوطنية والقومية والإقليمية.
- تصحيح مفاهيم التاريخ والتراث.
- تصحيح مفاهيم القانون الوضعي والأنظمة السياسية الفرعية.
- تصحيح مفاهيم نظم التعليم والتربية والثقافة.

ومن هنا فإن الدعوة إلى تصحيح المفاهيم تمثل طابع الحركة الإسلامية خلال العقود الماضية، أما منذ بزوغ فجر القرن الخامس عشر فإن الفكر الإسلامي يدخل مرحلة جديدة لا تكتفي بالدفاع وكشف زيف سموم الفكر الغربي ولكنها تمضــي خطوة إلى الأمام في سبيل أسلمة العلوم والمناهج وقد ظهرت أعمــال إيجابيــة في سبيل أسلمة الاجتماع والاقتصاد والنفس والأخلاق وأسلمة الأدب.

ولعل أكبر خطوة يجب التركيز عليها هي "إبراز الخصوصيـــة" الإســـلامية والذاتية الخاصة التي تجعل بين الإسلام نموذجاً خاصاً مختلفاً عن الصورة التي تقـــوم عليها الأديان الموجودة في الساحة وهي أديان منزلة تنتظم مع الإســـلام في عقـــد واحد، غير أنها انحرفت عن وجهتها.

وكذلك فإنه يجب أن يركز على أن هذه المرحلة من الضعف التي يمر بهـــا المسلمون لا صلة لها بجوهر الإسلام نفسه، وإنما ترجـــع إلى اضطـــراب علاقـــة المسلمين به، فقد كان المسلمون دائماً قادرون على العمل والتقدم طالما استمسكوا بمنهجه الرباني الأصيل فإذا ما تراخوا في العمل به ضربتهم سنة الله التي لا تتخلف.

ولقد كان الإسلام قادراً دائماً على استعادة أهله وأتباعه عندما ينحرف بهم الطريق وان المرحلة التي يمر بها المسلمون ليست إلا وضعاً عارضاً، وحالة مؤقتـــة وإن الإسلام مازال قادراً على أن يمكن أهله من التماس الطريق الصحيح وفق ضياء الإسلام ونوره وأنه يجب دائماً أن نبين حقيقة التميز الثقافي والفكري للإســـلام على المناهج البشرية والوافدة.

ومن هنا فنحن نعارض ونرفض مقولة وحدة الثقافة أو وحـــدة الحضـــارة العالمية. وهي فكرة مضللة زائفة.

وإن وضع المسلمين اليوم لا يحكم به على الإسلام فقد أعطى الإسلام العالم أكثر من ألف سنة من الضياء والنور قبل أن يمر المسلمون بهذه المرحلة التي هي من طبيعة الأمور حيث ترتفع الأمم وتنخفض ثم تعود إلى التحليق مرة أخرى.

أننا في أشد الحاجة إلى الاحتفاظ بشخصيتنا وتميزنا الثقافي والفكري المستمد من عقيدتنا وديننا باعتبارها القوة الوحيدة التي تحمل اليوم لواء التوحيد الخالص في العالم كله والتي تتجمع عليها كل القوى لاحتوائها وتدميرها حتى يخلص العـــالم كله للوثنية المادية الطاغية.

وليعلم المسلمون أنهم وحدهم حملة لواء الدعوة إلى التوحيد الخالص ولابد لهم من التماسك والصمود في وجه هذه القوى التي تود اقتلاعهم وهدم وجودهم.

ولذلك فنحن مطالبون بأن نواصل الكشف عن هذه الزيوف التي تحاول إثارة الدعاوى الباطلة وعلينا أن نحرر الفكر الإسلامي من دخائل الفكر الوثني اليوناني والفكر الباطني والفكر الماسوني التلمودي الذي تشكل في العصر الحديث في صورة مناهج علمية مما أطلق عليه (الفلسفة المادية الوثنية) التي تنكر ما بعد الطبيعة وكل مالا يخضع للتجربة الحسية وتردد دائماً كلمات الغيبيات والسلفية والقديم بازدراء شديد وهم لا يستطيعون أن يعلنوا ما يضمرون من أنه معارض للدين.

كذلك فمن محاذيرهم إعلاء شأن العقل منفصلاً عن الوحي والإسراف في التصور المادي.

وهذه كلها مبادئ هدامة ترمي إلى تدمير مقومات الإسلام ممثلاً في عالم القيم والالتزام الأخلاقي والإيمان بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً والإيمان بالمسئولية الفردية والجزاء الأخروي والبعث والنشور.

***

لقد جاء الإسلام لتصحيح منهج الحياة ويكشف الحقائق التي تبثها فلسفات المادية والوثنية والإباحية.

(١) جاء لكشف فساد العبودية التي قامت على حضارات اليونان والرومان والفراعنة والفرس جميعاً، وإعلان ميلاد الإنسان الحر الذي لا يقر بالعبودية إلا لله تبارك وتعالى كما دعاء إلى إلغاء عبودية الإنسان للإنسان وإلغاء عبودية الإنسان للوثن والصنم وأصنام العصر التي صنعها الإنسان (المال والحضارة والتكنولوجيا والفلسفة والفن) ثم عبدها.

(٢) تحرير الإنسان من التجسيد والارتفاع به إلى الإيمان بتكامل عنصري: المادة والروح، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة.

(٣) رفض مفاهيم الفيض والعقول العشرة والإله الخاص اليهودي وما نشأ عنها من فكرة الخطيئة والصلب والتثليث على أساس مفهوم خاص هـــو فـــداء البشرية.

(٤) ما نشأ عن مسألة التجسيد من نظريات كنظرية المحاكاة والعـــالم الوهمـــي الزائف الذي تصنعه الدراما.

(٥) هدم الخوارق والأساطير والمواريث القديمة للباطنية والمجوسية.

لقد جددت القوى المعادية للإسلام هذه السموم وجندت لها قوى تذيعـــها وتنشرها ويجب أن يكون الشباب المسلم واعياً لهذه الأهواء كاشفاً لزيفها، وذلك بالعودة إلى المنابع والتماس أصول الإسلام وهي أصول تمثل منهجاً مرنـــاً واســـع الأفق، مرن الأطر، قادر على تقبل كل متغيرات المجتمع، ومستمر العطاء مع كـــل متغيرات الزمن والبيئات.

وهو يفرض اليوم نفسه على الواقع الغربي رغم كل وسائل العزلة والتعتيـــم وكل أسباب القمع والقهر لأنه بالنسبة للبشرية كالروح من الجسد.

وقد تبين بالدراسة مدى الفوارق العميقة بين الأديان والإسلام وهي متعددة آثار في مختلف جوانب الفكر والحياة والمجتمع.

٢ – القرآن الكريم

لاشك أن القرآن الكريم هو البوتقة التي صهرت كل الأجيال والعقول والقلوب في قالب واحد من التجاوب العميق مع كلام الله وصولاً إلى الوحدة الفكرية القائمة على التوحيد الخالص. فكل هؤلاء الأعلام من الأئمة والرواد والنوابغ الذين صنعوا التراث الإسلامي في مختلف جنسياتهم وبلادهم وما تلقوه في مطالع حياتهم قد صهرهم مفهوم القرآن الكريم في قالب الإسلام إيماناً به فاصبحوا يصدرون عن هذا النبع الكريم فهم ليسوا عرباً أو فرساً أو تركاً أو هنودا وإنما هم مسلمون أساساً أولاً وآخراً.

وقد ربط القرآن الكريم بين الأمة العربية والإسلام فأصبحت اللغة العربية ذات قداسة معينة لأنها حملت هذا العطاء الرباني كما حملت السنة المطهرة وكل التراث الإسلامي الذي يصنع فكرنا الإسلامي الأصيل القائم على مفهوم أهل السنة والجماعة.

وقد كان الإمام الشافعي رضى الله عنه في مقدمة الأئمة الذين أحسوا بارتباط اللغة العربية بالإسلام من جهة إعجاز القرآن الذي هو مناط العقد والبرهان على صدق مبلغها ومن جهة الاستنباط لا حكام الشريعة على أساس فقه اللغة التي نزل بها القرآن ومن جهة تصحيح العقيدة في المسائل المشتبهة حين تهجم الشبهة على عقول الجاهلين بلغة القرآن فيحسبون المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً أو المحكم متشابهاً والمتشابه محكماً.

ولا غرابة في أن يتجه الاستعمار الغربي إلى محاولة تدمير هذه اللغة ومحاصرة تأثيرها وتضييق نطاقها وفصل الأجيال الحديثة عن ماضيها بكل وسيلة من الوسائل.

***

ولقد دعا القرآن الكريم إلى تحرير العقل الإنساني وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان. فالقرآن يدعو إلى طرح التقليد ليحرر الفكر من قيوده ومن المعطيات الباطلة الموروثة التي سبقت نزوله

{وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون} وقد نعى القرآن على أولئك الذين الغوا شخصياتهم وخضعوا خضوعا تاما لأحبارهم ورهبانهم.

{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} ونعى القرآن على الذين عطلوا حواسهم وعقولهم وركنوا إلى التقليد الأعمى **{لهم قلوب لا يفقهون بها..}** وتحدى المقلدين للعقائد الباطلة الموروثة: **{قل هاتوا برهانكم}**.

***

وينبه القرآن الكريم العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلي المختلفة مباشرا أو غير مباشر، كما يدعو إلى استنباط نتيجة ثبتت صحتها في معرض الاستدلال على العقائد النظرية فهو يدعونا إلى استخدام المشاهدة الحسية واستقراء الجزئيات في عالم الطبيعة ليصل بنا إلى معرفة القوانين العامة التي تسير هذه الطبيعة بمقتضاها **{وضرب لنا مثلا ونسى خلقه}** الآيات من سورة يس، وقد صنع هذا الاتجاه عند علماء المسلمين التجربة التي اسماها علماء المسلمين (الاعتبار) **{فاعتبروا يا أولى الأبصار}** فالاعتبار هو المقياس بنوعيه العقلي والفقهي.

ومن الآيات التي تنبه إلى استخدام الاستقراء والنظرة الفاحصة للأشياء وكيف تتركب **{أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت}**. كذلك فقد كشف القرآن للمسلمين أن للنظام الكوني قوانين لا تتبدل **{لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار}**.

وكذلك الاجتماع البشري له قوانين لها نفس السنن {**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}، {**سنة الله التي قد خلت من قبل**}، { **فطرة الله التي فطر الناس عليها**}.

أسلمة العلوم:

وفي كل معطيات القرآن تتكشف عظمة الله تبارك وتعالى وضآلة الإنسان، وتعطي الحقائق الواضحة في مجال الكون والطبيعة والإنسان وهي التي يمكن أن يتكون من خلالها مطلب عظيم هو أسلمة العلوم حيث أن العلوم المادية تحاول أن تصور العلوم والأكوان وكأنها سائرة بنفسها وكأن معطياتها أمور ذاتية وهو مفهوم خاطئ وعلينا نحن المسلمين أن نؤكد على الحقيقة الربانية الغائبة وقد كشفت الأبحاث الطبية في الفترة الأخيرة حقائق خطيرة عن خلق الإنسان وتركيبه البيولوجي جاء بها القرآن منذ أربعة عشر قرنا وهذه الملايين من القنوات الدقيقة وملايين الخلايا في المخ ومعجزات الخلق في الآفاق والكون واكتشاف ملايين المجرات، كل هذا يكشف زيف دعاوى كتب العلوم الطبيعية التي تتكلم عن الطبيعة وكأنها صانعة كل شئ.

***

كذلك فقد كشف القرآن الكريم مجموعة من الحقائق التاريخية الأساسية:

أولا: أن هناك تحول حدث عن ملة إبراهيم إلى مفاهيم أخرى وأن الإسلام الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو بمثابة العودة إلى الطريق الأصيل {**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا**}

ثانيا: إن الذين أحدثوا هذا التحول حرفوا الكتب السماوية المنزلة عليهم وقد أورد القرآن الكريم هذا المعنى في أكثر من موضع من سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وغيرها.

ثالثا: إن الله تبارك وتعالى أخذ العهد على الأمم السابقة أن تؤمـــن بـــالنبي الخاتم إذا ظهر، وأنه ثابت عندهم في التوراة والإنجيل {**الذين يتبعون النبي الأمـــي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل**}

رابعا: أن رجالا من أهل الكتاب في عصر النبوة شهدوا بالنص الصحيــــح الذي ورد في كتبهم عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

***

هذا وقد أورد الدكتور موريس بوكاي في بحثه عن الكتب المقدسة أكثر من مائتي آية قرآنية تتحدث عن المجالات العلمية المختلفة وكيف أنها توافق نظريـــات العلم العصري كما أشار إلى تناقض الكتاب المقدس مع حقائق العلم وما يحمله من ألفاظ وقصص غير مهذبة يستحي اللسان البشري من ترديدها.

***

هذا ويعد (تغيير الواقع) هدفا أصيلا من أهداف القرآن الكريم وقد رســـم القرآن منهجا متكاملا في هذا الصدد.

كذلك فقد تعددت معجزات القرآن في هذا العصر الحديث حتى أن المركز الطبي العالمي قرر ما أورده القرآن من قوله تعالي {**فيه شفاء للناس**}

يقول البيان: إن الأثر العلاجي للقرآن يكمن في القرآن ذاته، لقـــد بدأنـــا الأبحاث في عيادة ألبر بمدينة بنما في فلوريدا لتحديد ما إذا كان العـــلاج القـــرآني يستند إلى قواعد فسيولوجية في الجسم البشري، أن الأبحاث التي تبحرنا فيـــها إلى مدى بعيد أثبتت انخفاض مدى الضغط النفسي بالقرآن وقد دونـــت المعلومـــات ومقاييس الكمبيوتر الإلكتروني هذا الأثر العلاجي الذي تحقق من خـــلال معـــنى وجرس الكلمات القرآنية ويمكن أن يؤثر على المسلمين وغير المسلمين والنـــاطقين بغير العربية أيضا.

وقد لاحظنا أن الآيات التي تتردد فيها الكلمات أكبر تأثير على المريـــض، وهناك أثر واضح على مناعة الإسلام (أسلم طبيب وعالم إنجليزي من كبار علماء الكهرباء) في هذه الحلقة.

***

ولقد قدم القرآن الكريم عددا من المناهج:

١- المنهج التجريبي في مواجهة منهج القياس اليوناني.
٢- منهج الغيب (الميتافيزيقا)
٣- منهج تحرير الإنسان في الحضارة الإسلامية في مواجهة العبوديـــة اليونانيـــة والفارسية.
٤- منهج بناء الأمم والحضارات وسنن الله فيها.
٥- منهج التوحيد الخالص.
٦- منهج المعرفة ذي الجناحين في مواجهة الإنشطارية.

٣- *القرآن الكريم والعلم*

كان من أعظم معطيات القرآن الكريم أنه أعاد صياغة الفكر الإنساني الذي جاء على السنة الرسل وفي كتب الأنبياء منذ بدء الخليقة حتى الرسالة الخاتمـــة في صياغة أخيرة متحررة من ركام الفكر البشري المتجمع عبر قـــرون طويلـــة مـــن الانحراف و الضلال والضياع. ذلك أن فكر الرسالات السماوية المتعـــددة كـــان صادرا أساسا عن دعوة التوحيد الخالص، وإن كان في شريعته متصلا بالأمة الـــتي أنزلت إليها الرسالة خاصته بها. (فكان كل نبي جاء لأمة) حتى جـــاءت الرســـالة الخاتمة بالقرآن الكريم على خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وســـلم

ليحرر الفكر الإنساني من الزيوف والأخطاء و الفكر البشري الذي أختلط بفكـــر النبوات وفي مقدمة ذلك الالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية لبني الإنسان.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في أكثر من موضع: مثل قوله تعالى {**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**} ويؤكد هذا - كما يقول الدكتور زغلول النجار- أن القرآن والسنة المطهرة قد جددا للمسلمين الأسس الكلية في مجال العلوم السلوكية والإدارية لأنها تقوم في الأصل على قاعدة أخلاقية ثابتة.

أولا: والأخلاق لا يمكن أن تكون صناعة بشرية لأنها من صلـــب الديـــن والإنسان محتاج فيها إلى بيان كامل من الله تبارك وتعالى مثلها في ذلك مثل العقيدة والعبادة والمعاملات.

ثانيا: أكد الإسلام على قيمة العلم وأقر بأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة لأن الإسلام يطالب العقل البشري بالنظر في هذه الكون والتأمل في بديع صنع الله فيه ليتعرف بذلك على خالقه وعلى شئ من صفاته كما يستخلص عـــددا مـــن السنن الكونية التي تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض وعمارة الحيـــاة فيها وكذلك إبراز عظمة الكون وروعة ما فيه من مخلوقات (من الجماد والأحياء والطاقات والظواهر)

والتأكيد على أن هذا الكون الشاسع الاتساع المحكم البناء الدقيق الحركة لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه كما لا يمكن أن يكون قد نتـــج بمحـــض الصدفة، بل لابد له من موجد عظيم قد أوجده بعلمه وحكمته وقدرته وتدبـــيره وهو الذي يرعاه بعنايته ورعايته ويتكفله برحمته.

ذلك أن الاحتمالات الرياضية للصدفة في نشأة الكون معدومة فضلا عمـــا يجزم بأن الكون الذي نحيا فيه لا يمكن أن يكون قد وجد إلا بتدبير مسبق وحكمة بالغة كما أنه لا يمكن أن يستمر وجوده هذا الآف الملايين من السنين.

ثالثا: التأكيد على أن هذا الكون المتناهي الاتساع مبني على نفس النظام من اصغر وحداته إلى أكبر مجموعاته كما أن مكوناته مع تباين أشكالها وهيئاتها يمكن ردها إلى لبنات أربع: هي المادة والطاقة والمكان والزمان.

وقد توصل العلم إلى أن المادة على اختلاف صورها ترد في أصلها إلى غاز الهيدروجين وان الطاقة تختلف أنواعها بما فيها الجاذبية ولابد أن تلتقي في شكـــــل واحد للطاقة.

كما أثبت العلم أن المادة والطاقة شئ سواء.

وأن المكان والزمان شئ متواصل وبذلك تتحلل مركبات الكون المعلومة لنا إلى شئ واحد لا نعرف كنهه تتساوى فيه المادة والطاقة ويتواصل فيـــه الزمـــان والمكان وهذا الشيء الواحد يؤكد لنا الوحدة العظمى في هذا الكون كله مما يؤكد وحدة الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

رابعا: التأكيد على أن هذا الكون ليس أزليا فقد كانت له في الأصل بداية ويحاول العلم التجريبي حسابها كما أنه لا يمكن أن يكون أبديا فكل ما له بدايـــة لابد وأن تكون له في يوم من الأيام نهاية والعلوم الكونية بمختلف شعابها تؤكـــد على هذه الحقيقة.

خامسا: التأكيد على أن العلم في جوهره هو محاولة جادة للوصـــول إلى الحقيقة وعلى ذلك فلابد لكل مشتغل به من التسلح بصفـــات الأمانـــة والدقـــة والرغبة الصادقة في التوصل إلى معرفة الحق. كذلك لابد من التــأكيد علـــى أن

البحث العلمي المتميز بالأخلاق والتجرد هو نوع من الجهاد الذي يؤجر عليه الإنسان.

***

هذه هي أصول المفهوم الإسلامي للعلم كما اجمع عليها العلماء المسلمون وصاغها الدكتور زغلول النجار بهدف تنقية العلوم التجريبية المطروحة في أفق الفكر الإسلامي من السموم والاضطراب وفي ذلك تحقيق لهدف القضاء على الفجوة القائمة اليوم في المفاهيم العلمانية بين الدين والحياة وهي وحدها القادرة على أن تكون إطارا شاملا للحياة بحيث يستطيع المسلمون التعامل مع معطيات العصر وتفهم التقدم فهما إسلاميا جامعا بين المادة والروح.

فالإسلام قد رسم الإطار العام وجعل (الأخلاقية) هي القاسم المشترك الأعظم على حركة العلم والمجتمع، وأعطت مرونته الواضحة ووسطته الظاهرة خلال أكثر من ألف عام الفرصة لتقدم العلم على النحو الذي قام به المسلمون منذ فجر الإسلام إلى ما قبل هذه المرحلة من احتواء العلمانية والتغريب لهما ولفكرهما.

إن تنقية العلوم مما علق بها من شوائب تتعارض مع التوحيد الإسلامي أمر ضروري وأساسي للانطلاق بالعقول الإسلامية والخروج بها من دائرة الجمود والتقليد والنقل الأعمى إلى آفاق الإيجابية بعيدا عن التبعية.

أمران هما من أعظم علامات الصحوة الإسلامية، وهما في نفـــس الوقـــت موضع نقمة العلمانيين وحملاتهم الشديدة:

(الأول) هو أسلمة العلوم والمناهج والمصطلحات

(الثاني) الكشف عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

ذلك أنهم ظنوا أن هذه التبعية الظاهرة للعلمانية في بعض الأقطار الإسلامية هي دليل على قرب انصهار المسلمين في الحضارة الغربية الغاربة أو قبول مناهجها وأيديولوجياتها كالليبرالية والماركسية والوجودية والدارونية والفرويدية وغيرهـــا. ومن هنا جاء الإعجاز العلمي ليكشف عن حقائق مذهلة هزت قلوب علماء كبار لهم أسماء لامعة، فأعلنوا إسلامهم وتصديقهم.

والإعجاز العلمي في القرآن يكشف عما تنطوي إليه آيات القرآن من آيات كونية وحقائق علمية وآيات بينات في التشريع والسياسة والاجتمـــاع والتـــاريخ حيث يجد الآن كل باحث في مادته من آيات القرآن ما يعينه علـــى اســـتخلاص حقائق العلم الذي برع فيه.

ويقرر الباحثون أن هناك ارتباطا بين القاعدة الإيمانية من ناحية وبين علــــم الفلك وعلم الأحياء وعلم الطبيعة والكيمياء وعلم طبقات الأرض وسائر العلـــوم المتعلقة بالنواميس الكونية والقوانين الحيوية بمعنى أنها كلها تـــؤدي إلى الله تبـــارك وتعالى من ناحية أخرى فيقول عالم فرنسي: لقد شرح الله تبارك وتعالى صـــدري للإسلام بعد أن وجدت أن الآيات القرآنية تنطبق على معارفنا الحديثـــة. يقـــول الدكتور جرينيه: لقد تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بعلـــوم الطبيعـــة والصحة وغيرها فوجدت أن هذه الآيات تنطبق انطباقا شديـــدا علـــى معارفنـــا الحديثة، عند ذلك شرح الله تبارك وتعالى صدري للإسلام لأني أيقنت أن محمـــدا

صلى الله عليه وسلم قد جاء بالحق المبين منذ أكثر من ألف سنة قبـــل أن يكـــون هناك معلم أو مدرس من البشر.

وعالم ألماني آخر آمن بالله تبارك وتعالى عند فهم الآية: **{أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانـــه}** - بصمـــات الأنـــامل والكشف عن حقيقة هذه البصمات لم تكن تعرفه أوربا فضلا عن العـــرب إلا في عصرنا هذا، وهذا يدل على أن القرآن منزل من عند الله تعالى.

وموريس بوكاي -الطبيب الفرنسي الأشهر- انتهى إلى أن التوراة والإنجيل الموجودين بيننا الآن قد دخل عليهما التزييف والتحريف فلا يكاد ما ورد فيـــهما من موضوعات عن الكون والحياة وخلق الأرض بالإضافة إلى الفلك والتاريخ، لا تكاد تتفق مع طبيعة الأشياء ولا مع نواميس الكون أو حقائق العلم - ذلك لأنهما كتبا بعد موسى وعيسى عليهما السلام بأمد طويل ولعبت في كتابتهما الأقـــلام المغرضة لتشتري بذلك ثمنا قليلا.

{فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله} أمـــا القرآن فهو كتاب الله الكريم الذي حفظه سبحانه من التحريف، فلا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه

وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم حريصا على كتابة كل آية إثر نزولها لذلك نرى أن الآيات التي تتحدث عن الكون والحياة وخلق الإنسان وتطور الجنين وعن الفلك والسحاب والمطر لا تختلف عما وصلت إليه الحقائق العلميـــة لان الله تبارك وتعالى الذي نزل الكتاب هو الذي خلق نواميس الكون. وهو الذي أجرى سنن الحياة وهو الذي يقول:

{ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجـــد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا}

يقول بوكاي في شرح منطلقه العلمي:

يجب التفريق بين النظرية العلمية وبين الفعل موضوع الملاحظة الذي يمكن رصده بالشكل المطلوب. فالنظرية تتغير في كثير من الأحوال وهي قابلة للتعديل أو لأن تحل نظرية أخرى محلها عندما يسمح التقدم العلمي بتحليل أحسن للأمور وبتصور شرح آخر أكثر قيمة أما الفعل موضوع الملاحظة فهو على عكس ذلك إذ أنه غير قابل للتعديل.

فإثبات أن الأرض تدور حول الشمس وأن القمر يدور حول الأرض هذا ما لن يرجع فيه أبدا وقد يمكن في المستقبل تحديد المدارات بشكل أحسن

ولن ننسى للدكتور بوكاي كلمة ستظل مدى الدهر حقيقة باقية وذلك قوله: إن الحقائق التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي في القرآن عن الكون والإنسان لم يكن أحد من البشر على وجه الأرض يعرفها، وهذا يدل على أنه جاء بها من مصدر أكبر :هو الله تبارك وتعالى.

العلوم التي قدمها المسلمون:

يقول الدكتور ماهر عبد القادر:

القول بأننا نقلنا ما في الحضارات الأخرى واكتفينا بهذا النقل ليس صحيحا على الإطلاق فلم نكن مستودعا لذاكرة الغرب نحفظ له تراثه كوديعة استودعها عند نهضته.

والحقيقة أننا أسهمنا في العقل الحضاري وكان لنا دورنا في دفع حركة العلم خطوات إلى الأمام.

وكانت للعرب نظريات علمية اكتشفها العرب ومنهج استخدموه وكان المنهج العلمي المتعارف عليه في البحث العلمي هو المقياس الأرسطي الذي ساد منذ عهد أرسطو حتى عهد النهضة الغربية.

١) كان العرب أكثر دقة إزاء هذا المنهج حيث جمعوا ما بين هـــذه النظـــرة ونظرة أخرى هي النظرية الحسية أو ما نسميه بـــ "الاستقراء" ففرقوا بين: الملاحظة وبين التجربة والمشاهدة

وهذه الوسائل دورها واضح جدا في علوم كثيرة كالفلك والطب والنبات والحيوان.

٢) كذلك نبه علماء العرب إلى أخطاء البصر وأوهام الحس (قبل ديكـــارت) وهذا جعلهم يكملون المشاهدة الحسية بشيء سموه "الاعتبار" أي التجربـــة والتجريد والملاحظة شئ عرفه الأطباء العرب والكيماويون العرب كـــابن حيان والرازي وغيرهما

٣) وقد أضيف إلى هذا في مرحلة تالية بعد جديد ومنظور جديد هو المنظـــور الرياضي وكيفية تحويل الملاحظات الكيفية إلى أرقام وتلك خطوة مهمـــة جدا لتطوير العلم انطلق منها بعد ذلك العالم الأوروبي الشهير: فرنســـيس بيكون. وقد فصل كتاب الرازي الشهير (الحاوي) هذا المنهج وأشار بعمق إلى الملاحظة والتجربة في البحث العلمي.

١- النظرية العلمية

٢- نظريات كبرى يحضرنا منها مثلا من هو العالم العـــربي الشـــهير ابـــن النفيس: كنا نعلم أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى فقط ولكـــن الدراســـات الجادة أكدت أنه هو أيضا مكتشف الدورة الدموية الكبرى وذلك مـــن خـــلال دراسة وتلخيص كتابات ابن النفيس.

- وكانت نظرية جالينوس هي التي استخدمها ابن سينا، أما ابن النفيـــس فرأى أنها لا تتسق وما يحدث في الواقع ومعنى ذلك أنه رأى ومارس وشرح الجسد

البشري ووجد خللا (أزمة) بين ما هو نظري وما هو علمي ووجد انسياق ابـــن سينا وراء جالينوس لذلك كانت ثورته العلمية لحل هذا الخلل.

ولقد كان لاكتشاف ابن النفيس أثره في تقدم علم الطب وبسبب اكتشاف (ابن الهيثم) وحديثه عن الضوء الذى نقل إلى العالم الغربي وأخذه نيوتن عن ابـــن الهيثم ووصلا إلى نفس النتائج.

وهذا يؤكد خطأ مقولة أن العقلية العربية عقلية ميتافيزيقية تغلب الغيب على الحاضر.

ثم جاءت فترة أصيبت العقلية العربية بشيء من الجمود بســـبب ظـــروف سياسية أو تاريخية.

أما القول بأن العقلية العربية عقلية غيبية بشكل مطلق فهذا مرفوض تماما.

إنني ارفض اتهام العقلية العربية بالغيبية والبيانية بشكل مطلق (على النحـــو الذي قال به الجابري (البياني – العرفاني – البرهاني) وقد تأثر الجـــابري في هـــذا بالفكر الفلسفي الفرنسي وبخاصة عن "التوسير"

فالعقلية العربية تتضمن جانبا تحليليا نقديا تأويليا العمل العقلي حتى في النص القرآني أما سيطرة البيان والعرفان في بعض العصور لأسباب تاريخية سياسية وغـــير مطلقة.

كذلك فإن إرادة الاختيار موجودة ومعاملنا طيعة مرنة تقبل إضافة الجديـــد إليها وإن الحضارة الإسلامية قد رفضت مفاهيم أرسطو (علوم الفيزياء).

***

ويشير كثير من الباحثين إلى أن مفهوم العلم في الإسلام قد جمع بين النظرية الحسية وما يسمى بالاستقراء فقد عرف العرب الملاحظة والتجربة والمشاهدة.

وقد نبه علماء الإسلام إلى أخطاء النظر وأوهام الحس قبل ديكارت وقـــد أكمل علماء الإسلام المشاهدة الحسية بشيء آخر سموه (الاعتبــــار) أي التجربــة والتجربة والملاحظة شئ عرفه الأطباء العرب والكيمائيون العرب كــــابن حيـــان وإبرازي وغيرهما.

وقد أضيفت في مرحلة تالية بعد جديد ومنظور جديد هو المنظور الرياضي وكيفية تحويل الملاحظات الكيفية إلى أرقام وتلك خطوة مهمة لتطوير العلم انطلق منها فرنسيس بيكون.

وقد فصل كتاب الرازي (الحاوي) المنهج وأشـــــار بعمــــق إلى الملاحظــة والتجربة في البحث العلمي.

وقد تأكد أخيرا أن ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الكبرى بعد أن ظلوا سنوات طوال يقال فيها إنه مكتشف الدورة الصغرى وهناك ابــــن الهيثــم وحديثه عن الضوء.

وهذا يتناقض مع الاتهام الموجه للعقلية العربية على أســــــاس أنهـــا عقليــة ميتافيزيقية تغلب الغيب على الحاضر.

إن القول بأن العقلية العربية عقلية غيبية بشكل مطلق، هذا مرفوض تمامــــا فليس هناك شئ مطلق.

وثانيا: كيف تكون عقلية غيبية وتنتج علما ومنهاجا تحليليا ونقديا، هــــذه اتهامات روجها الغربيون المغرضون.

إن المفكرين المسلمين اليوم يرفضون اتهام العقلية العربية بالغيبيــــة والبيــان بشكل مطلق وان نظرية عابد الجابري (العقول الثلاثة: البياني/ العرفاني/ البرهاني) ومحاولة إخضاع الفكر الإسلامي لمدرسة البيان هذا هو متابعة للفكر الغربي فـــإن العقلية العربية تتضمن جانبا تحليليا نقديا تأويليا يعمل العمل حتى في النص القرآني.

يقول سجريد هولكه: إن العرب الذين ازدهرت جامعاتهم منذ القرن التاسع الميلادي هم الذين أمدونا بنموذج الجامعات وتقسيمها إلى الكليات المختلفة ومنهم تعلمنا إجراء الامتحانات ومنح الشهادات وعنهم أخذنا مناهج التعليم وأخيرا فمنهم أخذنا المحتوى أيضا و لم نتلق منهج الكأس فارغة بل بمحتواها، تلقيناها مليئة بالراح المعتقة.

كانت قبل ستة قرون مكتبة الطب في باريس أصغر مكتبة في الأرض إذ كانت تتكون من كتاب واحد مستعار استعاره الملك لويس الحادي عشر مقابل ١٢ ماركا ذهبيا ومائة شالر ومضى لينسخ له منه أطباؤه الخواص نسخا يرجعون إليها كلما أصابه مرض أو أحس بوعكة ولا يزال طلبة كلية الطب الجديدة في شارع سان جرمان دي باريس يرمقون في مرورهم نحو مدرجات الكلية إلى تمثال قائم في بهو الكلية وهذا التمثال لمؤلف الكتاب المذكور وهو واحد من أكبر أطباء جميع الأمكنة والأزمنة إنه: أبو بكر بن محمد زكريا الرازي.

وكان يقال عن أي طبيب ماهر في أوروبا أنه روح ابن سينا وهذا حتى القرن السابع عشر ونظريات ابن سينا في الجيولوجيا وكتابه في المعادن يعد المرجع الأساسي لأوروبا حتى القرن الثامن عشر أما كتابه (القانون في الطب) فقد ذكر المؤرخ الفرنسي للفلسفة (سيكافي) في كتابه لمحة من تاريخ عام معاون لفلسفات القرون الوسطى إنه كان يدرس في جامعة لوفان ببلجيكا حتى عام ١٩٠٩.

٥- الرسول

أبرز معالم حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

(عموم الرسالة وختم النبوة)

- أرسل الله تبارك وتعالى النبي محمد إلى العالمين جميعا.
- أرسل النبي رسله ورجال دعوته إلى أقطار الأرض وعظمـــاء العصـــر إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعوهـــم إلى الإسلام.
- دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وجاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركـــين وجاهد اليهود (بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وأهل خيبر) وغزا أرض الروم في حملتين: الأولى غزوة مؤتة التي استشهد فيها زيد بن حارثة وجعفر وغيرهما.

والثانية غزوة تبوك التي قادها صلى الله عليه وسلم وضرب الجزيـــة علـــى نصارى نجران.

- كاتب دعوته في رسائله على هذا النحو:-

{يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم} ،

{قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملـــك الســـموات والأرض}

- **{وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا}**

النبي الخاتم

يقول مارتن لنجر في كتابه "سيرة محمد" ﷺ. إن سيرة محمد ظلت في الغرب قرونا مرتعا للمباراة في التعصب ومثارا للجدل الديني، بدأت بإشاعة خرافات وترهات وأباطيل عن شخصية محمد ﷺ وعن حياته وهي إشاعات كفيلة بالإساءة إلى سمعة أي إنسان فما بالك بنبي الإسلام. ولقد كانت هذه الحملة تنعكس على الدين الذي أسسه محمد والتي أحست أوروبا بخطره منذ نجح في سد نفوذها بل في فرض سيطرته على الأمصار التي كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية من بلاد الأناضول والشام ومصر إلى بلدان شمال إفريقية حتى المحيط الأطلسي وأسبانيا.

فالغرب لم يكتف في حروبه الصليبية بتجييش الجيوش واحتلال المواقع بل قرن ذلك بحرب دعائية، فإذا كانت الوقائع العسكرية قد استمرت ثلاثمائة عام، فالحرب الدعائية قد سبقت هذه الثلاثمائة عام ورافقتها واستمرت بعدها مئات السنين حتى الوقت الحاضر.

والدكتور مارتن لنجر أول إنجليزي يفوز بجائزة عن حياة الرسول الكريم وقد اعتنق الإسلام سنة ١٩٣٨ حين التقى بجماعة من المسلمين الجزائريين في باريس وكان يقوم بتدريس الإنجليزية في جامعة كوناس بعد تخرجه من جامعة أكسفورد وقد زار مصر والجامع الأزهر وتأصل إحساسه بالإسلام واتخذ اسم (أبو بكر سراج الدين) واستقر في مصر أربعة عشر عاما يدرس اللغة الإنجليزية في كلية الآداب.

***

ويقول دكتور ميكل دي ايثالتا إن عدم التقدير الحقيقي لرسول الإســـلام يرجع إلى الجهل والعداء السياسي والمبادئ الدينية المسيحية فقد كان المســـيحيون يعتقدون عند بدء ظهور الإسلام إن النبي محمدا (ﷺ) لا يزيد علـــى أن يكـــون واحدا من زعماء الطوائف المنحرفة التي شذت عن المسيحية الشرقية.

وقد بدا جهل الغربيين بمحمد ﷺ يزول شيئا فشيئـــا نتيجـــة للدراســـات التاريخية التي قام بها المستشرقون الأوروبيون في القرن الـــ ١٩ والـــ ٢٠ وعلـــى الرغم من الأحكام المسبقة من جانب هؤلاء ضد العرب والمسلمين فقد أجـــبرهم المنهج العلمي على الاعتراف بالقيم الإسلامية النبيلة وبرسول الإسلام الكريم.

***

ولقد كانت خصومة الغرب للإسلام والنبي محمد ﷺ منبعثة من حقد رجال الدين الذين أحسوا بأن الإسلام يكتسح الأقطار التي كـــانت خاضعـــة لنفـــوذ الإمبراطورية الرومانية وتسلطها حتى أنقذ الإسلام أهلها من الظلم في نفس الوقت الذي كانت هذه البلاد قد أستقبلت موجات متوالية من الجزيرة العربيـــة أساســـا والتي توسدتها أرضية الشام ومصر وإفريقية.

ولقد كانت الرسالة في أبناء إبراهيم عليه السلام وامتدت في أبناء اســـحق ويعقوب أكثر من الفي سنة فلما حرفوا الرسالة نقل الله تبارك وتعالى أمانة الدعوة إلى أبناء اسماعيل.

ومن هنا كان حقد اليهود على أمة محمد ﷺ وحربها، ولقد جاء محمـــدﷺ بالرسالة الخاتمة وجاء بعموم الرسالة وختم النبوة ومعجزته القرآن: الكتاب الخالد إلي يوم الدين للعالمين جميعا.

وقد أرسل النبي محمد رسول الإسلام مبعوثيه إلى مختلف أقطار الأرض يحملون رسالة الإسلام إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف.

وقد دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وأخبرهم بأن اسمه وصفته ثابتة لديهم في التوراة والأنجيل وإنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكنهم غيروا وبدلوا وكبر عليهم أن يأتي رسول من غير فرع يعقوب واسحق.

وقد جاهدهم عندما أنكروا رسالته كما جاهد المشركين (بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وأهل خيبر) **{يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم}**، **{قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض}**.

ولقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى منطلقهم بعد أن دانت لهم الجزيرة العربية مرتين في غزوة مؤتة وفي غزوة تبوك واختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى وراية الحرب منصوبة في ساحة المسجد بقيادة أسامة للتوجه إلى أطراف الجزيرة العربية في وجه الروم وقتل في مؤتة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وفي تبوك ضرب الجزية على نصارى نجران.

وهكذا استعلنت وجهة الإسلام إلى فتح فارس والروم ثم مضى الفتح حتى حدود الصين شرقا وحدود نهر اللوار غربا بعد دخول الأندلس في أقل من ثمانين عاما.

وجاء دين الإسلام دينا عالميا قائما على منهج جامع: منهج حياة ونظام مجتمع أضاء للعالمين الحياة خلال الف سنة كاملة كانت أوروبا خلالها غارقة في ظلمات العصور الوسطى ودخل قارة أفريقيا وجنوب شرق اسيا وما يزال الإسلام مرجوا لفتح سلمي حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الرسول في صحف الغرب: تحول في المفاهيم

حدث تطور إيجابي في موقف الفكر المسيحي الغربي من الرسول ﷺ بعــــد الملتقى الإسلامي المسيحي في قرطبة ثم عقد الملتقى الثاني ١٩٨٠ الذي نظمته جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في مدريد رأي المجتمعون بأنه يمكن بإجتماع المسلمين مع أخوالهم المسيحيين التخلص من عدة أحكام مسيحية مسبقة ضد رسول الله ﷺ لكي ينظر إلى الرسول بأكبر قدر من الموضوعية وبأعظم تقديــــر وبـــلا أحكـــام مسبقة.

الكاردينال نارايكون أسقف مدريد ورئيس الأساقفة الأسبان قدم أول نص في تاريخ المسيحية يتكلم فيه سلطة دينية عليا بمثل هذه الإيجابية عـــــن موضــــوع رسول الإسلام محمد ﷺ.

رد دكتور ميكل دي إيثالتا أستاذ بجامعة مدريد عدم التقدير الحقيقي لرسول الإسلام إلى الجهل والعداء السياسي والمبادئ الدينية المسيحية.

١ – الجهل:

كان المسيحيون يعتقدون عند بدء ظهور الإسلام أنـــه ليـــس إلا هرطقيـــا مسيحيا على ضلال وأنه لايزيد على أن يكو واحدا من زعماء الطوائف المنحرفة التي شذت عن المسيحية الشرقية كما يعتقدون أنه من قواد الحروب الغـــزاة مـــن العديد من أولئك الذين كانوا يقومون بغزوات منتظمة داخل الإمبراطورية عنـــــد حدودها الشمالية والشرقية. هذا الجهل دام طوال قرون كثيرة.

٢ – العداء السياسي:

قال كروش ايرناندت أنه ربما لايوجد صاحب دعـــوة تعـــرض للتجريـــح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد، وكذلك لا توجد أي اتهامات أساسها

السياسة لا الدين مثل الاتهامات التي وجهت للإسلام ، ليس مـــرد ذلـــك إلى ان الإسلام كان على امتداد العصور الوسطى العدو السياسي الأول للمسيحيين بـــل لأن الإسلام منذ نشأته دخل في نزاع ضروري جذري مع الأشكال السياسية التي تهيمن على الحركات المسيحية الأولية ولقد كانت الحروب السياسية المتكررة بين البلدان الإسلامية والمسيحية حتى الحروب الصليبية والاستعمارية الأخـــيرة جلـــها يحول دون النظر بكل موضوعية واحترام إلى الرسول ومؤسس الدين الإسلامي.

٣- *المبادئ الدينية:*

من مبادئ الدين المسيحي أن الرسول هو كل من سيأتي مبشـــــرا بقـــدوم عيسى من بعده، فعيسى هو الوحي الكامل ولا يمكن أن يوجد بعده من يبشر بـــه وليس هناك وحي آخر يتمم رسالته أو يأتي مكملا لها.

التطور المسيحي الجديد تجاه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدأ جهل المسيحيين بمحمد ﷺ يزول شيئا فشيئا نتيجة الدراسات التاريخية التي قام بها المستشرقون الأوروبيين في القرنين ١٩، ٢٠.

١) وعلى الرغم من الأحكام المسبقة من جانب هـــؤلاء عـــن العـــرب والمسلمين فقد درسوا بموضوعية نسبية المراجع العربيـــة والإســـلامية، وعرفـــوا الاوساط الأوروبية، وقد أجبرهم المنهج العلمي على الاعتراف بالقيم الإســـلامية النبيلة وبرسول الإسلام الكريم وبما أن الكثيرون منهم كانوا من العقلانيـــين فقـــد وجدوا رغبة كبيرة في اصلاح الأخطاء الهائلة عن النبي، تلك الأغاليط التي مايزال يعتقد في صحتها معظم المسيحيين، لكن يمكن لقول الآن بأن ما يكتب حاليـــا في أوربا حول محمد ﷺ أغلبه موضوعي.

٢) هناك مسلمون أكفاء يعرفون ويكتبون بموضوعية علمية حقيقيـــة عـــن الإسلام وعن رسوله.

٣) بعد فترة التحرر من الإستعمار صار المسيحيون يقدرون أكثر فأكثر الشعوب الأخرى ويحترمون تقاليدها اعتمادا على مبدأ المساواة بين البشر ويعلمون قيمة نقل الحضارات القديمة والجديدة بكل معتقداتها وأشخاصها اللامعين الذين أثروا تاريخ الإنسانية وأصبحوا يقدرون أكثر فأكثر الأديان الأخرى المنتشرة في العالم مهما كانت بعيدة كل البعد عن المبادئ المسيحية. فمن الطبيعي أن يعاد النظر فيما يتعلق بالدين الإسلامي ويقدر قيمه الروحية والدينية.

***

ويقول النص الذي نشره الفاتيكان:

إن الكنيسة تنظر أيضا بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم القادر على كل شئ خالق السماء والارض والذي كلم الناس والذين يخضعون لأوامره الغيبية بكل حواسهم كما خضع له أمرهم الذي يحلو للعقيدة الإسلامية أن تذكره.

إنهم يعظمون المسيح نبيا وأن كانوا لايعترفون به إلها، ويحترمون كذلك أمه البتول مريم ويذكرونها بكل تقوى، ثم إنهم يرتجون اليوم الآخر.

المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو إلى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل.

الخطوة التي يجرى العمل لها وهو أن يتم تقدير المسيحين لمحمد ﷺ تقديرا إيجابيا علميا

(..) هناك موقف ثالث اتبعه الباحثون وعليهم أن يتبعوه في المستقبل وهو احترام المعتقدات الإسلامية.

على المسيحي أن يعترف بقيم العقيدة الإسلامية التي يعتنقها اليوم أكثر من مليار من المسلمين المؤمنين.

***

(دعوة) إلى إزالة الأحكام المسبقة السلبية التي يحتفظ بها الكثير من المسيحيين الأوروبيين ضد بعض جزئيات أو أحداث سيرة الرسول الكريم.

(نقطة) المصدر الإلهي لرسالة محمد هي أصعب نقطـــة إذ فيـــها يتمركـــز الاختلاف الجذري بين العقيدتين الإسلام والمسيحية، يقول الكاتب: إن مفـــهوم النبوة في الإسلام يختلف عنه في المسيحية إذ لو كان المسيحيون يؤمنون بكـــل مـــا يؤمن به المسلمون لما كانوا مسيحيين" أ.هـ

(٢) تصحيح صورة الإسلام في الغرب:

يقول مارتن لنجر في كتابه ـ(سيرة محمد)

إن سيرة محمد في الغرب ظلت قرونا مرتعا للمباراة في التعصـــب ومثـــارا للجدل الديني، بدأت في الغرب بإشاعة خرافات وترهات وأباطيل عن شخصيـــة محمد ﷺ وعن حياته.

إشاعات أقلها كفيل بالإساءة إلى سمعة أي إنسان فما بالنا بنبي الإسلام.

كانت هذه الحملة تنعكس على الدين الذي أسسه محمد والذي أحســـت أوروبا بخطره منذ نجح في سير نفوذها بل في فرض سيطرته على الأمصـــار الـــتي كانت تحتلها الإمبراطورية الرومانية من بلاد الأناضول والشام ومصر إلى بلـــدان شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي وأسبانيا.

فالغرب لم يكتف في حروبه الصليبية بتجييش الجيوش واحتلال المواقع بـــل قرن ذلك بحرب دعائية فإذا كانت الوقائع العسكرية قد استمرت ثلاثمائـــة عـــام فالحرب الدعائية سبقت هذه الثلاثمائة عام ورافقتها واستمرت بعدها مئات مـــن السنين حتى الوقت الحاضر.

***

الدكتور مارتن لنجر فاز بجائزة عن حياة الرسول الكريم عن لأحسن كتاب وضع عن حياة النبي. الجائزة خمسة آلاف دولار.

وقد تأصل بعد ذلك إحساسه بالإسلام فأسلم واتخذ اسم أبوبكر سراج الدين واستقر في مصر ١٤ عاما يدرس اللغة الانجليزية في كلية الآداب.

٦ – *الشريعة الإسلامية*

يقول المستشار سالم البهنساوي:

أكد الفقهاء أن غاية الشريعة الإسلامية أن تحفظ على الناس خمسة أمور سميت بالضرورات الخمس:

وهي حفظ: العقل والنفس والنسل والدين والمال.

كما أكدوا أن صلاح أمر الدين موقوف ومترتب على صلاح أمر الدنيا.

قال **الإمام الغزالي**: إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة تلك الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية.

وفي هذا قال الدبلوماسي الألماني المسلم: هوفمان

إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق وبخاصة حق الحياة وسلامة الجسد والحرية والمساواة في المعاملة وحق الملكية الخاصة والزواج وحرية الضمير وبراءة المتهم حتى تثبت إدانته وحق الحماية من التعذيب ولا عقاب بدون إنذار وحق اللجوء وكذلك عدم الحكم إلا بعد سماع أقوال الطرفين وهذه الحقوق قد كفلها الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام.

وعلى الرغم من أن حقوق الإنسان في الإسلام لم يفرد لها وثيقة خاصة إلا أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد ركزا على الحقوق التي كانت مهددة في الأمم الأخرى.

أولا: وردت نحو اربعين آية في القرآن عن الإكراه والكراهية منها ما ينهى عن الإكراه وذلك لضمان حرية الفكر والاعتقاد وحرية الضمير **{لاإكراه في الدين}**

ثانيا: كفل الإسلام العدل والعدالة ورفع الظلم ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء ولا بين المسلم وغير المسلم ولا بين الكبير والصغير وقد تعرض القرآن الكريم للظلم والظالمين في نحو ثلاثمائة وعشرين آية وأمر بالعدل في أربع وخمسين آية تنوعت بين العدل والقسط والقسطاس.

ثالثا: أمر الإسلام بحفظ الحياة وتوفير أسباب الحياة للإنسان فأورد القرآن الكريم نحو ثمانين آية عن الحياة و٧ آيات عن القتل والقتال منها قوله تعالى:

{من قتل نفسا بغير نفس أوفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}. كما أورد عشرين آية عن الكرامة والتكريم **{ولقد كرمنا بني آدم}**

رابعا: أورد نحو مائة وخمسين آية عن الخلق والخلائق وعن المساواة في الخلقة **{يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}** وقال الرسول "الناس سواسية كأسنان المشط"

خامسا: في حجة الوداع أكد النبي ﷺ على هذه الحقوق جميعا فقال ﷺ:

إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا.

أما في الغرب فقد ورثت القوانين الأوروبية عن القانون الروماني التمييز الصارخ بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حيث تنص القوانين الأوروبية على استحقاق المرآة نصف أجر الرجل عن العمل ذاته ويمنعها من الاحتفاظ باسم عائلتها عند الزواج.

وتمنع القوانين المرأة الأوروبية من التصرف في أموالها الخاصة حتى يثبت أن هذا المال ليس موهوبا منها لزوجها وليس من الأموال المشتركة بين الزوجين.

ولقد ادخلت على مادة الإعلان العالمي عن عدم التمييز بين الرجل والمرأة بسبب الجنس او الدين، هذه التعديلات جعلت النص أشبه بتوصية وليس إلزاما والمساواة فيه ليست مطلقة أو كاملة.

***

أما الشريعة الإسلامية فهي لا تفرق بين الرجل والمرأة في الأجر عن العمل ولا تقر أن تفقد المرأة اسم عائلتها وتسمى بأسم زوجها ولاتقر حرمان المتزوجة من التصرف في أموالها.

وتوجد بعض الفوارق في الميراث وفي الزواج، حيث يحرم الإسلام الزواج من المشركات وتخير الزواج من الكتابيات (أي بنات النصاري واليهود) ولا يجوز أن تتزوج المسلمة بغير المسلم.

وفي الحقوق والواجبات قال تبارك وتعالى:

{ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة}

وقال النبي ﷺ: إن النساء شقائق الرجال. والدرجة التي للرجل هي القوامة في الأسرة.

ولاريب في أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إنما هو إجتهاد بشري قيدته الدول الكبرى بقيود لتحافظ على الفوارق التي تضمنتها القوانين الأوروبية والتي هي أيضا إجراء خاطئ من البشر.

ويستطرد هوفمان في كتابه (الإسلام كبديل):

إن طغيان الدولة في أوروبا لم يكن وحده السبب في بلورة حقوق الإنسان على النحو الوارد في الوثائق القانونية لأنه بجانب طغيان السلطة كانت هناك مظالم القوانين والتشريعات والتي عانى منها الأوروبيون وغيرهم قرونا من الزمان.

في خلال حكم البابوات لأوروبا والذي يسمى بالحكم الديني أو الحكومة الدينية أصدر البابوات قوانين تحرم الاشتغال بالطب أو الهندسة أو الكيمياء أو غيرها من العلوم التجريبية بدعوى أنه سحر وكانت عقوبة المخالفين هي الإعدام حرقا أو شنقا وقد بلغ عدد من حكم عليهم بالإعدام نحو ثلاثمائة ألف وكان من بينهم إثنان وثلاثون ألف حرقوا وهم أحياء.

وقد ورثت اوروبا مظالم القانون الروماني للمرأة فاعتبرتها ضمن الصبيان والمجانين.

واقترن الحكم الديني في أوروبا بنظام الإقطاع فكان للإمراء والسادة كل الحقوق وليس للرعية مقابل وكان الأمراء يملكون الأرض ومن عليها من الناس والجماد والدواب.

ويقول المستشار سالم البهنساوي:

إن حقوق الإنسان الواردة في القوانين الأوروبية جعلها الإسلام ضرورات إنسانية لا سبيل لحياة الإنسان بدونها ومن ثم فإن الحفاظ عليها لا يقتصر على كونه حقا فقط يمكن التنازل عنه بل هو واجب يأثم من فرط فيه فردا أو جماعة "

أ.هـ

يقول بعض الناس إنه من الصعب تطبيق الشريعة الإسلامية الآن " لأن كل من حاولوا تقنين الشريعة وقعوا في مخالفات صارخة لسنة سيدنا محمد ﷺ ولذلك فإن أي مشروع بقانون للشريعة الإسلامية لن يخرج عن حقيقة الأمر عن أن يكون قانونا لآراء أو مفاهيم الأفراد أو اللجان التي وضعته وسيكون صورة أخرى لقانون وضعي جديد يحمل اسم الشريعة الإسلامية. وعلى هذا يجب ألا ننساق وراء شعارات براقة مرتبطة بالعواطف المتأججة والحماس للإسلام".

وهذه مقولة باطلة، ذلك أن تقنين الشريعة هو العمل السليم اليوم في مواجهة القانون الوضعي من حيث أنه يستمد كل مفاهيمه من الأصل الأصيل المستمد من القرآن الكريم والسنة وقد عمل العلماء الذين أقروا هذه النصوص التي تسمى (تقنين الشريعة) على أن يراجعوا الإجتهادات التي قدمها الفقهاء على مدى العصور المختلفة وأن ينقلوا منها ما يتفق مع حاجة الأمة الإسلامية اليوم وظروفها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية عن طريق اجتهاد مفتوح فيقبل بمرونة كاملة لمعطيات العصر دون الوقوع في المحرمات التي حددها التشريع الإسلامي.

ويقرر الفقهاء والعلماء أن الإسلام لا يمكن تطويعه لأوضاع تنبت في أرضه غير إذ هو القيم المهيمن على ماسواه من أديان وأنظمة وقوانين وجاء ليغير ما عليه المجتمعات من انظمة وضعية فاسدة اعتمادا على بديهية إيجابية هي أن الله تبارك وتعالى يعلم المصلح من المفسد وأن كل ما يخالف تشريعه هو هوى يفسد السموات والأرض.

وذلك قوله تعالى: **{ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون}** وأن الإيمان منفي عمن لا يكون هواه تبعا لما جاء به الشرع الحنيف وقد نتج عن غياب هذه الحقيقة ظاهرة غريبة تحاول ان تعرض الواقع المستجلب من بيئة لا تؤمن بضوابط الوحي

الخاتم على ما جاء به الإسلام من تشريعات بدعوى أن باب الإجتهاد مفتوح ومن هنا جاءت محاولة تطويع بعض تشريعات الإسلام للفكر الليبرالي أو الفكر الإشتراكي حيث ظهر من قال إن الإسلام هو الإشتراكية أو أنه هو الديمقراطية وما أثير من التشكيك في موضوع إنطباق وصف الربا على فوائد البنوك وصناديق توفير البريد حتى يقال حينئذ إن الإسلام هو الرأسمالية والأسلام إسلام قبل ظهور هذه المذاهب الوضعية.

إن شريعة الإسلام محكمة خالدة لا يعتريها تحريف ولا تبديل إذ حفظها الله تبارك وتعالى بحفظه وقدرته ورد عنها كيد المحرفين الذين يريدون أن يخضعوها لأهوائهم وسخر لها من العلماء في كل جيل من ينفي عنها مغالاة الغالين وانحراف المضللين. وكم من شبهة أثارها أعداء الله على مر الأجيال فوجدت من حراس الشريعة سهاما نافذة قضت عليها.

وكم من رأي شاذ خارج عن إجماع الأمة قد نبذه الراسخون في العلم وكم من تهمة ألقيت على تشريعات الإسلام فردها الله تبارك وتعالى في نحور الكائدين(...) جريدة النور.

(٢) الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي: (الباحث إسلامي كبير)

يلح الإسلام على مراعاة الجوانب الأخلاقية في نظام المجتمع وفي مجال الاقتصاد والمعاملات التجارية بالذات فيهتم بالدرجة الأولى بالقيم الاخلاقية المقررة لدى المؤمنين منتجين وموزعين ومستهلكين.

وينطلق القرآن الكريم من احترام حق الملكية الخاصة للمتاع أي للأشياء ويدخل في ذلك بشكل أساسي وسائل الإنتاج، هذا النوع من الملكية لا يعتبر ملكية مطلقة كما هي من وجهة نظر القانون الروماني بل يفهم ذلك على أنه

استغلال إجتماعي مشروع، فالملكية المطلقة في الإسلام هي لله وحده وليس مـــن حق فرد أو أفراد ملكية الثروات الطبيعية المشتركة في عموم النفع "مثل الهواء والماء والمرعى والكلأ أو الغابات والثروات المدنية.

والمسلم ملزم بأن يسعى لكسب نفقات معيشته سعيا شريفا واســـهاما في العمل المنتج ويشمل هذا التجارة المستهدفة للربح في إطار الأسعار الحـــرة الـــتي يسمح بها السوق غير الاحتكارية فالمضاربات والربح الذي يحققه بعض السماسرة وأمثالهم دون بذل جهد أو عمل خفيف، كل ذلك حرام في الإسلام.

وينسحب ذلك على المضاربات والبورصات والأسواق المالية والصفقـــات الآجلة وكذلك أرباح رأس المال.

و على الدولة أن تراقب الالتزام بقواعد التسعير لتمنع الاحتكار والغش في الكيل والميزان وكافة أنواع الجرائم الاقتصادية وينبغي على المسلم أن يتقي الشح والإسراف فهو مطالب بالاعتدال كذلك بصفته مستهلكا لا ينبغي أن يكون زاهدا والاسلام لايرضى له أن ينسى نصيبه من الدنيا.

***

إن تاريخ الاقتصاد يثبت أخطاء وفشل نظريات الاقتصاد المختلفـــة الـــتي حسب الناس حين اخذوا بها في أول الأمر أنها نظريات سديدة وينسحب ذلـــك على تاريخ نظريات الاقتصاد العشي وما حفلت به تلك النظريات من أخطاء وما باءت من فشل وذلك ابتداء من "آدم سميث" ثم مرورا بدافيد ريكاردو وتومـــاس مالتوس وكارل ماركس وجون ما يدر كانسيس حتى باول صمويل سون .

[إن حكمة الإسلام العظيمة تبدو في ضمانه للمرونة اللازمة لاقامة الأنظمة الاقتصادية الحقيقية السديدة بعد وضعه الأسس والشروط والاطر العامة التي تحوي هيكل الاقتصاد.

بدأ علم الاقتصاد الإسلامي الحديث في التخطيط لإقامة نظـــام إقتصـــادي متميز ولكن النجاح المرتقب لم يتحقق إلا بصورة ضئيلة جدا ويرى المسلم ذلــك النظام الاقتصادي بديلا عن النظام الرأسمالي الاقتصادي الغربي الذي يؤله الســيادة المزعومة للأفراد بديلا عن النظام الشرقي الاشتراكي: نظـــام الخطــط القصـــيرة والطويلة الذي يتخذ من الدولة صنما معبودا.

***

ويرى ماكس فيبر، وميللـــر وأرمـــاك في فهمـــهما للنظـــامين الرأسمـــالي والاشتراكي أنهما نظامان ماديان ولكن ليسا غير دينيين، إذن كلا النظامين عقيدة إيديولوجية ذات نظام وقيم دينية غير سوية أي منافية للأخلاق والقيم.

ولقد صوب بعض المريدين لقيام النظام الاقتصادي الأسلامي سهام النقد إلى النظامين الرأسمالي والاشتراكي حيث أشار إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جمع بين الفرد والدولة في علاقة متزنة متساوقة ومنسجمة وأن الإسلام تمكن قبل ألف وأربعمائة سنة في المدينة المنورة من تحقيق قـــدر مـــن العدالـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية أقصى مما يطمح ماركس أن يحلم بمثله.

إن قيام النظام الاقتصادي الإسلامي المثالي يحتم او يشترط وجـــود الأمـــة الإسلامية المثالية مسبقا.

والأصوب وضع نظام اقتصادي يتحرك في الإطار الذي حـــدده القـــرآن الكريم: نظام إسلامي الجوهر مراع للحاجات الاقتصادية والمعاملات الاقتصاديـــة موافق من هذه الناحية للنظام الغربي، هذه الموافقة للنظام الغربي ليست مطلقـــة إذ لابد للنظام الإقتصادي الإسلامي أن يحث سيئات النظام الغربي ويتجاوزها (يعني الأورام الخبيثة التي تضرب في هيكلها) ومنها السماح بالاتجار بما يضر ولا ينفع من

مشروبات ومأكولات ومخدرات والسجائر وأمثالها التي تدر أموالا طائلة تحصلـــها الدولة في قالب ضرائب.

أيضا فساد السوق الرأسمالية المنافي للأخلاق والربـــا المتمثـــل في الأربـــاح الباهظة غير المشروعة.

هنا يختلف الأقتصاد الإسلامي عن سواه

كذلك فإن الاقتصاد الإسلامي لا يســـمح بقيـــام الشركـــات المســـاهمة والشركات ذات المسئولية المحددة كما لا يسمح بالربا وكلا الامرين مرتبط بعضها ببعض.

وتحذر السوق الراسمالية الإسلامية في نفس الوقت من أمر الربا الذي حاربه القرآن و لم يكتف بذمه فقط كما في سورة الروم أو كما في سورة آل عمران.

بل لقد حرم تحريما قاطعا نصت عليه أواخر الآيات التي أنزلت على النبي ﷺ قبل اختياره للرفيق الأعلى فبلغها دون أدنى تأويل لها

{والذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} .. (الآية) من سورة البقرة.

***

ويقول الدكتور عبد الله عابد (مؤتمر اسلام اباد ١٨٩٣)

إن إزمة الاقتصاد الإسلامي تتمثل في المشكلة الرئيســـية في اســـلمة مـــواد الاقتصاد الثقافية حيث يتطلب أن يتوافر في دارس الاقتصاد الإسلامي معرفة شرعية كافية إلى جانب القدرة على التحليل.

وهذا يتطلب إيجاد باحثين على معرفة بالفقه الإسلامي والاقتصاد الغـــــربي وضرورة تكوين مجموعات تضم هذين النوعين من الثقافات.

ويقرر بعض الباحثين أن للأصول الشرعية في المنهج الاقتصادي الإسلامي جانبان رئيسيان: أحدهما ثابت مستمر لأنه يتعلق بالمبادئ والأصول التي جاء بها الإسلام للبشر جمعاء. أما الجانب الآخر فمتغير مرن يصلح لمواجهة مشكلات المجتمع باختلاف الزمان والمكان.

٧- *العقيدة*

عندما جاء الإسلام كان عصر الرشد الفكري قد بدأ فقد جاء القرآن الكريم ليقدم للبشرية الإجابات الصحيحة لما كان يشغل الفكر البشري من موضوعات ويحاول الإجابة عنه عن طريق الفلسفة.

وقد قدم القرآن الكريم منهجا كاملا لما وراء الواقع (الميتافيزك) وبذلك استغنى العقل البشري عن محاولاته المضطربة و القلقة في تصور بدء الخلق ونهايته وعالم الغيب وخلق الإنسان وكل ما يتصل بالبعث والنشور ومن هنا فقد سقطت كل نظريات الفلسفة التي ظلت تتحرك في مجالات مختلفة سواء في اليونان أو الرومان أو فارس أو غيرها.

ومن هنا فقد كانت ترجمة الفلسفة اليونانية مؤامرة خطيرة أريد بها إحياء هذا الفكر الوثني والباطني والمادي.

وقد أستقطب هذه الرياح السوداء أمثال الفارابي والكندي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد والرازي ومن جاء بعدهم تحت اسم الاعتزال: أبو حيان والنظام وابن مسكويه ومن جاء تحت اسم التصوف الفلسفي: السهرودي والشبلي والحلاج وابن عربي.

وكانت العودة إلى الفلسفة تحت أسماء جديدة هي علم الكلام أو الاعتزال ، من هنا كانت مواقف الشافعي وابن حنبل والغزالى وابن تيميه ولما جاءت الغزوة

الاستعمارية الحديثة استطاع أصحاب النفوذ أن يعيدوا طرح هذه الفلسفات مـــرة أخرى في أفق الإسلام ليصرفوا المسلمين عن منهجهم الأصيل الذي صنع الحضارة المعاصرة وهو منهج التجريب.

لقد جاءت العقيدة الإسلامية الناصعة لتطرد سحائب الليل المظلم من أفـــق البشرية كلها.

تقول دكتورة فوقية حسين: إن مجتمعنا الذي نعيش فيه لا يعتمـــــد علـــى الفلسفة وإنما يعتمد على عقيدة راسخة تسمح وتتسع لجميع المســـائل الفرعيـــة، فالفلسفة وافدة علينا قديما وحديثا من واقع بعيد عنا وهي إذن بالنسبة لواقعنـــا لا تعني شيئا وتحتاج إلى تقييم، فالفكر الإسلامي وجه الأنظار إلى الواقع منذ نـــزول الوحي وخرجت العلوم عن الفلسفة على أساس أن ما هو (علم) بالمعنى الحديث له سمات معينة على رأسها الواقعية والتقنين بينما هي لا تتسم بالشمول والعموميـــة ولا تعني بالواقع.

وقد أخطأ من لم يعرف مصادر المعرفة كلها ومنها الدين والفكر اليونــــاني الذي كان مرفوضا من الفكر المسلم والذي قضى عليه (ابن تيميه) في كتابه: نقد المنطق والرد على المنطقيين عاد مرة أخرى في صورة المقـــررات الدراســية الـــتي يدرسها الطلبة بالمدارس والجامعات فما يزال أرسطو متربعا على العقـــول علـــى الرغم من أنه لم يعد له هذه المكانة في تراثه.

وشبابنا يتأثرون بهيلمان أرسطو القوي القائم على تبجيل النظر وإســـــقاط العمل.

أضف إلى ذلك المذاهب الفكرية شرقية وغربية و التي تفرض علينا بهـــدف تغيير العقول، وعقول شبابنا تقبل هذا التشكيل لأنها خاوية أصلا من أي حصانـــة فكرية وجموع شبابنا اليوم تماثل جموع العوام وقت ظهور الفلسفة قديما، لأنهم في

حالة انهيار ربما لا جدوى منه والدواء يكمن في تحقيق حالة من الصقـــل الذهـــني والقلبي من خلال تدريس العلوم الإسلامية وهذا لا يعني غض النظر عن المذاهـــب الوافدة بل يجب التعرف عليها ولكن مع التهيؤ الكامل لتحليلها ونقدها.

إن الفكر الإسلامي وجه الأنظار إلى الواقع منذ نزول الوحي ومن يتدبـــــر القرآن الكريم يتبين له هذا المفهوم والآيات في هذا المعـــنى متعـــددة، والشريعـــة الإسلامية تحتوي على مبادئ لم تتوافر فيما سبقها من مذاهب مثل اقتران النظـــر بالعمل ومن الاهتمام بالناحية الاقتصادية والعلاقات بين الأفراد والشعوب.

هذه المبادئ التي كان لها الأثر كل الأثر في النهضة العلمية بالنسبة للعلـــوم الطبيعية بعد أن ثبت وجود الواقع في ذاته. وكان هذا في مستهل القرن في العلوم الإنسانية القائمة على ضبط العلاقات وانضباطها.

وقد تبين أن ما يهتدي إليه الفرد من آراء أملا في تحقيق الاطمئنان العقلـــي والقلبي يوفق إليه الإنسان بتوفيق من الله تبارك وتعالى ومن خلال البديل الرباني.

٨- *اللغة العربية الفصحى: لغة القرآن تواجه امتحانا صعبا*

ركز التغريب على ثلاثة حصون كبرى في الإسلام:

(١) اللغة العربية - من أجل تشويه مكانة القرآن الكريم.

(٢) التاريخ - من أجل تشويه كفاح المسلمين في مواجهة العدو

(٣) التراث - من أجل الحيلولة دون ربط المسلمين حاضرهم بماضيهم.

ولقد عمل الاستشراق والتبشير والغزو الفكري في المجالات الثـــلاث ولمـــا وجدوا أن التبشير لم يحقق أهدافهم في احتواء اللغة العربية وتشويهها والتشكيـــك فيها نزل المستشرقون إلى ميدان العمل الأكاديمي حتى يسهل عليهم نشر أفكارهم بين المثقفين المسلمين. وقد انتقل الاستشراق في العقود الأخيرة إلى مرحلة خطيرة

عن طريق كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات الأوروبية (كما نص على ذلك قرار المجمع الكنسي في فيينا عام ١٣١٢م) حين اعتبر هذا القـــرآن مدخـــلا إلى استغلال التعليم العالمي وتسخيره لخدمة الاستشراق في أشهر جامعـــات أوروبـــا (باريس- أكسفورد - كامبردج) والتأكيد على أن الهدف من كرسي اللغة العربية إنما هو توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذيـــن يرســـلون إلى الجامعات الغربية (وقد نص على ذلك صراحة في قرار إنشاء كرسي اللغة العربيـــة في جامعة كامبردج ١٩٣٦). وآية ذلك أنك تجد أولياء هذه الجامعـــات حـــين تسألهم عن الاستشراق يقولون كلمات ماكرة مضمونهـــا أنهـــم ليســـوا ضـــد الاستشراق وليسوا أيضا مع الاستشراق.

وقضية "الابتعاث" بين البلاد العربية والإسلامية إلى جامعـــات الغـــرب لا تتوقف و لم توضع لها حتى اليوم ضوابط تحمي الشباب المسلم من الرحلة إلى الغرب سواء في نفسه وكيانه أو في عقله وثقافته)، وذلك منذ أنتقل تدريس اللغة العربيـــة للمبعوثين العرب في أوروبا من أروقـــة الكنـــائس والكاتدرائيـــات إلى قاعـــات المحاضرات في الجامعات فأصبحت أكبر مراكز التهجم على الإسلام هي كليـــات الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية (برنستون - هارفارد) اللتين حصلتـــا على إعانات مادية من بعض الأوساط العربية مع الأسف ومن هؤلاء الذي تخرجوا من ينادون الآن في بلادهم بالتنوير والحداثة والعلمانية والدعوة إلى تطوير الإسلام ونبذ الشريعة الإسلامية.

وكان هذا الهدف الذي يتحقق في العقود الأخـــيرة أمـــلا يـــراود أقـــوام الاستعمار منذ وقت بعيد حيث يقول (شاتليه):

أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز العمل ليبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسوية.

ونحن نرى اليوم كيف تندفع "الفرنكفونية" بشدة في بلاد المسلمين لتضـــــع اللغة الفرنسية وفكرها فوق القرآن واللغة العربية.

و لم يتوقف الغزو الفكري ضد اللغة العربية على اليهود والنصاري وليـــــس على الفكر الليبرالي بل هو ممتد إلى الشيوعية والماركسية هؤلاء الذين اســـــتقطبوا عددا كبيرا من الشبان المسلمين لدراسات في جامعة موسكو وبراغ واليوم وهـــم يرون كيف تسقط الشيوعية لا يعتبرون بل ينتقلون فورا إلى صفوف الحرب ضـــد الإسلام نفسه.

وكان زويمر فد كشف موقف المسلمين من مدارس الإرساليات فأعلن أنهم سينشئون المدارس العلمانية ويسهلون الالتحاق بها في مواطن المسلمين أنفســـــهم، هذه المدارس التي تساعدنا في القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب.

ولقد وضعت أكبر جامعة من الإرساليات لتواجه الأزهر الشريف فالبعثات تعمل في الخارج والإرساليات تعمل في الداخل وهم يجبرون الطلاب على الدخول إلى الكنيسة يوم الأحد بدعوى تعلم الحقائق الكبرى التي في التـــوراة وأن تكـــون مركزا للتنوير المسيحي (التنصير) والتأثير المسيحي (الاستعمار).

أضف إلى هذا كليات البنات التبشيرية حيث تقول أكبر داعية "ليس ثمـــــة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة" وهم في هذه الإرساليات يدرسون النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها أوروبا وليس هناك بديل إسلامي لعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وغيرها حيث يدرس نظريات العلماء الغربيين والفروض وردود الأفعال لمجتمعهم على أنها مسلمات وعلوم وقوانـــين لا تقبـــل المراجعة أو النقض.

كل كتابات (سان سيمون، أوجست كونت، دوركايم، ليفي بريل، ديفيد هيوم، أدم سميث، هربرت سبنسر، فرويد، ماركس، انجلـــز، منـــدل، ديـــوي، برتراندرسل، لاسكي) ليس من بينهم شخصية عربية أو إسلامية.

وفي البلاد الإسلامية تقدم الإسلام وتراجعت اللغة العربية وحرص المستعمر على أن يفرض لغته ويفرض عامية الأقطار الأفريقية والآسيوية حتى تتراجع اللغـــة العربية حيث تعلن الحملة على لغات الشعوب المغلوبة بأنها عـــاجزة عـــن حمـــل الأفكار الحديثة والمفاهيم العلمية ولا تصلح للثقافة والبحث. والهدف هو طمـــس الهوية والقضاء على ذاتية المسلمين.

ولما كانت اللغة هي رمز الانتماء فإن التعليم يجب أن يكون باللغة العربيـــة (وهي لغة الثقافة والعقيدة لهذه الأقطار) وأن لغات أفريقيا الهوســـا والســـواحلية متأثرتان بالعربية إلى حد كبير ويمكن أن ينوبا عنها في مستقبل قريب من خـــلال صحوة إسلامية عمادها القرآن الكريم والعربية الفصحى.

القرآن الكريم وسقف اللغة العربية

كان من أخطر ما أحدثه التصوف الفلسفي (باعتباره مادة مـــأخوذة مـــن مصادر غير إسلامية سواء عن طريق الافلاطونية اليونانية أو الغنوصية الفارســـية) ذلك الأسلوب وتلك العبارات الخطيرة التي تدل على مصطلحات باطنية نقلت إلى اللغة العربية وحاولت السيطرة عليها في ذلك الوقت البعيد وعن طريقها ظـــهرت فلسفات الحلول والاتحاد والإشرافية والعقول العشرة وما يسمى بالفيض.

في محاولة لفتح باب اللغة الجديدة التي سوف تنجلي عند النفري وابن عربي والجبلي وغيرهم من الباطنية الذين يدعون إلى ما يسمى تفجير اللغة العربية بذلك

الأسلوب وتلك العبارات الخطيرة التي تدل على مصطلحات باطنيـــة نقلـــت إلى الفصحى لغة القرآن وحاولت السيطرة عليها منذ ذلك الوقت البعيد.

كل هذا عبارة عن مصطلحات وكلمات ونظريات لم يعرفها الإسلام النقي الذي أحاط بعلوم الإسلام كلها واكمل المنهج الإسلامي كله قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى.

ولقد كشف علماء المسلمين هذه الزيوف وأعلنوا فسادها وضلالها حـــتى جاء الفكر الغربي الحديث عن طريق المبشرين والمستشرقين فأعادوا طـــرح هـــذه الصور والكلمات والنظريات مرة أخرى في أفق الإسلام وظهرت أسمـــاء كثـــيرة لمغربيين تابعين أخذوا يعيدون الحديث عنها ويحـــاولون أن يجعلـــوا لهـــا قواعـــد ومنطلقات.

وكان اغلب الذين اهتموا بذلك وعملوا في مجاله من الماركسيين والباطنيين الراغبين في الحصول على الشهرة والمكانة والذين كانوا بطبيعتهم من الحاقدين على الإسلام في مجالاتهم الماركيسة ومنها قفزوا إلى الفكر الباطني الوثني ليعطوه صـــورة جديدة على النحو الذي يكتبه أدونيس وعابد الجابري واركون ونصـــــر حـــامد أبوزيد وأخطر مافى هذا العمل ما يسمونه (تفجير اللغة).

فقد كانت الحرب على القرآن الكريم تركز على اللغة العربية منذ قدم فقد كانوا يتخفون وراء اللغة حتى لا ينكشف أمرهم وقد تبين أنها كانت تمثل مؤامرة واسعة كان ابن سينا والفارابي من أطرافها والحلاج والسهروردي وابـــن ســـبعين وابن عربي من دعاتها ورسائل أخوان الصفا من قوانينها والقرامطة مـــن غاياتهـــا ودعوة الحلاج إلى بناء بيت يطاف به واضح وإشارته إلى العام الذي خرج فيـــه القرامطة مذكور.

وهذا التراث المسموم كله قد جدده أدونيس وادعى في العصر الحديث أنــه منطلق النهضة الحقيقي للعرب والمسلمين.

هذا تقرير غربي هام: (٢)

لقد انتقل الاستشراق إلى مرحلة خطيرة عن طريق كراسي تعليـــم اللغــة العربية في الجامعات الأوروبية (كما نص على ذلك قرار المجمع الكنسي في فينـــا ١٣١٢م) واعتبر هذا القرار مدخلا إلى استغلال التعليم العالي وتســخيره لخدمــة الاستشراق- عن طريق أقسام الدراسات الشرقية في أشـــهر جامعــات أوروبــا (باريس - أكسفورد - كامبردج) والتأكيد على أن الهدف من كرســـي اللغــة العربية إنما هو توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشـــون في الظلمات (نص على ذلك صراحة قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في كامبردج ١٩٣٦)ودخول المستشرقين ميدان العمل الأكاديمي يسهل عليهم نشر أفكـــارهم بين المسلمين.

وقد انتقلت مع انتشار المؤسسات التبشيرية الحرب الصليبية ضد الإسلام من أروقة الكنائس والكاتدرائيات إلى قاعات المحاضرات ودور التعليم العالي فأصبحت أكب مراكز الهجوم على الإسلام هي كليات الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية وبخاصة (برنستون وهارفارد) اللتين حصلتا على إعانات مادية من بعض الأوساط العربية مع الأسف.

هؤلاء ينادون في بلادهم بنبذ الشريعة وتطوير الإســلام ونشـر الحداثــة وانخداع بعض مثقفينا من إنشاء كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوروبية التي لم تثبت إكبارا للغة العربية.

ويقول شاتليه (أحد كبار المبشرين): أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حـــيز العقل ليثبت في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسوية.

– إن الغرب حينما يفتح أبواب جامعاته على مصاريعها أمـــام الدارســين المسلمين لا يستقبل سوى جموع الشباب الصاعد والنشئ الجديد الـــذي يندفـــع بالحماس الطائش يهدم ما بناه آباؤه وأجداده من تراث وحضارة منيعة هي حضارة الإسلام.

– إن تخريب وتشويه عقيدة المسلمين يمكن الوصول إليــــها مـــن خـــلال الجامعات الغربية فيجب أن يختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل في الشرق ليكونوا المبشرين المجـــهولين لنـــا لتأســيس الســـلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية.

– الغزو الفكري ليس وقفا على اليهود أو النصارى بل الشيوعيين الذيـــــن استقطبوا عددا كبيرا من الشبان المسلمين لدراسات في جامعات موسكو أو براغ ثم يقودون حربا لا هوادة لها على الإسلام وجهدا لا فتور فيـــــه لإعـــلاء شـــأن الشيوعية

– يقول زويمر: مادام المسلمون ينفرون من المدارس النصرانية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ويسهل لهم الالتحاق بهذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب – (الجامعة الأمريكية مثلا)

وقد أصبح من الضرورى على الطلبة إجبارهم إلى الدخول إلى الكنيسة

قال المختص أن المؤسسة ليست لبث الأخلاق الحميدة ولكـــــن لتعليـــم الحقائق الكبري التي في التوراة وأن تكون مركز التنوير المسيحي (التنصير) والتأثير المسيحي (الاستعمار)

أما كليات البنات التبشيرية فليس ثمة طريق إلى هدم الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة، وهم يؤكدون أن رسالة الجامعة منحصرة في تشكيك طلبتهم في كل ما يتصل بالعروبة والإسلام.

هؤلاء الأساتذة الذين نأتمنهم على فلاذ أكبادنا معاول هدم في صرح الدين والخلق وعناصر إفساد في الجامعات والمجتمع حيث لا يوجد ما يعصمهم من الإلحاد في دين الله فضلا عن الإباحية السافرة واللاخلاقية التربوية.

- انهم في هذه الجامعات يدرسون النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها أوروبا ليس هناك بديل إسلامي لعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وغيرها ودرس خلفية الفكر الغربي ونقلت نظريات العلماء الغربيين في هذه الحقول ا لخطيرة على أنها مسلمات علمية (سان سيمون واوجست كونت ودوركايم، هونز، هربرت سبنسر، فرون، ماركس، انجلز، مندل، بالفوف، ديوي، برتراند رسل، لاسكي) الخ.

اللغة العربية والخطاب الاستعماري حول اللغة:

هدف الخطاب الاستعماري تبرير سياسة الافتراس اللغوي فضلا عن العنصرية والاحتكار

فلغات الشعوب المغلوبة هي في نظر الاستعمار عاجزة عن حمل الأفكار الحديثة والمفاهيم العلمية ولا تصلح للتعليم والثقافة والبحث والهدف هو طمس الهوية والقضاء على كل خصوصية فهم يزعمون أن اللغات الأوروبية هي اللغات الحقيقية والباقي كله لهجات وأن لغة المستعمر - والفرنسية على الخصوص هي لغة الحضارة والعلم والثقافة وهي الوسيلة الوحيدة لدخول عالم الحداثة والمعاصرة والادعاء بأن اللغة العربية لغة قرون وسطى وهذا هو الخطاب العنصري.

١٠ – تغريب اللغة العربية

تجري المحاولات منذ وقت بعيد لإخراج اللغة العربية من بيانها القرآني وبلاغتها ومنهجها الأصيل الذي أسبغ عليه القرآن الكريم بتروله بها طابعاً متميزاً.ودعاة تغريب اللغة العربية ينطلقون من منطلق اللغة اللاتينية القديمة التي حبستها المحافل القديمة حين انطلقت العاميات الغربية التي نشأت منها اللغات الفرنسية والإيطالية والإنجليزية المعاصرة.

فقد ظنوا أن اللغة العربية يمكن أن تصير إلى هذا المصير وجهلوا الدور الخطير الذي أحدثه القرآن الكريم.

ولقد عمل خصوم الإسلام منذ وقت بعيد على ما أطلق عليه "تفجير اللغة" على النحو الذي قام به دعاة "التصوف الفلسفي (النفري وابن عربي والحلاج والجبلي وغيرهم) حين أدخلوا تلك المصطلحات التي نقلوها من الفكر اليوناني والفكر الفارسي القديم في محاولة لإنشاء لغة جديدة تحجب لغة القرآن.

وكان من أخطر ما أحدثه التصوف الفلسفي (باعتباره مادة مأخوذة من مصادر غير إسلامية سواء عن طريق الأفلاطونية اليونانية أو الغنوصية الفارسية) ذلك الأسلوب وتلك العبارات الخطيرة التي تدل على مصطلحات باطنية نقلت إلى اللغة العربية وحاولت السيطرة عليها في ذلك الوقت البعيد وعن طريقها ظهرت فلسفات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والإشراقية والعقول العشرة وما يسمى بنظرية الفيض.

وكل هذا عبارة عن مصطلحات وكلمات ونظريات لم يعرفها الإسلام أو البيان الإسلامي الذي أحاط بعلوم الإسلام كلها وأكمل المنهج الإسلامي قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى.

ولقد كشف علماء المسلمين هذه الزيوف وأعلنوا فسادها وضلالها حتى جاء الفكر الغربي الحديث عن طريق المبشرين والمستشرقين فأعادوا طرح هذه الصور والكلمات والنظريات مرة أخرى في أفق الإسلام وظهرت أسماء كثيرة لمغربيين تابعين أخذوا يعيدون الحديث عنها ويحاولون أن يجعلوا لها قواعد ومنطلقات.

وكان اغلب الذين اهتموا بذلك وعملوا في مجاله من الماركسيين والباطنيين الراغبين في الحصول على الشهرة والمكانة والذين كانوا بطبيعتهم من الحاقدين على الإسلام في مجالاتهم الماركسية ومنها قفزوا إلى الفكر الباطني الوثني ليعطوه صورة جديدة على النحو الذي يكتبه يوسف زيدان ونصر حامد أدونيس وعابد الجابري واركون ونصر حامد أبو زيد وأخطره هذا العمل الذي يسمونه (تفجير اللغة).

لقد كانت الحرب على القرآن الكريم تركز على اللغة منذ قديم فقد كانوا يتخفون وراء اللغة حتى لا ينكشف أمرهم وقد تبين أنها كانت تمثل مؤامرة واسعة كان ابن سينا والفارابي من أطرافها والحلاج والسهروردي وابن سبعين وابن عربي من دعاتها ورسائل أخوان الصفا من قوانينها والقرامطة من غاياتها ودعوة الحلاج إلى بناء بيت يطاف به واضح وإشارته إلى العام الذي خرج فيه القرامطة مذكور.

وهذا التراث المسموم كله قد جدده أدونيس وغيره وادعى في العصر الحديث أنه منطلق النهضة الحقيقي للعرب

واليوم نرى هذه الظاهرة تستشري حين -تستعمل الكلمات الأجنبية بمفاهيم البنيوية والأسلوبية في إقحام هذه المصطلحات على النصوص النقدية العربية.

يقول الدكتور عبد القادر القط: إن هذا يطيح بدور الناقد ووظيفته التي تتمثل في إضاءة دلالات النص وقيمه البيانية والجمالية للقارئ ويغيب عن المقال

النقدي أسلوبه الخاص ورؤيته المتميزة فينقلب النقد إلى ما يشبه التحليل المعملـــي هذا الذي يتحول على يد الناقد إلى ما يشبه الكيان الغيـــبي المغلــف بالطلاســم والأسرار.

فهو أحيانا مشطر وأحيانا مرمز ومفكك ومؤســلب ومؤنـــس ومتـــأمتل ومتحنصل ومتمنطق ومتراح ومنجرف ومتناهي (كل هذه كلمات مخترعة بطريقة الأغراب) وهناك سيل من المصطلحات يختلف النقاد في ابتكارها أو تغريبـــها وإن ظل معناها غير محدد أو واضح عند قارئ النص الأدبي الذي يلتمس في النقد عونا على القراءة الواعية العميقة.

ومنذ بدأ نقادنا يتجهون إلى هذه المناهج وبخاصة البنيوية والأسلوبية ظهرت طائفة من الكتب والبحوث تدور حول تاريخ هذه المناهج وردودها ونظرياتها.

كل هذا يثير بلبلة القارئ وحيرته مع خلافهم في فهمهم لهـــذه النظريـــات وقدرتهم على نقلها.

وقد توسع نقاد الحداثة في معنى المصطلح وترجمتهم كلمات عاديـــة مـــن الإنجليزية أو الفرنسية على أنها مصطلحات.

ويمكن في الصحيح ابتكار مصطلح عربي من ترجمة المصطلـــح لا أن يبقـــى على نصف المصطلح ويترجم نصفه الآخر إلى العربية، فلابد من نص عــــربي لـــه إيقاع عربي.

ارتبط الأدب في مفهوم الإسلام بالأخلاق والسمو والاستعلاء على الباطل والشر والفاحشة وعندما ترجمت آثار اليونان لم يقبل المسلمون شعر اليونان وقصصهم وقبلوا العلوم وأعرضوا عن الفلسفات والشرائع. كما رفض المسلمون مفاهيم المنطق اليوناني ورفضوا فكر أرسطو المادي وعندما ظهرت كتابات الفارابي وابن سينا وُصِفَ هؤلاء بالمشائين المسلمين أسوة بالمشائين اليونان وظهر من أعلام الإسلام من كشف زيف فلسفات اليونان والفرس سواء منها الفلسفة الهلينية أو الغنوصية، فلما جاء العصر الحديث وسيطر النفوذ الأجنبي على الأمة الإسلامية ترجمت أثار اليونان القديمة وقصص الإباحة والجنس الفرنسي وظل موقف الإسلام ثابتاً أمام هذه المطروحات.

وعندما ظهر أعلام الأدب العربي الحديث لم يكونوا من تلاميذ المدرسة الإسلامية بل كانوا من تلاميذ المدرسة الليبرالية التي تعتبر لطفي السيد أستاذها الأول.

يقول دكتور محمد محمد حسين: إن طه حسين والعقاد لا ينتميان أصلاً إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ولكنهما ينتميان منذ نشأتهما إلى المدرسة الليبرالية المحررة التي تحكم العقل المجرد المتحرر من كل المواريث الفكرية والسلوكية في كل شئ ولا تبالي أن تلتقي مع الدين في كل وجهات النظر أو في بعضها أو تتعارض معه تخالفه. ولقد كان طه حسين أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضته الدين وفي المجاهرة بما يثير الناس ليلفت إلى نفسه الأنظار.

فقد هاجم طه حسين أباه لما كان يتلوه من أوراد في أعقاب الصلاة وفي الليل في كتاب الأيام.

وعندما اكتسحت الموجة الإسلامية العارمة طه حسين والعقـــاد تتـــابعت كتبهما بعد أن أصبح ذلك هو البدع الشائع الذي يغمر الأسواق و لم يعد التشدق بالكفر ونظراته المستوردة سمة من سمات المفكرين ويستهوي الإغراء من الشبـــاب كما كان في العشرينات ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامـــل عدلـــت بالناس وبكثير من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربيـــة والفكـــر الغـــربي وردهم إلى طريق الإسلام (موجة التبشير – هجرة اليهود إلى فلسطين – ســـقوط الخلافة على يد الكماليين، ظهور جمعية إسلامية عظيمة يقودها الإخوان والشبان)

إن هناك قاعدة أساسية ينبغي أن توضع في الحساب حين يـــوزن الأدبـــاء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية وهي أن الإسلام نظرية في السلوك بمثل مـــا انه نظرية في المعرفة، ولذلك كان من المهم أن لا يقبـــل فكـــر إســـلامي أو أدب إسلامي من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ومعروف أن طه حسين والعقاد لم يكونا ممارسين للإسلام في أصوله الأصيلة.

والمعروف أن من وراء وسائل الإعلام جهات مختلفة ذات نفوذ وســـلطان تجمعها عداوة الإسلام والكيد له، وهي تعمل بأيدي ضعاف المســـلمين الذيـــن يغريهم بريق المال والجاه) أ.هـــ

***

وهذا يسلمنا إلى دسائس الصهيونية في الأدب العربي، فقد شاعت في الأدب الحديث قضايا الخيانة والجريمة والانحراف الإباحي ولذلك عني بعضـــهم بدراســـة الشعراء الصعاليك ودرس طه حسين كل شعراء الفاحشة والإثم والغزل المذكر (أبو نواس وبشار وغيرهما). وتلك مهمة المستشرقين (الذين هم في الأصل مبشرين من الكنيسة يلبسون لباس العلماء) فهم يوجهون من يلجأ إليهم من شباب المســـلمين المهاجرين إلى الغرب إلى هذه الجوانب لإحيائها وتضخيمها. كذلـــك فـــهم في

الجامعات في أنحاء البلاد العربية والإسلامية يلتمسون مفاهيم نظريات الأدب الغربي (حتى الأزهر الشريف اليوم) وتطبيقها على الأدب العربي وقد انقسم الكتاب العرب بين المدرسة اللاتينية والمدرسة الإنجليزية والأمريكية والمدرسة الماركسية وما يزال (سانت بيف وبرونتير وتين) هم قبلة أدباء الوجهة الفرنسية وما كولي وهازلت هم قبلة أدباء الإنجليزية، أمثال شكري والمازني والعقاد (مدرسة الديوان) وهذا كله يجري مع وجهة الصهيونية في تدمير مقومات القيم الإسلامية في الأخلاق والاجتماع.

***

يقول الأستاذ ليوبولد فابس (محمد أسد) إن الإسلام بعيد عن أي فكرة أو أيدلوجية فهو مختلف تماماً، أحذر من استخدام التصورات والتعبيرات الأدبية الغربية فيما يتعلق بالإسلام، فالإسلام لديه تعبيراته الفنية الخالصة وتصوره الكامل وغير المتواجد في أي شئ آخر، فالإسلام وحدة متكاملة متحدة وليس مثله من شئ على الإطلاق".

١٢ – *التربية الإسلامية*

يقوم منهج التربية في الإسلام على قاعدتين أساسيتين:

الأولى: إنها تربية شاملة للعقل والقلب والجسم.

الثانية: أنها تربية متخصصة تكون الرجل لمهمته والمرأة لمهمتها. إن هدف التربية الإسلامية هو تخريج أفراد صالحين فكراً وخلقاً وتطبيقاً لقواعد الشريعة والحكم بما أنزل الله ملتزمين بوحدانية الله وبمساواة البشر وبجوهر العدالة والاستمرار في تبليغ الدعوة الإسلامية.

وتبدأ التربية في المترل وفي المدرسة وفي التعامل مع الناس علـــى أن يكـــون المتعلم واعياً لمسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي متعرف على حقوق والديه وأهله وجيرانه مقدراً لعلاقاته الاجتماعية في التعامل مع الناس في مجال التجـــارة والبيـــع والشراء.

أما المرأة فلابد أن تتعلم كل ما يتعلق بمهمتها في المجتمع وأن تكون منـــاهج التعليم الخاصة بها مختلفة في جوانب كثيرة عن مناهج الرجال من حيـــث تقـــدم قضاياها الخاصة بمهمتها في المترل ومع الزوج ومع الأبناء ومع زملاء العمل بحيث يحفظ لها الإسلام كرامتها ويحمي كيالها.

ويجب أن تدرس جميع المواد بطريقة لا تعارض وجهة النظر الإسلامية بـــل توافقها.

وبالنسبة للطفل فيجب أن يحفظ الأطفال قدراً كافياً من القرآن الكريم وأن يلم إلماما واسعاً بسيرة الرسول وتاريخه بوصفه المثل الأعلى للمسلم في حياته العامة والخاصة وأن تقدم لهم شذرات كافية من السنة النبوية.

أما اللغة العربية فيجب العناية بها عناية صاعدة تدفع الشباب إلى حب لغته وتقديرها وإعزازها لألها حملت أمانة تبليغ القرآن الكريم والسنة النبوية إلى العالمين.

كذلك فلابد من إعداد المدرس المعلم الذي هو بمثابـــة القـــدوة للطـــلاب والمرجع لهم فيما يحتاجون إلى التعرف عليه من شئون الحياة والمجتمع.

ولابد من تربية العقل بالثقافة العلمية وتزيين النفس بالثقافة التي تعمق الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسله وكتبه ولابد من رعاية رياضية كاملة لتنميـــــة الجســـم وحمايته فالإسلام يجعل ذلك كله منهجاً متكاملاً. مع التركيز على روح الجـــــهاد الإسلامي.

وقد امتاز منهج التربية الإسلامية عن النظريات الحديثة في أسلوب تربية الأبناء التي تعمل على جرف الشباب عن الدين.

كما أنه لا يقر التعليم المنفصل عن التربية الدينية التي تبني العقيدة والتقوى وتعمق الإيمان وتذكر الإنسان بالله تبارك وتعالى وتقرر أصول الثواب والعقاب.

ويرى كثير من علماء التربية أن لا تقتصر التربية الإسلامية على نقل المعارف والعلوم التي حصلها السلف وإنما من واجبها أن تمد الأجيال الجديدة بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقائق عن طريق السمع والبصر والفؤاد. يقول الدكتور خورشيد أحمد: إن المفهوم الإسلامي للتربية يركز على الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقي للمعرفة لأنه العالم بكل فرد وهو الذي فتح للإنسان باب معرفة الأشياء ويقرر الباحثون أن ارتباط التعليم بالأخلاق عملية مترابطة وأساسية بل إن التعليم والأخلاق وجهان لحقيقة واحدة.

ويقرر علماء التربية الإسلامية أنه لابد من استحداث نظام جديد يختلف عن المفهوم المادي الذي يقوم على استغلال الإنسان للإنسان، هذا النظام الجديد يقوم على اكتشاف المعارف والعلوم وإخضاعها لخدمة المثل العليا الإسلامية.

وليس أمام المسلمين من طريق لبقائهم كمجتمع متميز عن باقي المجتمعات سوى تحقيق هذا الهدف.

ولابد أن تلتزم جميع الدول الإسلامية بتنفيذ استراتيجية التربية والتعليم الإسلامي بأن يبدأ التعليم في المنزل ويستمر في المسجد والمدرسة والجامعة وينبغي تدريب الوالدين وبخاصة الأمهات على تربية الأبناء بتربية أخلاقية أولية في المنزل حتى تتشرب عقول الأطفال حب القيم الخلقية.

ثم تدرس جميع المواد بطريقة تقوم على شرح وجهة النظر الإسلامية وتكون الدراسات الإسلامية مواد إلزامية حتى المستوى الجامعي حتى يصبح الطالب قادراً على فهم المشكلات الحقيقية في مجتمعه ويأخذ في حلها على ضوء الإسلام وتعاليمه.

وكذلك يجري تدريب المدرسين على إعداد الشباب بما يحفظهم من الأخطار التي تواجههم والغزو الفكري والاجتماعي

ويتلخص هدف التربية الإسلامية في هذه النقاط:

أولاً: المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

ثانياً: تنمية مواهبه واستعداداته كلها.

ثالثا: توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق.

رابعا: التدرج في هذه العملية.

***

ويركز الأستاذ محمد الصالح عزيز حقائق الفكر التربوي في عناصر خمسة

أولاً : الأصالة – أصالته في نظرته الخاصة إلى الإنسان وعلاقته مع العالم المادي.

وبذلك يجب تحرير المسلم من مذاهب الإلحاد والمادية الغربية (الدارونية – الماركسية – نظرية فرويد – نظرية ارتباط الأخلاق بالعصور).

ثانياً :الإيجابية بمعنى الفاعلية:

وهي تقوم على أساس المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي في بناء الحياة والتعرف على سنن الله في الكون المادي وفي حياة الإنسان واستغلال ذلك كله في تنظيم الحياة البشرية.

ثالثا: الشمول والتكامل

وتعني الإيمان بالجانبين المحسوس والروحي (بينما أغفلت الحضارات الغربية الجانب الروحي).

رابعًا: التوازن في السلوك

بعيداً عن الاندفاع وعن القلق والضياع

خامساً : الأخلاق

وتعني مقررات الضوابط الأخلاقية التي تجعل أعمال الإنسان ليست غاية في ذاتها وإنما هي طريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى

***

ولابد من رعاية المحاذير:

فقد أدى الخضوع لأنظمة الغرب في جميع مجالات الحياة عامة وفي المجال التربوي بشكل خاص إلى فقدان هوية الأمة، إذ لم يعد لها هوية خاصة تميزها عن غيرها من الأمم.

بل لم تبق أمة واحدة كما كانت في ظل الإسلام بل أصبحت أمما وشعوباً مختلفة - وهذا ما كان يرمي إليه التغريب والنفوذ الأجنبي - متناقضة ومتحاربة.

١٣- نحو نظام تربوي جديد للعالم الإسلامي

يقول الدكتور خورشيد أحمد (باكستان)

العالم الإسلامي في حاجة إلى نظام تربوي جديد في وسعه إنجاز هذه المهمة في المستقبل:

أولاً: ألا تقتصر التربية الإسلامية على نقل المعارف والعلوم التي حصلها السلف إنما من واجبها أن تمد الأجيال بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقائق عن طريق السمع والبصر والفؤاد.

ثانياً : أن المفهوم الإسلامي للتربية يرتكز على الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقي للمعرفة لأنه العالم بكل فرد وهو الذي فتح للإنسان معرفة الأشياء:

"اصطناع الحاجات في الحياة لأهداف الحياة"

وهذا هو المفهوم الذي يشكل الأيدلوجية لنظامنا التربوي والتعليمي

ثالثاً: واجب النظام التربوي التعليمي أن يخرجّ رجالاً ونساء وفق الأهداف التي حددها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم وهي معرفة الله وصفاته وأركان الإسلام والإيمان.

رابعاً : ارتباط التعليم بالأخلاق ودورهما في تكوين الشخصية الإسلامية إن كلاً من التعليم وتنشئة الأخلاق عملية مرتبطة بالأخرى فالتعليم من الكتب وتحصيل الحكم العملية والقيم الأخلاقية عملية واحدة متصلة الحلقات في تكوين الشخصية الإسلامية.

فالتعليم والأخلاق وجهان لحقيقة واحدة

خامسا: ذكر القرآن أن من وظائف النبي تعليم الكتاب والحكم وتزكية النفوس وتكامل هاتين الوظيفتين في التربية معناه ترابط التعليم وعملية التزكية في عملة واحدة تنجز في آن واحد.

سادساً: أهداف التربية الإسلامية:

إن الهدف العام للتربية الإسلامية هو تخريج أفراد صالحين فكـــراً وخلقـــاً وتطبيقاً لقواعد الشريعة والحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى ملتزمين بوحدانيـــة الله وبمساواة البشر وبجوهر العدالة والاستمرار في تبليغ الدعوة الإسلامية.

سابعاً: الأسلوب الإسلامي من التربية التي تسد حاجة المجتمـــع الإســـلامي الأيدلوجية والمادية والتكنولوجية بطريقة تجعل المسلمين يصبحون قادة العالم ليس لأن للمسلمين حقاً طبيعياً في أن يكونوا قادة للبشر وإنما لأن الإسلام ينشر النـــور ويهدف لإعادة تركيب نسيج الحياة البشرية على أساس تقوى الله ومساواة البشر وأخذهم بالعدل.

ثامناً: لابد من استحداث نظام جديد يختلف عن المفهوم الإلحادي ومصالح الصفوة واستغلال الإنسان للإنسان

فهذه هي المهمة التي وكل الله تعالى بها المسلمين لتحقيقها. ويترتب علـــى ذلك إعادة بناء الفكر الإنساني بناءاً جديداً وأن يسبقوا الآخريـــن إلى اكتشـــاف المعارف والعلوم وأن يقيموا جناح التنقية ويخضعوها لخدمة المثل العليا

تاسعاً: ليس أمامنا طريق آخر لبقائنا كمجتمع متميز عن باقي المجتمعـــات سوى تحقيق هذا الهدف.

ولابد أن تلتزم جميع الدول الإسلامية بتقنين استراتيجية التربية والثقافـــة الإسلامية بأن يبدأ التعليم في المترل ويستمر في المسجد والمدرسة والكلية وينبغـــي تدريب الوالدين وخاصة الأمهات على تربية الأبناء تربية أخلاقية أولية في المـــترل حتى تتشرب عقول الأطفال حب القيم الخلقية.

عاشراً: إعطاء أهمية كبرى لتلاوة القرآن وسيرة الرسول ﷺ وإتمام دراسة جميع تعاليم الإسلام الأساسية في المرحة الثانوية وتنمية محبة الرسول والصحابة. وأن يكون المجتمع المدرسي مشبعاً بروح الفضائل الإسلامية.

حادي عشر: تدرس جميع المواد بطريقة يمكن معها شرح وجهة النظر الإسلامية وجعل الطلاب يألفون روح البحث عن المشكلات الأكاديمية وغيرها من وجهة نظر إسلامية.

وتكون الدراسات الإسلامية مواد إلزامية حتى المستوى الجامعي حتى يصبح الطالب قادراً على فهم المشكلات الحقيقية في مجتمعه وأخذ بحلها في ضوء مبادئ الإسلام وتعاليمه.

ثاني عشر: إعادة صياغة التعليم الابتدائي والمتوسط في التعليم الثانوي ذلك أن نجاح الشريعة يعتمد في المقام الأول بحيث يساير الشريعة الإسلامية في مفاهيمها ومبادئها القانونية والفقهية

ثالث عشر: تمايز الفكر التربوي الإسلامي بخصائص دفعت المسلمين إلى طرق أبواب المعرفة بأنواعها و لم تقتصر على علم دون أخر. وتتمثل خصائص الفكر التربوي الإسلامي في:

(١) الأصالة (٢) الفاعلية (الإيجابية) (٣) التكامل (٤) التوازن

(٥) الأخلاق

وتقوم نظريات التربية الغربية على كسب الرزق وتحقيق الذات وإيجاد المواطن الصالح.

أما هدف التربية الإسلامية فهو تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى.

إن قضية الإيمان هي القصد الأول للإنسان. إن العبودية لله تحررنا من العبوديات كلها.

وتقوم هذه التربية الإسلامية على:

(١) المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

(٢) تنمية مواهبه واستعداداته كلها.

(٣) توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق.

(٤) التدرج في هذه العملية في خطط متدرجة.

إن التربية لابد أن تستضئ بنور الشريعة الإلهية وتسير وفق أحكامها وهدفها تربية الإنسان الصالح.

كذلك يجب التفرقة بين التربية والتعليم:

- فمصطلح التعليم أقل شمولاً وأضيق مدلولاً.

- فالتربية تشتمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية حيث تتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية وإيقاظ المشاعر السامية والتدريب على الخلق الجميل.

الخصائص:

١ - الأصالة:

أصالة الفكر التربوي في نظرته الخاصة إلى الإنسان وعلاقاته مع العالم المادي (الدارونية في الغرب، الماركسية في الشرق، والجنس عند فرويد، الإنسان يختلف في الإسلام عن مختلف المذاهب كما أنه مستخلف ويستمد الفكر التربوي الإسلامي من نظرية الحاجة إلى الإنسان وماهيته وعلاقاته مع العالم المادي والمجتمع.

٢- الإيجابية الفاعلة:

المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي في بناء الحياة والتعرف على سنن الله (تبارك وتعالى) في الكون المادي وفي حياة الإنسان واستعلان تكامله في تنظيم الحياة البشرية.

٣- الشمولية والتكامل:

الإيمان بالجانبين المحسوس والروحي بينما أغفلت الحضارات الحديثة الجانب الروحي.

٤- التوازن في السلوك:

بعيداً عن القلق والضياع.

٥- الأخلاق:

الضوابط الأخلاقية هي التي تجعل أعمال الإنسان ليست غاية في ذاتها وإنما هي طريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى.(محمد صالح عزيز)

● نحن لا يخاف الفكر الإسلامي من التفتح على الآخرين ولا من تطور العلوم لأنها سوف لا تستخدم إلا في صالح البشرية.

● عدم التوقف عند الإيمان بالجانب المحسوس من الإنسان والحياة والنظم التي بُنيت على أساسه تهتم بكل محسوس وحين أغفلت الجانب الروحي أهملت التوحيد والعقيدة والأخلاق.

وقد جرّت النظم والمذاهب الوافدة على المسلمين الويلات والمحن فقد المجتمع معالمه و لم يعد إسلامه ولاء عربياً لأن الغرب لم يسمح له إلا بالقشور وسيئ الأخلاق مما عرض الهوية الإسلامية للخطر. وذلك لأن التغيير ليس في واقع المسلم وإنما في نفس المسلم. **{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}** فلابد من إعادة صياغته وبناء عقيدته الصافية لتعود له "هوية الإسلام" الأصيلة.

إن البداية الصحيحة للعلاج تكمن في تبني شرع الله ومنهج الله.

لقد أدى الخضوع لأنظمة الغرب في جميع مجالات الحياة بعامة وفي المجال التربوي بشكل خاص إلى فقدان هوية الأمة، إذ لم يعد لها هوية خاصة تميزها عن

غيرها من الأمم بل لم تبق أمة واحدة كما كانت في ظل الإسلام بل أصبحت أمماً وشعوباً مختلفة متناحرة متحاربة.

على الرغم من انهيار دولته السياسية فقد بقيت العقيدة قائمة فكانت هي قوته ودعامته في مواجهة التحديات مع خطر شدتها وضراوتها.

ما ينقص التربية الإسلامية

١- جانب العاطفة والإيمان والحب:

ويتمثل في قوة العاطفة التي أحدثت الروائع الإيمانية والبطولات التي لا نظير لها في تاريخ الأمم وقد جنى إهمال هذا الجانب على نظامنا التعليمي وافقده العمق والرقة والسمو وقوة المقاومة وصلاحية الإبداع فأصبح نظامنا نظاماً خاملاً.

٢- دراسة العلوم بطريقة لا تساعد على بيان عظمة الخالق جل وعلا وترسيخ إيماننا به وإحكام سيطرتنا على الطبيعة

٣- خطأ تقسيم التربية إلى دينية ودنيوية:

لم يعرف الإسلام في تاريخه الطويل هذه الازدواج التعليمي وقد أدى الفصل بين المعارف إلى دينية ودنيوية إلى عزل العلوم الدينية عن ركب الحياة ومشاكلها وتطورها.

وعزل العلوم الدنيوية عن الحكمة وجعلها تدور في الأطر المادية للأشياء فقط.

(٤) خطر التبعية للنموذج الحضاري الغربي:

لفشله في علاج مشكلات العالم المتقدم نفسه وفشله في تحقيق التوازن بين التطور العلمي التكنولوجي من جانب والتطور الإنساني الروحي من جانب آخر وقد جعل هذا الإنسان أكثر تقدماً دون أن يجعله أكثر سعادة بحيث نأى عن رسالتها الحقيقية: (رسالة تسخير الكون لخدمة الإنسان)

***

مركز عالمي للتربية ونظرته إسلامية للمناهج الدراسية:

هذا ما أسفر عنه المؤتمر الإسلامي الخامس للتربية الذي دعا العلماء إلى

(١) وضع نظرية إسلامية في التربية يسترشد بها في المناهج الدراسية وإعداد المعلمين ومراجعة جميع المناهج التعليمية (من الحضانة إلى الثانوي) وتنقيتها مما يتعارض مع المبادئ والقيم الإسلامية.

(٢) الاهتمام بتحفيظ القرآن والسيرة النبوية و تدريسها في جميع المراحل.

(٣) العناية باللغة العربية طوال مراحل الدراسة المختلفة.

(٤) دعم الأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم ومطالبة هذه الدول بالاعتراف بالتعليم الإسلامي لأبناء الأقليات المسلمة حفاظاً على ذاتيتهم وشخصياتهم الإسلامية من الذوبان في المجتمعات غير الإسلامية.

(٥) إنشاء معاهد إسلامية نموذجية في مختلف دول العالم الإسلامي تتولى إعداد المعلمين المقرين بالإسلام: عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

(٦) الاهتمام بالطفولة (وبخاصة في مرحلة الحضانة) ورياض الأطفال لسد حاجة المسلمين في كل مكان والاستغناء عن الحضارة غير الإسلامية.

(٧) استكمال التربية من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية الثقافية والاهتمام بالتربية المهنية والعسكرية مع التركيز على روح الجهاد الإسلامي وتزويد تلاميذ الأمة الإسلامية بزاد الثقافة الإسلامية العامة الذي من شأنه توحيد المفاهيم والتي تميز شخصيتها الإسلامية.

***

ويقول الأستاذ سعيد إسماعيل على: أن التربية الإسلامية بحكم اسمها محدودة بمصدري الإسلام الأساسيين وهما القرآن والسنة.

إن الذي يعبر عن التربية الإسلامية حقاً هو القرآن الكريم والسنة النبوية وليس هذا الفكر أو ذاك.

إن القرآن والسنة هما الثوابت التي يجب أن نحيطها بالتقدير والتقديس ولا تخضع لمتغيرات الزمان والمكان وهي فوق النقد أما آراء المفكرين فإننا نستعين بها للشرح والتحليل وهي متغيرات قابلة للأخذ والعطاء.

١٤- *الفتوح الإسلامية*

حاول خصوم الإسلام الطعن في الفتوح الإسلامية وتصويرها بصورة مضطربة خاطئة رغبة منهم في تدمير الضوء الكاشف الذي ترسله هذه البطولات إلى قلب المسلم في هذا العصر فتجعله قوياً متماسكاً متطلعاً إلى إعادة بناء مجد أمته من جديد على ضوء المنهج الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم ونفذه النبي محمد ﷺ وسار عليه الصحابة والتابعون.

والذي استطاع به المسلمون رد عادية جحافل التتار والصليبيين التي اندفعت إلى قلب العالم الإسلامي بهدف تدميره والقضاء على الإسلام.

ففي معارك المسلمين حطين وعين جالوت والزلاقة وغيرها كان المفهوم الإسلامي من وراء هذه القوة ودافعها الحقيقي الجهاد في سبيل الله وبيع الأنفس والأموال خالصة لله تبارك وتعالى.

يقول اللواء جمال الدين محفوظ

لقد حققت العسكرية الإسلامية إنجازات رائعة في مجال الصراع بين المسلمين وأعدائهم ومن ذلك ما أصبح من حقائق التاريخ التي لا تنازع:

١- تأمين الدعوة وتأسيس الدولة الإسلامية وتحقيق الأمن والاستقرار لها لكي تؤدي رسالتها السامية لخير البشرية.

٢- امتداد الفتوحات الإسلامية في اقل من مائة عام من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

٣- تمكين الدولة الإسلامية الناشئة من إدارة دفة الحرب في جبهتين عظيمتين في وقت واحد في مواجهة أعظم قوتين عالميتين في ذلك الوقت وهي فارس وبيزنطة والانتصار عليهما.

٤- سرعة إتقان العرب والمسلمين وهم أبناء الصحراء ركوب الأساطيل والحرب البحرية وتغلبهم على أسطول بيزنطة وهو أعظم قوة بحرية في زمانهم حتى يقول عنهم ابن خلدون: (إن المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم (البحر المتوسط) وأن أساطيلهم سارت فيها جائية ذاهبة من صقلية إلى تونس والرومان والصقالية والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم وتخاف الدنو من أساطيل المسلمين إلى قريب كضراء الأسد على فريسته.

٥- فتح الطريق لتأسيس الحضارة الإسلامية وفتوحاتها العبقرية لخير البشرية في ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية فأصبح العرب المسلمون بعد أن كانوا أقل حضارة من الفرس والروم وبخاصة مع إخوانهم من الأقوام الأخرى قادة للحضارة العالمية فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر: جابر بن حيان في الكيمياء وابن الهيثم في الطبيعيات وأبو بكر الرازي ، وابن سينا في الطب كذلك والغزالي في الجانب الروحي وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ والخوارزمي في الرياضيات وعشرات غيرهم.

ولولا جهاد المسلمين الأوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله لتغير وجه التاريخ ولتخلفت الحضارة الحديثة عن الظهور.

وفي يقيني إذا كان المسلمون يسعون إلى نهضة حضارية شاملة فإن نقطة الانطلاق هي إحياء العسكرية الإسلامية لكي تأخذ دورها في تلك النهضة المرجوة

مثلما أخذت دورها في بناء الحضارة الإسلامية في الماضي وكذلك إحياء تـــاريخ الفتوح والغزوات الذي سيكون حصن الشباب الأول الذي يحتمون فيه من سهام الغزو الفكري العسكري وقاعدة انطلاق نحو بناء القوة العسكرية للأمة الإسلامية وإقامتها على دعائم راسخة من الأصالة وأمجاد التاريخ.

ولابد من العمل على تصحيح المفاهيم التي سادت في الدول الأجنبية عـــن تخلف الإسلام في مجال العلم العسكري وفن الحرب التي حفلت بها المراجع الـــتي تناولت تاريخ الجهاد وتطور فن الحرب.

ويتحدث اللواء محمود شيت خطاب عن الفتح الإسلامي فيقول:

قاد الرسول ﷺ ثماني وعشرين غزوة وبعث سبعا وأربعين سرية ووحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام وقال وهو على فراش الموت:

(لا يبقى في الجزيرة دينان)

وقد جاءت حروب الردة في أوائل خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنـــه واستمرت نحو سنة كاملة أحرز فيها المسلمون النصر المؤزر على المرتدين ثم بدأت معارك الفتح الإسلامي بعد عودة الوحدة إلى شبه الجزيرة تحت لـــواء الإســـلام بانتصار المسلمين في حروب الردة سنة إحدى عشرة للهجرة في عـــهد أبي بكـــر وتصاعد مد الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب وأوائل عهد عثمان حتى أصبح طوفانا عارما.

ثم أصيب الفتح بنكسة من جراء اختلاف المسلمين فأصيب هـــذا الفتـــح بالجزر ثم استأنف مسيرته المظفرة بعد إعادة الوحدة ثانية إلى المسلمين فاســـتعادت معارك الفتح مدها العارم كما استعاد المسلمون فتح البلاد الـــتي ســـبق فتحـــها وانتفضت وتوقف الفتح سنة مائة للهجرة ٧١٨ م.

ومن ثم بدأت معارك الدفاع عن البلاد الإسلامية.

وجاء التتار بجحافلهم فاستولوا على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة (١٢٥٨ م) وقتلوا مئات الألوف من أهلها ونهبوا خزائنها ودخائرها وحرقوا كتبها والقوا بقسم منها في نهر دجلة وقضوا على الخلافة العباسية ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وأفراد أسرته وأكابر دولته وانهزم المسلمون عسكريا أمام التتار ولكن الإسلام انتصر على قلوب التتار فلم يلبثوا إلا قليلا حتى اعتنقوا الإسلام.

وفتح أسد بن الفرات جزيرة صقلية سنة ثلاثة عشرة ومائتين للهجرة ٨٢٨م واستعاد صلاح الدين الأيوبي فتح القدس من الصليبيين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة ١١٨٧ م.

واستطاع السلطان قطز في معركة عين جالوت الانتصار على التتار على أرض فلسطين سنة ثمان وخمسين وستمائة للهجرة (١٢٦٠ م) أي بعد انتصارهم على العباسيين في بغداد بعامين فقط.

وفتح محمد الخامس القسطنطينية سنة ٨٥٧ هجرية (١٤٥٣ م)

ثم جاءت الغزوة الاستعمارية و لم ينج من الاستعمار إلا شبه الجزيرة العربية وأفغانستان.

وأقتطع العدو الصهيوني قسما من فلسطين وأوجد له كيانا في ذلك الجزء من البلاد العربية بمعاونة الاستعمار ١٩٤٨-١٣٦٨ هـ.

وفي عام ١٩٦٧-١٣٨٧ هـ استطاع ذلك العدو السيطرة على فلسطين كافة وأجزاء من سوريا والأردن ومصر.

***

وتعد معارك الفتح واستعادة الفتح من المفاخر الأولى والأخيرة للعرب والمسلمين لأنها أثبتت عمليا أن هذه الأمة قادرة على الفتوح وعلى استعادة

الأرض من الأمم الأخرى وأن مكانها ليس الذل والهوان بل المجد والعز إن أعدت قوانا بالإيمان والسلاح والاتحاد.

وعلينا أن ندرس كيف يمكن أن ننتصر ولماذا اندحرنا وكيف يمكن أن نتبصر ونتحاشى الاندحار.وعلينا أن نكشف زيف المصادر الأجنبية الحريصة على التشكيك فالمصدر الأجنبي عدو للعرب والمسلمين كاره لتاريخهم العريق لأنه يهودي أو مبشر أو جاسوس أكل قلبه الحقد على الفتوح العربية الإسلامية وهو معني بهدم هذه الفتوح والتهوين من قيمتها وشأنها ليصل إلى هدفه الحيوي وهو التهوين من قدرة العرب أمة ومن اثر الإسلام في العرب دينا.

فهم أولا: يشككون في تعداد قوات المسلمين

ثانيا: يحاولون وصف المعارك الكبرى:

(القادسية – اليرموك – نهاوند – فتح الفتوح – حصن بابليون) بأنها معارك عربية وإخراجها من إطارها التاريخي ومحتواها.

ثالثا: خطأ المقارنة بين معركة إسلامية جرت قبل أربعة عشر قرنا وبين معركة حدثت في الحرب العالمية الثانية في التفاصيل والأساليب القتالية المتغيرة.

ويقول اللواء محمود شيت خطاب

إن العسكرية الإسلامية رائدة لأنها استطاعت فتح بلاد شاسعة تضم في الوقت الحاضر سبعا وثمانين مملكة وجمهورية وإمارة ومشيخة ومستعمرة في أسيا وإفريقيا ولو لم تكن عسكرية رائدة لما استطاعت بمثل هذه السرعة المذهلة تحقيق كل الانتصارات الحاسمة الباهرة والباقية ونحذر من الانبهار بالعسكرية الأجنبية واعتمادها في كتابة تاريخ المعارك الإسلامية على المصادر الأجنبية وحدها.

١٥ - الوحدة الإسلامية

حاول النفوذ الغربي منذ اليوم الأول للاستعمار العمل على تمزيق (وحـــدة المسلمين) بإشعال نار الإقليميات والقوميات على نحو الاستعلاء بالعنصر والـــدم، على النحو الذي حدث بين الترك والفرس في مرحلة وبين الترك والعرب في مرحلة تالية حين أثار النفوذ الأجنبي قضية الطورانية في تركيا وعمل على تتريك العـــرب الذين واجهوا الحملة بالدعوة إلى العروبة غير أن الغرب كان حريصا على تحقيـــق هدم الترابط بين العروبة والإسلام. فدعا إلى مفهوم القومية الغربي (بمداخلاته من علمانية واشتراكية) واستعلاء بالعنصر والجنس والدم مما جاء الإسلام لهدمه.

وانتهى ذلك إلى قيام خصومة شديدة بين العرب والترك وجرت التجربـــة الأخرى في استعلاء مفاهيم القومية في مواجهة العناصر الإســـلامية المشتركـــة في العقيدة مما خلق جوا من الحقد والخصومة سواء من خلال المذهبية أو من حيـــث العرق مما عمق الهوة بين المسلمين لسنوات طويلة لحساب النفوذ الأجنـــبي الـــذي كان هو وحده المستفيد من هذه المعركة.

ولا ننسى أن نركز على قضية خطيرة هي قضية إعـــداد النفـــوذ الأجنـــبي للمتصدرين وبخاصة الطغاة منهم وكيف استغل هذا في تحقيق أهـــــداف النفـــوذ الأجنبي حيث يستطيع النفوذ الأجنبي إيقاد نار الحقد والخصومة بين فريقين مـــــن المسلمين كان نتيجة ذلك كله زيادة النفوذ الأجنبي في السيطرة على المنطقة.

ولقد حدث هذا بالنسبة للعرب حين وصل هذا الصراع إلى تغير الهوية من ولاء للغرب إلى ولاء للشيوعية وكان ذلك كله مصدر خطر عظيم علـــى الأمـــة الإسلامية ذاتها.

ولقد كان الغرب قادرا دوما على تدمير أي خطـــة يقـــوم بهـــا العـــرب والمسلمون ليثبتوا قدرتهم على امتلاك مقاليد الأمور.

حدث هذا في الثورة الجزائرية وفي معركة رمضان وفتح وفي كل المواقف التي تؤكد وجود القوة القادرة في محاولة تدميرها.

ولما استطاعت القوى العربية في مرحلة حرب رمضان إعلاء أسعار البترول على الغرب استطاع الغرب امتصاص تلك الثروات التي حصل عليها العرب ووضعت الخطط التي تحول دون تمكين العرب من القيام بذلك مستقبلا.

أما الذين حاولوا الخروج على الولاء فقد عمد النفوذ الأجنبي إلى حجبهم علن مواقع القيادة وجعلهم عبرة لغيرهم من بعد.

أما الثروات الداخلية فقد كان النفوذ الأجنبي قادرا على استترافها ونهبها بوسيلة أو بأخرى وإعطاء أقل مقابل لذلك مع تحكيم مكاتب الخبرة ورفع نسبة الربا على القروض.

كذلك جرى اصطناع وسائل الخلاف حول الحدود وحول أمور أخرى حتى تضطرم الحرب بين الأخوة والجيران حيث تنتظرهم مصانع الأسلحة لإنفاق المليارات على شراء هذه الأدوات.

أما إسرائيل فهي الخطر الأكبر الذي يدفع الدول العربية إلى إنفاق أغلب الثروات في شراء الأسلحة فضلا عما ينهبه بعض الوسطاء.

إن السبيل الحقيقي لامتلاك الإرادة هو أن يقيم المسلمون سوقا مشتركة خاصة بهم وأن يوحدوا وجهتهم ويتحرروا من كل عوامل التبعية.

١٦ - *العروبة والإسلام*

ركز النفوذ الأجنبي على تشويه العلاقة بين العروبة والإسلام، وإيجاد الشبهات بينهما حتى لا يلتقيان.

أما العروبة فقد دفعوا العرب دفعا إلى التعصب لها حين أوقعوا بينهم وبين الترك (من حزب الاتحاد الترقي) المسيطر على الدولة العثمانية الجامعة بين العرب والترك بعد سقوط عبد الحميد، فقد عمد الاتحاديون إلى إعادة ابتعاث (نزعة الطورانية) القديمة التي كان يعرفها الترك قبل الدخول في الإسلام وغلا الاتحاديون في الدعوة إلى نزعة التتريك حتى إنهم دعوا إلى تتريك المحاكم والمدارس والمؤسسات فقابلهم العرب في سوريا والشام والعراق بالدعوة إلى العروبة غير أن الدعوة إلى العروبة ما لبثت أن تحولت على أيدي المستشرقين والمارون إلى دعوة إلى (القومية) بمفهوم العرق والعنصر على النحو الذي عرفته أوروبا في صراعها مع الكنيسة وبخاصة في مناطق البلقان.

ومن هنا دخل زيف كثير على العلاقة بين العروبة والإسلام إلى الحد الذي دفع بعض الغلاة إلى القوم بان العروبة سابقة على الإسلام، والحق أن الإسلام هو الذي أقام الوحدة العربية بعد أن كان العرب قبائل متفرقة لا يجمعهم شئ ولذلك كانت الوحدة العربية ثمرة من ثمرة الإسلام بمفهومها الصحيح. ولقد أقام الإسلام منهجا جامعا بين الوطنية (القطر) وبين العروبة (القوم) وبين الإسلام بوصفه الجامع الأكبر والعقيدة والمنهج والانتماء فقد كان الاتجاه قائما أساسا على إسلامية الانتماء ولقد قامت من وراء هذه القضية قوى كبرى ترمي إلى تمزيق المسلمين إلى عناصر وعروق وانتماءات إقليمية أو عصبية أو قبلية مما يؤدي إلى تدمير وجودهم الحقيقي. واليوم نرى من وراء المؤامرة الصهيونية والشيوعية في محاولات التلاعب بالمسلمين كقطع الشطرنج.

'إن العرب كانوا بالإسلام و لم يكونوا بدونه فهو الذي صنعهم وهو الذي شرفهم بحمل لواء الدعوة الإسلامية وكرم لغتهم بنزول القرآن الكريم بها (وقد

حملوا أعباء الدعوة الإسلامية وكانوا أقدر الناس على تذليل العوائق التي اعترضتها ونفذوا بالرسالة إلى الأسوار الرهيبة التي أقامها الروم والفرس).

وكان اليهود قد حملوا الأمانة وعجزوا عن الوفاء بها فنقل الله تبارك وتعالى أمرها من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

فالعرب قد دخلوا التاريخ بالإسلام فهم لا يستقلون بهذه المهمة وال يفرضون بها أنفسهم على الناس فهم أي العرب قد دخلوا التاريخ بالإسلام وكان فضل الإسلام على العرب كبيرا فهم بالإسلام خرجوا من الظلومات إلى النور وأخرجوا الناس كذلك وقال الله تعالى **{لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون}**. وقد أكد ابن خلدون: إن العرب لا يقوم لهم ملك إلا على أساس (نبوة) ولا تنهض لهم دولة إلا على أساس دين وإن الإيمان بالله تبارك وتعالى وحده هو الذي ينظم ملكهم ويصون مواهبهم ويوحد كلمتهم وهم ما ذهبوا وراء المذاهب والأيدلوجيات من قومية واشتراكية في سبيل استعادة ملكهم واستئناف دورهم التاريخي فلن يصلوا إلى شئ.

وقد أكدت لهم التجارب التي جرت خلال العقود الأربعة الأخيرة من تاريخهم أن الطريق الوحيد لبلوغ أمانيهم هو الإسلام منهجا جامعا (العروبة جزء منه). والشريعة والمنهج هو القرآن أساسا.

(فالإسلام هو طوق النجاة في هذا البحر اللجي وإن الابتعاد عنه أخطر الطرق إلى الغرق)

إن الانتماء العربي المتجهم للإسلام أو المحايد بازائه لن يكسب خيرا قط. إن آبائهم الأولين سحروا المشارق والمغارب بشمائلهم وخشوعهم وتواصيهم بالحق والصبر حتى انسوا الأقطار المفتوحة تاريخها ولغتها فتبنت الدين الجديد واللغة الجديدة.

"أن علينا أن ندرس هزائمنا وانتصاراتنا كي تكون منطلقا لنا ولابـد مـن دراسة غزوة أحد والهزائم كما فعل الغرب وليكونوا مؤمنين صادقي الإيمـان. إن الهزيمة قد جاءت من داخل النفس قبل أن تجئ من ضغوط الأعداء.

"إن عقيدتنا أساسها التوحيد وهو في الإسلام: موضوع وشكـل وفـرع وأصل، وعقل ونقل.

هذا الفهم هو الذي يحول دون نجاح سموم الاستشراق التي يبتعثها التثليـث النصراني أو التجسيد اليهودي.

ولسوف تتحطم جهود آلاف المبشرين والمستشرقين والساسة الإعلاميـين الذين يصلون الليل بالنهر لنصرة دينهم وترجيح كفتهم.

إن أساس ديننا كلمة التوحيد والبناء الأخلاقي الشامخ الذي ينهض عليـها ويؤكد حقوق الإسلام في الإخاء والمساواة الحرية من خلال الالـتزام الأخلاقـي والمسئولية الفردية.

حمل العرب أعباء الدعوة الإسلامية وكانوا اقدر الناس على تذليل العوائـق التي تعترضها وقد نهضوا بالرسالة ومضوا بها إلى الأسوار الرهيبة التي أقامها الـروم والفرس حول خرافاتهم وأهوائهم وكان اليهود قد حملوا الأمانة وعجـزوا عـن الوفاء بها.

فنقل الله تبارك وتعالى أمرها من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل وهكذا دخـل العرب التاريخ بالإسلام.

فكان فضل الإسلام على العرب وبالإسلام خرجوا من الظلومات إلى النور واخرجوا الناس كذلك.

وقد أكد ابن خلدون أن العرب لا يقوم لهم ملك إلا على نبوة ولا تنـــهض لهم دولة إلا على أساس دين وان الإيمان بالله وحده هو الذي ينظم ملكهم ويصون مواهبهم ويوحد كلمتهم.

وقد قدم المسلمون نماذج فريدة للترفع عن الشـــهوات وتدنيـــس الدمـــاء والأموال والأعراض، وقدموا نماذج كريمة لإقامة الصلاة وإيتاء الزكـــاة والأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الإسلام هو طوق النجاة في هذه البحر اللجي وإن الابتعاد عنه مــن أخطر الطرق إلى الغرق وإن الانتماء العربي المتجهم للإسلام أو المحايد بازائه لـــن يكسب خيرا قط.

إن آباءهم الأولين سحروا الأمم بشمائلهم وخشوعهم وتواصيهم بــالحق والصبر حتى أنسوا الأقطار المفتوحة تاريخها ولغتها فقبلت الدين الجديـــد واللغــة الجديدة.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى إن أساس ديننا كلمـــة التوحيـــد والبناء الأخلاقي الشامخ الذي ينهض عليها ويثبت للإسلام حقوقا أهمها: الإخـــاء والمساواة والحرية تنفي الجبروت والقسوة.

إن صورة المسلم المعاصر في نظر الغرب صورة تبعث على الخجل وإن المال الإسلامي يراق بسفه غريب في علب الليل وموائد القمار والخمر، إن الصورة التي عرفت عنا لا تشرف ديننا ولا تغري بالنظر إليه والأجيال المعاصرة تنقصها التربية النفسية والفكرية التي برز فيها السلف الأول وكل هذا صرف الأوروبيـــين عـــن الدين لا لعيب فيه بل في معتنقيه وعارضيه.

كانت إثارة النعرات العرقية بين الأجناس الإسلامية مما صدع بناء الإســـلام وكان دعوة للجاهلية الأولى.

فعلينا أن ندرس هزائمنا كما يفعل الغرب.

إن الهزيمة تجئ من داخل النفس قبل أن تجئ من ضغوط الأعداء. إن عقيدتنا أساس التوحيد وهو في الإسلام موضوع وشكل وفرع وأصل، عقل ونقل، إنهم يوقظون خصائص العروبة قبل الإسلام وهذا من شأنه أن يجعل العرب يأكل بعضهم بعضا. إنهم يعملون على إضعاف الانتماء الإسلامي بأنه وسيلة حتى ينسى المسلمون أنفسهم ولا يعرفون لهم دينا.

إن على المسلمين أن يلموا شملهم ويستجمعوا إرادتهم ويوحدوا وجهتهم. إن الوحدة الإسلامية تدور في ثلاث مدارات: (الوطن - العروبة - الإسلام) والحضارة الإسلامية جامعة بين المسلمين والعرب. والإسلام هو حضارة العرب وفكرهم الاجتماعي.

لا نضع الفكرة القومية في مواجهة العقيدة، ولا نجعل الفكرة القومية دعوة عصبية يأباها الإسلام الدعوة الإسلامية تقوم أول ما تقوم على مبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية التي هي الإطار المرجعي لنظم الحياة وهي مصدر الشرعية والحاكمية فى المجتمع.

١٧- *الدولة الإسلامية*

إن الإسلام أقام دولة مدنية بمفهومها الصحيح وإن قيام هذه الدولة الحامية لكل العناصر والقائمة في تطبيق العدل على أهلها جميعها هو الذي عمل على نشر الإسلام وهو الذي دفع أهل الأديان الأخرى أن يقبلوا بالإسلام لما عرفوه عنه من عدالة وسماحة.

وبدون هذه العدالة والسماحة ما استطاع الإسلام أن يمد جناحيه في هذا العالم المترامي الأطراف في آسيا وإفريقيا وأوروبا وقد أخرج ملايين الناس من الظلمات إلى النور.

وعلى مدى تاريخ الإسلام كانت الدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دولة دينية بمفهوم الغرب يوما واحدا.

وإن الدولة الإسلامية مدنية بقانونها وتاريخها على المدى المتطاول وكانت باعثه على التقدم الحضاري في الغرب والشرق فقد أباحت لليهودي أن يحكم بشريعته وللهندوكي أن يحكم بهندوكيته.

وإذا كانت الديمقراطية أن يكون الحكم هو الشورى فذلك ما قال به الإسلام قبل أربعة عشر قرنا والفرق أن الشورى حق في موضع الاجتهاد ما لم يوجد نص ملزم من القرآن أو سنة الرسول ﷺ.

فقد أباح مجلسا العموم واللوردات في إنجلترا الشذوذ الجنسي وأن يتزوج الرجل الرجل وهذا ما لا يجوز في برمان إسلامي ولا يتفق مع الشورى.

وهكذا قدم الإسلام نظاما جامعا تمحى فيه الفواصل بين الدين والدولة في نظام حكم قائم على الديمقراطية على النحو الذي يتحدث عنه أحد الباحثين: يقول

"بينما يقدم الغرب نظاما يقصي الدين وسلطته عن نظام الحكم وبينما يستأنس الغرب بالمقولة المنسوبة إلى السيد المسيح (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ينادي المسلمون بأن الإسلام دين دولة وفي القرآن يصور المسلم مخلوقا ملتزما بمبادئ خلقية دون تقييد. فيكون الله تبارك وتعالى محور حياته الرئيسي أولا وأخرا.

"وبهذا يملأ الإسلام حياة الإنسان أو يحتويها بكافة نواحيها ويرى المسلمون أن النموذج الغربي ليس سوى أحلام يراها المتوهم بل أنه لا يخدع بها سوى نفسه

فمن البديهي لدى المسلم استحالة وجود دولة أو نظام حاكم بـــدون عقيـــدة أو مذهب فكري معين (أيديولوجية) يستند إليها حتى حيدة القيم وبالتاليت العلمانية التي ترفض الدين "إنما هما عقيدتان أو مذهبان فكريـــان في رؤيتـــهما الفلســـفية للوجود".

ويؤدي الفصل التام بين الدين وبين الدولة إلى الفصام عقلـــي أو انفصـــام الشخصية للفرد لأنه لن يكون في وسع إنسان ولو مؤقتا أداء الفروض الدينية كما ينبغي، فالإنسان المؤمن حقا يندر أن يقنع بالانزواء في مكان ما حتى لا تصطدم به الأعين غير المؤمنة حيث يؤدي الصلاة المفروضة"

والواقع أن التحول الذي آلت إليه المسيحية الأوروبية في مجال أنظمة الحكم الحديثة قد سجل انتصار الجانب الدنيوي ومنذ ذلك الوقت مازال ينحر في بنيـــة الدولة (سواء في الغرب أو الشرق الأوروبي) تيارات عقيمة عاقبتها وخيمـــة". إذ وضعت هالات أسطورية أو دينية غيبية سرية على النظريات السياســـية ويمكـــن تفسير تلك التيارات بأنها بديل عن الجانب الروحي المهمل.

ولقد تأثر مثقفونا الذين سافروا إلى الغرب أو اتبعوا بعـــض مفكريـــه دون تقدير لأبعاد موقف الإسلام فدعوا دعوة الغرب المسيحي، إن الإســـلام ديـــن لا دولة، كما فعل الشيخ على عبد الرازق الذي أوصى بنظام حلكم دنيوي مســـتقل عن الدين.

وسواء أكان على عبد الرازق قد أخذ ذلك من كتابات اليهودي مرجليوث أو كتب له هذا النص الدكتور طه حسين كما أشارت بعض الأبحاث أخيرا فـــإن هذه المقولة مرفوضة تماما في أفق الفكر الإسلامي الذي خرج من التبعيـــة الـــتي فرضها عليه التغريب.

يقول أحد الباحثين:

يعالج القرآن الكريم موضوع الدولة سابقاً به دانتي وكارليل وهيجل من مفهوم لبيئة أخلاقية لها مقوماتها الأصلية: تعني الأمة فالأمة هي البنية السليمة التي يتوافر فيها المناخ اللازم الذي يكفل ازدهار الإسلام.

وتعرض آيات القرآن عرضاً غير مباشر لملامح تبين معيار الحكم يمكن استخلاصها في ثلاث عناصر أساسية:

(١) مبدأ القيادة الفردية للخليفة ليس نائباً عن الله تبارك وتعالى بالمعنى المعروف في المسيحية ولكنه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) مبدأ الشورى

(٣) مبدأ الإسلام ديناً رسمياً للدولة.

وأن تعطي الشورى التي أمر بها القرآن سلطة ملزمة بحيث يتحتم التزامها والنزول على حكمها لا أن تكون نصيحة أو توصية فالشورى بهذا المعنى الإيجابي إنما ينبع بلا ريب من طبيعة حقوق الأمة ومن مبدأ العدالة المطلقة الذي يلح القرآن في الحرص على تطبيقه.

إن المصطلح الإسلامي (دين ودولة) ينطلق من نقطة معينة هي أن الحكم له دور وظيفي محدد تماماً كمنصب الإمام فكلاهما ملقي على عاتقه القيام والالتزام بواجبات أو مهمات محددة وهي جميعاً مستمدة من روح الإسلام وفكره أخذاً وعطاءاً ولكنها مع ذلك متباينة متعددة.

ولا يثني اهتمام المسلمين كثيراً عدم مجيء تلك الكلمة (الثورة) في القرآن الكريم بينما وردت في الإنجيل والعهد الجديد مراراً وان القرآن أقرب إلى مصالحة الأمر من منطلق أخر هو ضرورة حدوث التحول المستمر في عالم المادة والفكر.

١٨ - حقوق الإنسان في الإسلام

يتحدث الناس اليوم عن حقوق الإنسان التي تتحـــدث عنـــها المنظمـــات السياسية العالمية على نحو يدعو إلى التصور بأنها أمر استحدثه الغرب وحقـــق بـــه العدل والإخاء والمساواة.

مع أن حقوق الإنسان عرفها الإسلام وقدمها للبشرية قبل أربعة عشر قرناً وقبل ما استحدثته بعض المنظمات في العقود الأخيرة.

وقد شهد بذلك علماء الغرب أنفسهم في عديد من مؤلفاتهم وكتبـــهم وفي الأخير قال الدبلوماسي الألماني (هوفمان) إن الشريعة الإسلامية قد تضمنت قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق وبخاصة حق الحياة وسلامة الجسد والحرية والمساواة في المعاملة وحق الملكية الخاصة والزواج وحرية الضمير وبراءة المتهم حتى تثبت إدانته ولا عقاب بدون إنذار وحق اللجوء وكذلك عدم الحكم إلا بعد سمـــاع أقـــوال الطرفين وهذه الحقوق جميعاً قد كفلها الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام.

أما حقوق الإنسان الواردة في القوانين الأوروبية فهي كما يقول المســـتشار سالم البهنساوي جعلها الإسلام ضرورات إنسانية لا سبيل لحياة الإنسان بدونهـــا ومن ثم فإن الحفاظ عليها لا يقتصر على كونه حقاً فقط يمكن التنازل عنه به هـــو واجب يأثم من فرط فيه فرداً أو جماعة.

كذلك فقد أكد الفقهاء أن غاية الشريعة الإسلامية أن تحفظ على النــــاس خمسة أمور سميت بالضرورات الخمس:

وهي: حفظ. العقل والنفس والنسل والدين والمال). كذلك فقد قرر علماء المسلمين أن صلاح أمر الدين موقوف ومترتب على صلاح أمر الدنيا حيث قـــال الإمام الغزالي: إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا من على هذه المهمات الضرورية".

ومن هنا يتبين مدى الفارق البعيد والعميق بين حقوق الإنسان في الإسلام التي أنزلت من الحق تبارك وتعالى لتنظيم المجتمع وبين هذه الحقوق التي تكونت نتيجة اضطراب المعاملات بين الناس مما استدعى أن يطالب بها المفكرون.

ومن ناحية أخرى فإن ظهورها في القرن العشرين الميلادي يكفي لإثبات أن حقائق كثيرة قدمها الإسلام للبشرية لم تكن تعرف عنها أيام نزوله وبعد ذلك بقرون مما يؤكد أن العالم يطلع على عطاء جديد قدمه الله تبارك وتعالى لبني الإنسان الذي هو معرض عنه وظان بأنه يستطيع أن يقود دفة القيادة العالمية بأهوائه ومطامعه.

لم يفرد الإسلام وثيقة خاصة لحقوق الإنسان كما يقول المستشار البهنساوي إلا أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد ركزا على الحقوق التي كانت مهدورة في الأمم الأخرى كحق المرأة في الغرب.

وقد جاءت في القرآن والسنة على هذا النحو:

أولا: وردت نحو أربعين آية في القرآن عن الإكراه والكراهية منها ما ينهى عن الإكراه وذلك لضمان حرية الفكر والإسلام يقرر ذلك **{لا إكراه في الدين}**.

ثانيا: كفل الإسلام العدل والعدالة ورفع الظلم ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء ولا بين المسلم وغير المسلم أو بين الكبير والصغير.

وقد تعرض القرآن للظلم والظالمين في نحو ثلاثمائة وعشرين آية وأمر بالعدل في أربع وخمسين آية تنوعت بين العدل والقسط والقسطاس.

ثالثا: أقر الإسلام بحفظ الحياة وتوفير أسباب الحياة للإنسان فأورد القرآن الكريم نحو ثمانين آية عن الحياة و ٧ آيات عن القتل والقتال: منها قوله تعالى: **{من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها**

فكأنما أحيا الناس جميعا}، كما أورد عشرين آية عن الكرامة والتكـــريم **{ولقـــد كرمنا بني آدم}** .. الآية.

رابعا: أورد نحو مائة وخمسين آية عن الخلق والخلائق وعـــن المســـاواة في الخلقة. **{ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبــــا وقبـــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}**.

وقال الرسول ﷺ : الناس سواسية كأسنان المشط. ومن هنـــا يتـــأكد أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو اجتهاد بشري قيدته الدول الكـــبرى بقيـــود لتحافظ على الفوارق التي تضمنتها القوانين الأوروبية التي هي أيضا إجراء خاطئ من البشر.

وقد ورثت أوروبا مظالم القانون الروماني للمرأة فاعتبرتها ضمن الصبيـــان والمجانين وقد أقترن الحكم الديني في أوروبا بنظام الإقطاع فكان للأمراء والنبـــلاء كل الحقوق وليس إلى للرعية مقابل وكان الأمراء يملكون الأرض ومن عليها مـــن الناس والجماد والدواب.

١٩ – الصحوة الإسلامية

يبدوا أن نجاح الصحوة الإسلامية وتعمقها واستمرار فاعليتها قـد أزعـج القوى التغريبية والاستعمارية فقد فاجأت القوى الخارجية باسـتمرارها وثبـات كيالها المتمثل في كسب أكبر عدد ممكن من المثقفين وبخاصة مثقفي الغرب الذيـن فقدوا الأمل في منهج العلمانية والفلسفة المادية وتطلعت أرواحـهم إلى الإسـلام كمنقذ وبوصفه "الحل الرباني" بعد أن بلغ "التعنت بالفكر الغربي أن ظن في نفسه القدرة على السيطرة على العالم والاستعلاء بالعنصر على أمم الأرض جميعا.

ولقد حاولت القوى التغريبية استدراج عدد من الشباب المسلم إلى دائـرة المغريات الخطيرة التي قدمها النفوذ الأجنبي من خلال المسرح والصـور العاريـة والرقص والغناء والاختلاط والكشف والتحلل وأدب الجنس والانحلال المطـروح بالصوت والصورة على النحو الذي يسمى المسرح التجريبي الذي يقدم مسرحيات للشذوذ الجنسي ويقيم أحفالا تحت أسماء حورس وجلجامش وغـيره في مختلـف أقطار الوطن العربي لتدمير هذه الشباب الذي هو أمل الدعوة الإسلامية وعمادها تطبيقا لبروتوكولات صهيون بإدخال الشباب إلى مرحلة الانحلال حتى لا يستطيع أحد الوقوف في وجه الاختراق الغربي والاحتواء الصهيوني.

وهنا ينكشف الموقف كله عن الخطر الذي يواجه المسلمين اليـوم وهـو يقترب رويدا رويدا، ويرى الكثيرون أنه أشد خطرا من الحروب الصليبية وغارات التتار وحروب الفرنجة.

وأن النفوذ الغربي المستعين والضالع مع أكبر قوة حربية وعسكرية واقتصادية وهي أمريكا قد رسم مخططا خطيرا يهدف إلى إقامة دولة يهود مـن النيـل إلى الفرات، فيكتسح كل قوى الأمة الإسلامية والسيطرة على مواردهـا ومقدراتهـا واستغلال أهلها حتى يكونوا عبيدا له على حد ما جاء في البروتوكولات.

ولكن المسلمين اليوم وفي هذه الجولة أكثر وعيا من السابق عندما خدعهم التغريبيون بأن اقتباس حضارة الغرب يوصل إلى امتلاك الإرادة فلما تابعوا ذلـــك الاتجاه أحيط بهم وسقطوا في نكبة ١٩٦٧ التي كشفت لهم عن أنه ليس هناك إلا طريق واحد: هو المنهج الرباني، لقد كشف المفهوم الإسلامي الذي حملته الصحوة مجموعة حقائق أساسية: وهي حقائق تصادم ثلاثا من المعتقدات السياسية الغربيـــة التي عانى الغرب خلال أكثر من قرنين كاملين يحاول غرسها في نفوس المســـلمين العرب وهي:

أولا: الفصل بين السياسة والدين.

وهي محاولة يرفضها الفكر الإسلامي بحكم مفـــهوم الإســـلام الجـــامع كمنهج حياة ونظام مجتمع.

(مهما كانت تمثل عقيدة في الفكر الغربي الذي تشكل على رفض الديـــن أساسا وجملة)

ثانيا : القومية والعلمانية.

هذه المفاهيم التي صدرتها أوروبا إلى الشرق الأوسط والتي أثبتت بالتجربة والتطبيق خلال أكثر من خمسين عاما فشلها وعجزها.

(وكذلك كان الموقف بالنسبة للماركسية التي تهاوت)

ثالثا: رفض دعاوى التحديث التي ادعت أن الدين بعامة وبخاصة الإسلام يقـــف عقبة في سبيل التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

والمعتقد أن الصحوة اليوم وهي تتفاعل مع الفكر الغـــربي وتزحـــف في المجتمع المسلم العربي تؤكد سقوط هذه المحاولات وتدعوهم إلى الوقوف عند حد واضح: هو أن للمسلمين الحق في اختبار منهجهم الفكري المختلف مـــع منـــهج الغرب.

وقال بعض الباحثين:

أولا: أن الإسلام لم يكن مجرد تجمع روحي بل أنه أصبح دولة وإمبراطورية، وان اشتمال الإسلام على العقيدة والسياسة إنما هو أمر ثابت في القرآن والسنة وقد انعكس بهذه الصفة في عقيدة الإسلام وتاريخه وسياسته.

ثانيا: أن شعار لا اله إلا الله يقرر أن الله (تبارك وتعالى) هو محور كل شئ وأن هناك ارتباطا في الإسلام بين العقيدة الشخصية والحياة السياسية فقد عـــرف الإسلام المحاكم الشرعية ومحاكم المظالم (الضرائب والتنظيمات الجنائية والجبائية .

ويبقى مكان (القانون الإسلامي) قضية رئيسية في السياسة الإسلامية مادام الفرض أنه محور القانون من حيث أنه منهج العمل للمجتمع المثالي ومـــن حيــث وظيفته كأساس للحكومة الإسلامية.

وقد انقسم العالم الإسلامي في القـــرن الســـادس عشـــر (قبيـــل الغـــزوة الاستعمارية) إلى ثلاث دول كبرى:

١- عثمانية سنية في غرب أسيا وشرق أوروبا.

٢- صفوية شيعية في فارس

٣- مغولية سنية في شبه القارة الهندية.

وقد قامت الشريعة الإسلامية بالدور الرئيسي في الدول الثلاث، وفكـــان القانون الأساسي للدولة وكانت مصدر الشرعية والهوية الإسلامية وتحديد قواعد السلوك للحياة الاجتماعية.

وهكذا يتبين للغرب اليوم أن المجتمع الإسلامي من خلال (الصحوة) يريد أن يعود إلى أصوله وجذوره وأن يربط نفسه بتراثه الأصيل الـــذي عمـــد النفـــوذ الاستعماري على فصله عنه خلال القرنين ١٧، ١٨. ومن هنا يتبـــين أيضـــا: أن المسلمين اليوم لا يجرون وراء بريق النموذج الغربي ولا يجعلون اللحاق به هو الأمل

الوحيد وهم يرون أن التخلف إنما جاء في التبعية للغرب والانفصال عن الإســـلام من هنا جاءت الهزيمة ومن هذه النقطة يبدأ النصر

٢ – الصحوة الإسلامية تدخل مرحلة جديدة:

بدأت الصحوة شمسها بالبزوغ في الجزائـــر وفي الســـودان وفي باكســـتان وأفغانستان وتركيا واليمن ومصر.

صحوة يتحدى بها المسلمون كل ما جاءت به الحضارة المادية التي لا تعرف للروح دورا في حياة الناس.

وتتطلع القوى الإسلامية إلى حماية وجودها وكسب مؤمنـــين بهـــا بنشـــر مفاهيم العدل والرحمة والإخاء كما جاء به الإسلام.

وهناك اليوم حملة موجهة ضد الصحوة الإسلامية أساسا وتعد استعادة بيت المقدس هي حجر الزاوية في القضية كلها.

***

٢ – تقرير هومان ايلتس: إن الغرب قد اختلط عليه الأمر في فهم ظـــاهرة الانبعاث الإسلامي وليت الأمر وقف عند الاختلاط بل صاحب ذلـــــك آفـــات الشعور بالتميز العرقي والتحامل.

ويرى بعض الناس إن المفهوم الإسلامي قد صادم ثلاثـــا مـــن المعتقـــدات السياسية الغربية المتأصلة في النفوس.

(١) الفصل بين السياسة والدين وهو ركن أساسي في العقيدة الإســـلامية (وهي عقيدة غاية في التقديس في روح الشعب الأمريكي)

(٢) القومية والعلمانية التي صدرتها أوروبا إلى الشرق الأوسط وعجزت عن أن تحقق أي انتصار.

(٣) دعاوى التحديث التي أكدت أن الدين بخاصة الإسلام يقف عقبة في سبيل التقدم الاجتماعي والاقتصادي وهي مقولة ثبت عجزها وأن الإسلام أقام مجتمع الوسطية خلال أكثر من ألف سنة.

ومن هذا المنطلق:

(١) لم يكن الإسلام مجرد تجمع روحي بل أنه أصبح دولة وإمبراطورية وان اشتمال الإسلام على العقيدة والسياسة إنما هو أمر ثابت في القرآن والسنة وقد انعكس بهذه الصفة في عقيدة الإسلام وتاريخه وسياسته.

(٢) شعار لا إله إلا الله يقرر أن الله (تبارك وتعالى) هو محور كل شئ وأن هناك ارتباطا في الإسلام يعتمد العقيدة الشخصية والحياة السياسية، فقد عرف الإسلام محاكم الشريعة ومحاكم المظالم (الضرائب والتظلمات التجارية والجنائية) ويبقى مكان القانون الإسلامي قضية رئيسية في السياسة الإسلامية مادام الغرض أنه محور القانون من حيث أنه منهج العمل للمجتمع الإسلامي المثالي ومن وظيفته كأساس للحكومة الإسلامية.

***

ويقول مصطفى بن حمزة:

الصحوة إدانة مباشرة لعملية إلحاق المجتمع الإسلامي بالنموذج الغربي بتوجهه الليبرالي واليساري على السواء وكان اليسار الغربي أكثر الجهات اهتماما بظاهرة الصحوة لإدراكه أنها قد تأخذ زمام المبادرة في صنع الحادث القومي على الرقعة الإسلامية وخارجها أيضا ومن ثم ظهر مصطلح اليسار الإصلاحي فاليسار الإصلاحي الذي له وضع معروف في المنظومة الشيوعية التي لا تعتبر الدين إلا إفرازا طبيعيا لا صلة له بالسماء تعترف به الطبقة المستغلة بسلب وعي الطبقة المستغلة.

إن هذه الأمة لم تستسلم أبدا وإنما جاهت على الدوام الهجمات العسكرية والفكرية لليهودية والصليبية والغنوصية والإلحادية عبر تاريخها الطويل وقد اتفقت كلمة علماء هذه الأمة على إفادة أن الله تبارك وتعالى لا يخلي العصر من قائم لله بالحجة، اقتباسا من قول رسول الله ﷺ:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم).

كذلك فإن عملية التصحيح لم تتقطع أبدا وليست الصحوة اليوم الا حلقة سلسلة تمر بتاريخ الاسلام كله.

٢٠ – اقتصاد الإسلام

وضعت البشرية نظامين اقتصادين متواجهين: أحدهما: النظام الحر والثاني: النظام الموجه، عرف الأول في الغرب (أوروبا وأمريكا) وعرف الآخر في البلاد الشيوعية. ومن التجارب المتعددة تبين أن كلا المجتمعين الغربي الماركسي يواجهون تحديات خطيرة ولا تجد الشعوب في ظل أي النظامين حياة السلام والطمأنينة والرحمة والعفو.

ولما جاء الإسلام من أربعة عشر قرنا قدم للبشرية نظاما ربانيا فيه حسنات النظامين الحر والموجه وخال من أزماتهما واضطرابهما، ولقد عاش هذه النظام قرونا طويلة حقق خلالها العدل والرحمة معا حتى جاءت الجولة الأخيرة للنفوذ الأجنبي التي حجبت الشريعة الإسلامية جملة من مجتمعات المسلمين واضطرتهم إلى الصراع مع هذه الأنظمة ويكشف تاريخ الاقتصاد أخطاء وفشل نظريات الاقتصاد الوضعية والتي حسب الناس حين اختلاطهم بها أنها نظريات سديدة.

وينسحب ذلك على نتائج نظريات الاقتصاد الشعبي وما حفلت به تلك النظريات من أخطاء وما جاءت به من فشل وذلك ابتداء من آدم سميث ثم مرورا بدافيد ريكاردو وتوماس مالتوس حتى باول أ. صمويل سون.

وهنا يجب أن توضع النظريات الاقتصادية الوضعية أمام حكمة الإسلام العظيمة للكشف عن الحقائق وذلك أمر سوف يأتي في القريب ليكشف عن مرونة الإسلام وسماحته لإقامة المجتمعات الآمنة بعد أن وضع الأسس والشروط والأطر العامة التي تحوي هيكل الاقتصاد.

يقول أحد الباحثين: لقد بدأ علم الاقتصاد الإسلامي الحديث في التخطيط لإقامة نظام اقتصادي إسلامي متميز ولكنه حورب واضطهد و لم تعط له الفرصة ليتحقق إلا بصورة ضئيلة جدا.

هذا النظام الاقتصادي الذي يستطيع أن يحقق كثيرا إذا قام بديلا عن النظام الرأسمالي الاقتصادي الغربي الذي يقر السيادة المزعومة للأفراد بديلا عن النظام الاشتراكي، نظام الخطط القصيرة والطويلة الذي يتخذ من الدولة صنما معبودا ويرى ماكس فيبر وميللر ارماك في فهمهما للنظامين الرأسمالي والاشتراكي إنهما نظامان ماديان ولكن ليسا غير دينيين، إذ أن كلا النظامين عقيدة أيديولوجية ذات نظم وقيم دينية غير سوية أي منافية للأخلاق والقواعد والفطرة.

ذلك أن النظام الإسلامي يتميز عن النظامين الرأسمالي والاشتراكي هو الدين الوحيد الذي جمع بين الفرد والدولة في علاقة متزنة متساوية أو منسجمة وقد تمكن الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة في المدينة المنورة من تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية والاقتصادية أقصى ما يطمح إليه ماركس أن يحلم به.

إن قيام النظام الاقتصادي الإسلامي المثالي يتحتم أو يشترط وجود الأمة الإسلامية والمثالية مسبقا.

وإن الأصوب هو وضع نظام اقتصادي يتحرك في الإطار الذي حدده القرآن الكريم - نظام إسلامي الجوهر مراع للحاجات الاقتصادية والمعاملات الاقتصادية تتجنب سيئات النظام الغربي في التجارة بما يضر ولا ينفع من مشروبات أو مأكولات ومخدرات تلك التي تدر أموالا تحصلها الدولة في قالب ضرائب أيضا فساد السوق الرأسمالية المنافي للأخلاق والربا المتمثل في الأرباح الباهظة غير المشروعة.

٢١ - *حقوق المرأة في الإسلام*

أعطى الإسلام المرأة كل الحقوق التي تحفظ لها إنسانيتها وتحميها من جور الرجل. و لم يوجب بعض الفوارق (في الميراث أو الزواج)، إلا تقديرا للفوارق الطبيعية والجسمية والتكوينية بين الرجل والمرأة، إلى جانب أن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة وحده وأعطى المرأة كل الحقوق في مجال المال والتجارة وفي الواجبات، قال تعالى: **{ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة}**. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن النساء شقائق الرجال". والدرجة التي للرجل هي القوامة في الأسرة و لم يقر الإسلام التفرقة بين الرجل والمرأة في الأجر عن العمل، ولا يقر أن تفقد المرأة اسم عائلها وتسمى باسم زوجها. ولا يقر حرمان المتزوجة من التصرف في أموالها.

وقد حرم الإسلام الزواج من المشركات ويجيز الزواج من الكتابيات (أي بنات النصارى واليهود) ولا يجوز أن تتزوج المسلمة بغير المسلم أما في الغرب فقد ورثت القوانين الأوروبية عن القانون الروماني المتميز الصارخ بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حيث تنص القوانين الأوروبية على استحقاق المرأة نصف أجر الرجل عن العمل ذاته ويمنعها من الاحتفاظ باسم عائلتها عند الزواج وتمنع

القوانين الأوروبية المرأة من التصرف في أموالها الخاصة متى ثبت أن هذا المال ليس موهوبا منها لزوجها وليس من الأموال المشتركة بين الزوجين.

ولقد دخلت على مادة الإعلان العالمي عبارة عدم التمييز بين الرجل والمرأة أو بسبب الجنس أو الدين.

وأدخلت عليها تعديلات فأصبح النص كتوصية وليس إلزاما والمساواة فيــه ليست مطلقا أو كاملة.

وقد ورثت أوروبا مظالم القانون الروماني للمرأة فاعتبرتها ضمن الصبيـــان والمجانين واقترن الحكم الديني في أوروبا بنظام الإقطاع فكان للأمراء من الســادة كل الحقوق وليس للرعية مقابل وكان الأمراء يملكون الأرض ومن عليـــها مــن الناس والجماد والدواب.

وهكذا كان عطاء الإسلام للمرأة سمحا كريما، متفقا مع طبيعتـــها دون أن يكلفها مشقة العمل المماثل للرجل، أو المغيب عن بيتها في سبيل موارد الرزق.

وكفل لها العدل والعدالة لا فرق في ذلك بين الرجال والنســاء ولا بـين المسلم وغير المسلم.

أما هذه الصيحة الخبيثة التي يرددها النفوذ الغربي والاستشراق والغزو الثقافي في المفاضلة بين المرأة والرجل في الإسلام فإنه نوع من الحقد الشديد، وهم لا يرون في دعوتهم إلى تحرير المرأة إلا إخراجها من عقيدتها ومن مكانها الـــذي رسمــه الله تبارك وتعالى في بناء الأسرة وتكوين الأبناء وتشكيل هذا النتاج الصغير على طاعة الله ومعرفته وعلى السماحة والفضل.

لقد كانت دعوتهم إلى تحرير المرأة تهدف إلى إخراج المرأة وإفسادها وفتـــح أبواب الشهوات أمامها وقد علمت المرأة بعد أن خاضت التجربة هذا الخطر وهذه المؤامرة فارتددن عنها واستسلمن إلى منهج الإسلام على النحو الذي نراه اليوم.

٢٢ – التراث الإسلامي : ومؤامرة الغرب عليه

يدهش الباحثون لهذه الحملة الضخمة الممتدة التي يشنها الغرب على التراث الإسلامي ويعجبون لهذه الموالاة الخطيرة في الوقت الذى يرى الغرب أن قيام التراث الإسلامى الأصيل مرة اخرى إنما هو خطر داهم على التغريب ومؤامرته التي تنفذ إلى أوصال الفكر والاسلامى لترمى فى النهاية إلى احتوائه.

فهم عن طريق الاستشراق والتغريب ينفون كل أصاله عن الإنتاج الثقافى والعلمي للعرب والمسلمين وذلك عن طريق إرجاع تراثنا لأصول ومصادر غير اسلامية وغير عربية – على حد تعبير الدكتور يوسف زيدان، ومن الأسف أن هناك بعض الباحثين العرب ممن لايزالون تحت تأثير هذه المفاهيم.

فقد عمد الاستشراق الى التوسع فى التراث الذى ارتبط بالفلسفة اليونانية منذ بدأت ترجمتها والكتب التي ترجمت والفلاسفة الذين اعتنقوا أراء ارسطو وافلاطون وغيرهم ممن يسمون (المشاءون العرب) امثال ابن سينا والفارابى، وامتد ذلك من الفلسفة إلى التصوف فأرتبط بالتصوف الفلسفى: الحلاج وابن عربى وابن سبعين وغيرهم وبخاصة نظرية الإشراق والعقول العشرة، وغيرها فضلا عن خلط المفاهيم والمصطلحات المترجمة من الفكر اليونانى والفكر الغنوصى. وقد جاءت نظرية (المدينة الفاضلة) للفارابى مأخوذة من اليونان كما جاءت نظرية الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى منقولة عن التصوف الفلسفي.

بل لقد عمد المستشرقون إلى نسبة ورقيات مجموعة من هنا وهناك لأسماء لامعة زورا وبهتانا لدعواهم فى كتاب يسمى (معراج ابن عباس) وهو كتاب مدسوس ملئ بالإسرائيليات وملئ بالقصص الخيالية والأحاديث الباطلة التى لا سند لها ولا أصل.

***

وفى الوقت الذى توسعوا فيه في هذا الجانب من التراث الزائف عمدوا إلى حجب الحقائق ففي كتاب ابن النفيس (شرح فصول ابقراط) للرد على المزاعـــم الاستشراقية الخاصة بالأصول اليونانية والمسيحية للإبداع الطبي والعربي وقولهم إن الأطباء العرب المسلمين لم يكن لهم كبير شأن فى تقدم البحث الطبي.

يقول يوسف زيدان : إنه من خلال تحقيق نصوص الطبيب العربى المسلم ابن النفيس ما يثبت عكس وجهه النظر الاستشراقية وقد قال ادوار سعيد في هذا المعنى أنه لا يوجد جهد علمى أو معرفى عنى بدراسه الشرق الا وقد تأثر بالاســـتشراق وكان الاستشراق معوقا – وهى معوقات كثـــيرة وضعـــها الاســـتشراق أمـــام الدراسات العربية والإسلامية.

وتتمثل الإعاقة الاستشراقية فى خطر الوقوع فى أسرالفهم الاستشراقي للنص من خلال هوامش النص المحقق استشراقيا.

كذلك فقد أعاق المستشرقون الدراسات العربية والاسلامية حين (نهبـــوا) نوادر المخططات ونقلوها إلى بلادهم.

وإعاقة أخرى هى تربية المستشرقين الكوارد من الباحثين العرب الذين ظلوا يرددون وجهات النظر الاستشراقي.

***

وقد تحدث الباحثون المسلمون عن مؤامرة الاستشراق لتحجيم التراث الإسلامى وتغييب مقوماته الفاعلة وتمثيل ذلك فى ثلاث مواقف أساسية تضمن التوجهات التى حددها المنظور الغربي فى الوطن الإسلامي إزاء التراث.

١- الدعوة الى رفض كل التراث والانسلاخ من الشخصيـــــة الحضاريـــة احتذاء للغرب وتقليده.

٢- موقف يعكس الخبرة بنفسية الشعوب فلا يدعو جـــهرة إلى رفـض التراث وقطع الصلة به، بل يحاول امتصاص ولاء الشعوب إلى ماضيها إلى بناءات ومقار، والحفاظ على جدران وأشياء مادية بينما لا تلقى تركيبة المجتمع وضوابطه الأخلاقية الأصيلة التى تهدمت وانفجرت نتيجة تسرب نمط الحضارة الغربية - أى اهتمام.

٣- دراسه التراث الأدبي والفلسفي والفقهي الإسلامي من خلال منظورات منهجية مستمدة من الغرب.

كل هذا يؤدى الى انك حين تقرأ التراث من خلال المنظور المنهجي الغربي تخلص الى تزييف هذا التراث لأن المنظور المنهجي المستورد من الغرب لا ينسجم مع طبيعة الماضي الثقافي الإسلامي والهدف فى الإساسى قطـع إتصـال الـتراث بالعصر.

وقد حرص النفوذ الغربي على إحياء التراث المتصل بالفلسفة اليونانية والغنوصية والفكر المجوسى الفارسي والهندي وإحياء مخطوطات السحر والشعوذة وشروحها وتعليقاتها وشروح الشروح.

فالمعروف ان التراث الإسلامى (الأصيل) من شأنه أن يربط الفكر الإسلامي المعاصر بأصوله وتجدد هويته التى تتعرض اليوم للطمس التام. فإذا لم يحكم ربـط الماضى بالحاضر انفرط عقده وغابت استمراريته التاريخية.

التراث فى نظر الغرب

يقول الدكتور يوسف زيدان

قدم الغرب قراءة معينة للتراث العربي والإسلامي وهي قـراءة قـام بهـا المستشرقون أيام كانت المنطقة العربية والإسلامية تخضع ظاهرا أو باطنا لسـيطرة

الغرب الإستعمارية وهي قراءة تحض على نفي كل أصالة عن الأنتـــاج الثقـــافي والعلمي للعرب والمسلمين وذلك عن طريقة إرجاع تراثنا لأصول ومصادر غربية غير إسلامية وغير عربية.

وهناك بعض الباحثين العرب لايزالون تحت تأثير تلك القراءة الغربية الـــتى انتجها الأخر.

نقد النظرة الاستشراقية للتراث

ففي التصوف افكار عن عبد الكريم الجيلى (الانسان الكامل) لبعض الأفكار الاستشراقية حول الأصول الهندية والفارسية لنظرية الانسان الكامل عند الصوفية.

وفى تاريخ العلوم تحقيق كتاب ابن النفيس (شرح فصول ابقراط) للرد على المزاعم الاستشراقية الخاصة بالأصول اليونانية والمسيحية للإبداع الطـــبي العـــربي وقولهم أن الأطباء العرب المسلمين لم يكن لهم شأن كبير فى تقدم البحث الطبي.

ومن خلال تحقيق نصوص الطبيب العربي المسلم (ابن النفيس) مـــا يثبـــت عكس وجهة النظر الاستشراقية.

قال ادوار سعد : لا يوجد جهد علمي او معرفي خاص بدراسة الشرق إلا وقد تأثر بالاستشراق وكان الاستشراق معوقا

وما هى المعوقات التى وضعها الاستشراق أمام الدراسات العربية والإسلامية

(١) سبق المشرقون فى اخراج التراث العربي والاسلامي في طبقات محققـــة بشكل جديد.

(٢) تمثل الاعاقه الاستشراقيه فى خطر الوقوع في أســـرالفهم الاســـتشراقي للنص وما تمتلئ به هوامش النص المحقق استشراقيا من أفكار هى انعكاس للرؤيـــة الغربية لتراثنا.

(٣) أعاق المبشرون الدراسات العربية والإســـلامية حـــين نهبـــوا نـــوادر المخطوطات ونقلوها إلى بلادهم.

(٤) إعاقة أخرى تتمثل فى تربية المستشرقين لبعض الكوادر من البـــــاحثين العرب الذين ظلوا يرددون وجهات النظر الاستشراقية.

وقد سعى الاستشراق لفهم طبيعة الثقافة في بلاد المسلمين وقد تحقق له هذا الهدف وتم تقديم خلاصة لصناع القرار السياسي فى الغرب منذ زمن طويل يخـــدم بذلك عمليه التخطيط المهيمنة ولايزال يخدمها.

أما الاستشراق الأيدلوجى فإنه لم ينته ولن ينتهي والدليل هو مدى اهتمام اسرائيل بالتراث العربى وكيف تهتم بمخطوطاتنا.

وظهر علم الاستغراب لمواجهة نفاذ الغرب إلى تكويننا الثقـــــافي الـــتراثي والمعاصر وسعيه الدائم لفهمنا بنفاذنا الى تكوين الغرب وسعينا لفهمه.

ويستطيع أعلام التراث الإسلامى أن يربطو الفكر العربى المعاصر بأصوله ويجدوا أن هويته التي تتعرض اليوم للطمس التام وهى حلقه من تطور الانسان العربي والفكر المعاصر الى آخر الحلقات. ولو انفرط عقده وغابت عنه استمراريته فى التاريخ ولاشك ان تنقية التراث ضرورة ملحة واختيار النص الذى يجب تحقيقه ونشره مهمه كبرى.

ويعمل بعض الفوضويين على نشر التراث القاتل والتراث الخامل فمن القاتل مخطوطات السحر و الشعوذة والدجل ومن الخامل تلك المخطوطـــــات الفارغـــة المضمون كشروح وكالتعليقات على شروح الشروح.

وهذا يسقط ثقافة الوطن الإسلامي في نفس المأزق الذى تسقطها الرؤيـــــة الفلكلورية إذ يقطع حاضر هذه الثقافة عن ماضيها وتجرى هذه المحاولات حـــول تحجيم التراث وتغييب مقوماته الفاعلة.

ثلاثة مواقف أساسية تتضمن التوجيهات التى حددها المنظـــور الغـــربى فى الوطن الإسلامى إزاء التراث.

(١) الدعوة إلى رفض كل التراث والانسلاخ من الشخصيـــة الحضاريـــة احتذاء للغرب وتقليده.

(٢) موقف يعكس ذكاء وخبرة بنفسية الشعوب فلا يدعو جهرة الى رفض التراث وقطع الصلة بل يحاول امتصاص المطلوب على فترات.

(٣) دراسة التراث الادبي والفلسفي والفقـــهي الاســـلامي مـــن خـــلال منظورات منهجية مستمدة من الغرب.

وحين تقرأ التراث من خلال المنظور المنهجي الغربي تخلص الى تزييف هـــذا التراث لان المنظور المنهجي المستورد من الغرب لا ينسجم مع طبيعة الماضي الثقافي الاسلامي.

-٢-

من الواجب ايضا ان نلاحظ ذلك النشاط الضخم الذى يتمحـــور حـــول حركه تزوير وتشويه تاريخ مسيرة الدعوة الاسلامية حيث قامت فرق وانشتـــت مذاهب حملت لواء الكيد للإسلام وبث الفرقة والخلافات الحادة بين المســـلمين لإضعاف قوتهم ودفعهم عن جوهر دينهم وتلهيتهم بخلافات هامشيـــة حـــتى ينسوا مهمتهم التاريخيةالكبرى وهى كونهم طليعة البشرية نحو الخير والحق.

وقد بدأت حركة التشويه والتزوير قد بدأت قديما و استمر نشاطها خلال القرون وما زال يسهم برصيد وافر.

وقد وضعت كتب واحاديث واقوال نســـبت الى الرســـول والى العلمـــاء الأتقياء وقد كانت حركة تزويد وتشويه الدعوة الاسلامية من طرف الاتجاهات الاسرائيلية والاستشراقية والتعريبية والتبشيرية ومن أخطر ذلك كتاب (معراج ابن

عباس) وهو كتاب مدسوس مليئ بالاسرائيليات وقد نســـب زورا وكذبـــا إلى الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس وهو ملئ بالقصص الخيالية والأحاديث الباطلة التي لا سند لها ولا أصل وقد روج له اعداء الاسلام وممن روج له الدكتور لويس عوض (فقه السيرة ص١٥٥).

٣- التراث الوثني

أخطر ما تحمله الرياح السود اء: الدعوة الى إحياء التراث الوثـــني القـــديم السابق للإسلام والمعارض لمفاهيم التوحيد الخالص وأغلبه مـــن الفكـــر البـــاطني والغنوصى المتمثل فى وحدة الوجود والحلول والاتحاد والاشراق وغيرها ويقـــوم على التركيز على مفهوم الوثنية التي جاءت الأديـــان لمحاربتـــها وإعـــلاء عبـــادة (المحسوس المشخص)

هاجم الإسلام تعدد الألهة وحطم الوثنية ودعا الى عبادة الله تبارك وتعالى بل هاجم الإسلام الشرك الذى وقع فيه أهل الجزيرة العربية

وتقدم الوثنية اليوم فى صورة أساليب جديدة فى مجـــال الفنـــون والأداب بإحياء القصص الوثني الذى عرفتة بيئات اليونان والفرس ويقوم بهذه المهمـــة الأن عدد كبير من العلمانيين والشعوبيين والماركسيين ويتصدر له أدونيـــس والبيـــاتى وغيرهم.

الدعوة إلى الدهرية تجمع بين الوثنية والاشتراك فى الأموال وكل منكري البعث في الآخرة هم الدهريون وأساتذتهم فولتير وجان جاك روسو والمورمون والنفعيون والمدلسون والمارديون هم قادة جيش الدهريين ومفاهيمهم تقوم على اساس عدة أصول:

١- إنكار الخالق وأن الكون بلا إله ولا صانع

٢- إله الدهر قديم

٣- إنكار البعث والاعادة

٤- أسقاط الفرائض واباحه الشهوات

٥- إباحة تأويل الشريعة

٦- القول بان القران والاحاديث ليس ظواهر وبواطن

وتتلخص غاية الدعوة الباطنية في

(١) الإلحاد فى العقيدة

(٢)إلغاء الالتزام الاخلاقي

(٣) إلغاء المسئولية الفردية المؤدية إلى الجزاء فى الاخرة

وقد ابتدعوا لكل مصطلح مفهوما مخالفا للحقائق الأساسية التى تعبر عنها الكلمات وصفها الشيخم الندوى بأنها ثورة على النبوة المحمدية لأنكارها المفاهيم الدينية التى توارثتها الأمة الإسلامية واخطر ماعندهم تأويل الكلمات الشرعية المتواترة تأويلا لا يقوم على أصول الفقه والقياس.

***

يختلف مفهومنا للتراث عن مفهوم الغرب فهم يرون أن الحديث تراث والسنة تراث

التراث الذى تملكه وتتناقله اجيال الأمه من زاويتين :

١- تراث السلوك والعادات والقيم

٢- تراث إلابداعات الفكرية والفنية والأدبية واشكالها وأساليبها

وعن التراث غير المكتوب يقول علماء الانثربولوجيا (ليفى شتراوس)

انه بتحليل السلوك والطقوس والشعائر والرموز الاجتماعية المستعملة والشائعة في الحياة

اما التراث المكتوب فأنه إبداعات فكرية (منها ديوان الشعر العربي وأوزان الشعر والعمود الشعري)

الباب الثاني

تأصيل المفاهيم الإنسانية

(١) الليبرالية (مذهب الحريين)
(٢) العلمانية
(٣) العلمانية فى مواجهة المسيحية
(٤) أخطاء العلمانيون
(٥) أخطاء العلمانيون -٢
(٦) لم يعرف الإسلام العلمانية
(٧) هل تحل العلوم بديلاً عن الدين
(٨) التقدم
(٩) العقلانية
(١٠) التنوير: مصطلح مضاد للحقيقة
(١١) مفهوم التنوير فى الفكر الإسلامى
(١٢) الفن

(١٣) ايجابيه الفن
(١٤) التصوف الفلسفي
(١٥) مؤامرة العصرية
(١٦) المعاصرة
(١٧) الإلحاد
(١٨) التحديث
(١٩) صحيح القران طريق الفكر الإنساني
(٢٠) البنيوية
(٢١) المعرفة
(٢٢) نظرية المعرفة فى الإسلام
(٢٣) أسلمه المعرفة
(٢٤) العقلانية
(٢٥) الإعلام
(٢٦) حول علم اجتماع إسلامى
(٢٧) الثقافة ليست عالمية
(٢٨) معاصرة فى إطار الأصالة
(٢٩) العالم المواجه
(٣٠) نظرية القيم

١ – الليبرالية (مذهب الحرية)

عرف فى البلاد العربية والإسلامية ما يسمى (مذهب الحريين) انطلاقاً من الروابط التى قامت بين العرب والمسلمين من ناحية وبين أوربا من ناحية أخرى. حيث تطلق كلمة (الليبرالية) على هذا التيار الفكري الذي يؤمن بالحرية الفرديـــة وقد كانت مقدماته فى القرن السادس عشر حيث صاحبت الليبرالية نمـــو نفـــوذ صاحب الأعمال ورجل الصناعة.

والليبرالية: هى الحرية بمعنى الخلاص من القيود، والشوائب فهناك الحرية النسبية والحرية المطلقة.

فالحرية النسبية هى الخلوص من العسر والإكراه الاجتماعي

أما الحرية المطلقة فهى حق الفرد فى الاستقلال عن الجماعة التى أنخرط فى سلكها.

والمعروف للمسلمين أن الحرية هي مفهوم إسلامي أصيل سبق الغـــرب فى ذلك بعدد من القرون حيث ظهر إعلان حقوق الإنسان فى الغـــرب ١٧٨٩ أمـــا الإسلام فله مفهومه المختلف عن مفهوم الغرب حيث يقوم الإعلان العالمى علـــى خضوع الفرد فى ممارسه حقوقه وحرياته للقيود التى يعنيها القانون.

والمعنى النفسي والخلقي أن الحرية هي الحد الأقصى لاستغلال الإرادة العالمة بذاتها المدركة لغايتها فحريته ليست مجردة من كل قيد ولا هى متناهية بل هـــي تابعة لشروط متغيرة توجب تحديدها وتخصيصها وتسمى الحرية الأدبية أو الخلقية مضادة للهوى والغريزة.

تقول ليبنتز : إن الله وحده هو الحر الكامل أما المخلوقات العامة فلا توصف بالحرية الأعلى قدر خلوصها من الهوى.

ولليبرالية تاريخ حافل وإن ظهورها بدأ يتحدد قبل ظهور الاشتراكية بـــأمد طويل وإن الاشتراكية هى التى قامت على أساس من رد الفعــــل إزاء المقـــولات الجوهرية التى خلفها التراث الليبرالي.

وقد أكد الباحثون الغربيون أن الليبرالية هى إنتاج غربي ظــــهر في القرنـــين ١٦، ١٨ فى اثر الاتجاه الذى كانت الكنيسة خطته هي نفسها لما فصلت الحقـــــل الروحي عن الحقل الزمنى (هذا لقيصر وهذا لله) وفى قول بير ماتــــان - وهكـــذا اختمرت مفاهيم (١) حرية العقيدة (٢) والدولة الحيادية (٣) وحريــــة الـــذات الفردية (٤) والسوق التجارية الحرة، الواحدة بعد الأخرى.

ويرد الباحثون بناء مذهب الحقوق الطبيعية نتيجة علاقة الكنيسة بالأفكـــار الليبرالية ،وعندهم أن هذه المبادئ' الأساسية الأربع لم تطرح نفسها عفوا بصورة طبيعية بل جاءت ثمرة لمقارنات متتالية ومراجعات متواصلة متوالية تخللتها جملـــــة كسوفات وانحرافات وهذا ما سعى إلى إبرازه بيير ماتان فى كتاب (الليــــبراليون) حيث يعيد قراءة (لول- منتسكيو -آدم سميث -بنجامان كونستان)

وتقرر الليبرالية في صورتها المبسطة أن الفرد هو أصل المجتمع وأن الحرية حقه البديهي والطبيعي وهي ظاهرة طبيعية تابعة لوجود الفرد على الأرض فإذا ذهبنـــا نطبق هذا المفهوم على واقع التجربة وجدنا أن ديمقراطية أثينا تقوم على ٢٠ ألف مواطن حر بجانب أكثر من مائة ألف رقيق محروم من كـــــل الحقـــوق وكـــانت ديمقراطية أثينا قائمة على الرق فهي ديمقراطية أصحاب الأملاك.

وتعد الليبرالية أبرز مظاهر الديمقراطية. ومن هنا يختلف نظام الإسلام مــــن حيث الشورى والعدل الاجتماعي عن مفهوم الديمقراطية والليبرالية جزء منها.

حيث تقوم الحرية المنضبطة على أساس حرية الفرد أولاً وحرية الفرد في إطار المجتمع حيث يقيم الإسلام لكل قيمة ضوابط وحدوداً تحمي المجتمع من أهواء الفرد .

"إن الحرية الاجتماعية والشخصية التي هي أبرز مظاهر الديمقراطية هي المسئولة عن التدهور الأخلاقي والانحلال الاجتماعي المتفشي في المجتمعات الغربية وما قيمة مجتمع يتقدم صناعيا ويقوم على دعائم اقتصادية قوية ويتمتع بالحرية السياسية والاجتماعية ولكن في الوقت نفسه يعاني من انهيار خلقي رهيب يعبر عن انعدام المثل العليا وغياب القيم الروحية وفي ظل الديمقراطية قامت الدول الغربية باستعمار معظم شعوب العالم واستغلال ثرواتها وامتصاص دمائها.

ومن أهم خطورة الديمقراطية أنها تجعل الشعب مصدر التشريع وليس الله تبارك وتعالى وبذلك تصبح قيم الخير والشر والحلال والحرام في ظل الديمقراطية قيما نسبية ومتغيرة تخضع لاتجاهات كل مجتمع وفلسفته الخاصة وترتكز على الواقع المادى والظروف البيئية المتغيرة وفي هذا محو لتراث القيم الدينية الخالدة

إن موقف الديمقراطية من الدين موقف سلبي وهدام إذ فصلت الدين عن الدولة وجعلته مسألة شخصية بحتة بمعنى أن الدولة لا تتبنى القيم الروحية وتترك للأفراد حرية التدين والإلحاد

الأمر الذى شجع كثيرا من مفكرى الغرب على الهجوم على الأديان وتصويرها بصور الخرافة والرجعية الفكرية ومن ثم نشأت المذاهب المادية والملحدة التي عجزت بدورها عن ملء الفراغ الروحي لدى أجيال كثيرة فقدت ارتباطها بالمثل العليا (مسعود عامر) ، ويؤكد الباحثون عدداً من الحقائق التي تكشف اضطراب الليبرالية والرأسمالية معاً فقد استعلت فكرة الليبرالية (التي تمثل منهج الفكر الرأسمالي الغربى) في مواجهة الاشتراكية (التي تمثل منهج الفكر الماركسى

) وبخاصة بعد سقوط الماركسية ويدعو الليبراليون إلى أن هناك طريق واحد للتنمية وهو المنهج الذى يتلازم مع الفكر الليبرالى الجديد بإتباع استراتيجية للنمـــو مـــن خلال اندماج كامل في النظام الرأسمالي ، و يدعو المؤسسات الدوليــــة المســـاندة لليبرالية إلى استراتيجية لفتح طاقة معاونة الاقتصاد الوطنى أمام العـــالم الخـــارجى وذلك دون النظر إلى الاحتياجات الأساسية للمواطنين الفقراء في الداخـــل ودون الأخذ فى الاعتبار أن الاقتصاد العالمى حاليا غير مهيأ لاستقبال مزيد من المنتجات المصدرة من الدول النامية وأنه يعانى من ركود شديد لم يشهده العالم فى السنوات الثلاثين الماضية ونتيجة لتطبيق هذه الإستراتيجية فأن الكثير من الحكومات الوطنية تعاني من نقص فى قدرتها على تعويض الخاسرين من برامج الإصلاح الاقتصـــادى بشكل خاص وفى قدرتها على التعامل مع التغيرات الاجتماعية بشكل عام.

ويقرر الباحثون أن معدلات النمو المؤثرة فى الأعوام الـــــ ١٥٠ الماضيـــة تحققت فى دول رأسمالية استبدادية فالديمقراطيات بطبعها تميل إلى نقل الثروة من الغنى إلى الفقير لصالح من المساواة الآخرة وتميل إلى دعـــم الصناعـــات المتغـــيرة والإنفاق على الخدمات أكثر من الإنفاق على الاستثمارات.

ومن هنا فأن الليبرالية الجديدة لم تعتمد طويلا في دول العالم الأول نفســـه فقد تنامت قدرة أصحاب المصالح المالية الكبرى على السيطرة على السياســـة إلى حد هدد العملية الديمقراطية ووصل هذا الحد إلى ذروته أخيرا فى اليابان والولايات المتحدة وإيطاليا .

والمعروف أن الرأسمالية قامت في أحضان اليهود الذين قاموا بتمويل الثـــورة الصناعية وقام على أثرها المجتمع الأوربى الصناعى المادى على غير أساس من ديـــن أو خلق أو روح . وكما صنع اليهود الرأسمالية فقد صنعوا الماركسية، أنهم هـــم صناع الليبرالية ولقد واجهت كل هذه الدعوات تحديات وصراعات خطيرة وقـــد

كانت الديمقراطية معادلة خاصة للأحرار ولكنها لا تشمل المجتمعات كلها بل لقد اعترف فلاسفة السياسة بوجود الرق وكان أرسطو وأفلاطون يؤيدون ذلك ثم جاءت المجتمعات على هذا الأساس وأن أخفت بعض مظاهرها .

ومعنى هذا أن مفهوم العدل والحرية الذى جاء به الإسلام ظل قائما بعيدا عن التطبيق وخاصة في مجتمعات المسلمين بعد سيطرة النفوذ الأجنبى وحجب منهج الله والشريعة الإسلامية.

ولقد سقطت الماركسية بعد سبعين عاما من الدعوة والصراع الذى لم يتوقف لأنها لم تكن مطابقة لأصول الفطرة أو العقل أو متفقة مع منهج الله تبارك وتعالى الذى نزلت به رسالات السماء وما تزال الليبرالية تعانى صراعا جديدا كما تعانى الرأسمالية والديمقراطية جميعا هذا الصراع . والمعروف أن اليهود هم الذين أقاموا هذه النظريات وفرضوها على المجتمع الغربى بعد أن ضربوا المسيحية الغربية فى مقتل فكان ماركس من دعاة الاقتصاد وفرويد من دعاة الجنس ودوركايم فى معارضة الفطرة وفريز فى علم مقارنة الأديان . وقد مكن اليهود لهذه النظريات الزائفة وجعلوا منها مواداً تدرس فى جامعات العالم اجمع لا على أنها نظريات بل على أنها حقائق.

ولقد حاول بعض المتصدرين للكتابة أن يدعى بعد سقوط الماركسية أن التاريخ قد توقف عند الديمقراطية الغربية وهو ادعاء من مطامع الصهيونية التى لن تتحقق ولقد واجهت الليبرالية الغربية كثيرا من التحديات التى تؤكد أنها سوف تتصدع وأن المنهج البشرى لا يزال تصل إليه فى كل واد الضربات والانهيارات وسوف لا يبقى إلا منهج الله وحده لأنه هو الحق ولأنه هو الذى يصادق الفطرة والعلم ولو تأخر به الزمن .

٢- العلمانية

سواء اشتق المصطلح من العلم أو من العالم فأن العلمانية محاولة لإيجاد نظام فكرى واجتماعي منفصل عن الدين في كل شئون الحياة ، قامت المحاولة أساسا في وجه الخلاف بين رجال العلم ورجال الدين فى الغرب ، وبالنسبة للمسيحية التى لا تحمل منهج حياة مستقل عن اليهودية، وقد حرص اليهود على إشاعة هذا المنــــهج فى العالم كله لخدمة أهدافهم وكان التركيز على الأمة الإسلامية بهدف حجـــــب المنهج الإسلامي .

ولقد كان من أهم أهداف التغريب خلال فترة سيطرة النفوذ الأجنبى إبعاد الدين عن المناهج التربوية والتعليمية من أجل إخراج أجيال ليس لها هدف ولا غاية ولا تحكمها قيم فقد تركزت دعوات الفلاسفة الماديين على التخلص من قيــــود الدين تطبيقا لأهداف الماسونية التى وضعت الخطط لنشر مذاهب الإلحاد وجاءت الماركسية تدعوا إلى إنكار الدين وهدفه وإقامة صراع الطبقات كمقدمة لســـيطرة إمبراطورية الربا.

وقد دعت محافل الماسونية (التى استبدلت بمحافل الليونز والروتـــارى) إلى الحرية المطلقة والاختلاط بين الجنسين وإقامة مدن العـــراة وتشجيـــع الرحـــلات والنوادى الرياضية وعدم الإيمان بالوطن أو الدين .

وفي محيط الإسلام الذى جاء عقيدة ومنهج حياة ليس مقبـــولا أن يفصـــل الدين عن المجتمع والدولة ، أو أن يكون مجرد اختيار فردى بين الإنسان وخالقـــة، وتلخص السيدة مريم جميلة علمانية القرن العشرين في عدة أصول أساسية:

١- إعلاء شان الوطنية والقومية والشعوبية والعنصرية (وهذه كلها تتعارض مع الوحدة الإسلامية والاخوة الإسلامية)
٢- تحطيم الخلافة الإسلامية
٣- رفض الشريعة الإسلامية (تحل محلها قوانين وضعية)

٤- جعلت المثل الأعلى هو رفع مستوى المعيشة بدلا من المثل العليا الإسلامية

٥- سفور المرأة واختلاطها بالرجال دون ضابط وتحللها من العفة (وإغرائها على ترك البيت والأولاد للعمل في الميادين العامة)

٦- محاكاة المسلمين للأوربيين والأمريكيين مع نبذ الزى الإسلامى المتميز

٧- العمل على صرف المسلمين عن النص العربى واللغة العربية التى هى لغة جميع المسلمين فى أرجاء المعمورة -(وذلك بترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى وإحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربى في اللغات التركية والإندونيسية)

وهكذا نجد أن الغرب يحاول أن يفرض علينا مفاهيمه ويحطم مقومات فكرنا الأساسى وهو الوحدة الإسلامية الجامعة .

كما يثير الشبهات حول الشريعة الإسلامية والادعاء بأنها شئ عفا عليه الزمن ويهاجم كل النظريات التى شرعها الإسلام (الزنا - معاقرة الخمر - الميسر / الربا)

وكذلك التفريط في موقف الإسلام من المرأة ، والدعوة إلى تحررها فى الأزياء والعمل وتجاهل دورها الأصيل فى بناء الأسرة وتربية الأجيال القادمة

تقول السيدة مريم جميلة إن الذين يصرون على أن بوسعنا أن نتقبل الخير ونرفض الشر فى الحضارة الحديثة ألا ينسوا أن لكل حضارة كيانها المتحد المتماسك وليس بوسع جانب منفرد من أى ثقافة أن يقوم منعزلا عن الجوانب الأخرى

وأن على المجتمع العلمانى أن يساير الإسلام ويصلح نفسه ليتوافق مع منهج الله تبارك وتعالى.

وأن التوافق مع العالم الحديث لن يكون بترك الدين أو التراث أو الماضى أو التاريخ.

٣- العلمانية في مواجهة المسيحية

العلمانية نمط من أنماط العلاقة بين الدين وبين العمران الإنساني تعزل الدين عن هذا العمران الإنساني ، وهى ليست بفصل الدين عن الدولة فحسب وإنما بفصل الدين عن الدولة وعن الأخلاق وعن نظرية المعرفة ومناهج البحث وكل ما يتعلق بشئون العمران الإنساني سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية.

هذا المنهج العلماني هو أوربي المنشأ لأن أوربا عرفت في عصورها الوسطى والمظلمة عندما حكمتها البابوية الكنسية عرفت نمطا من هذه العلاقة تجعل الدنيا دنيا خالصا وتثبت الدنيا بكل جوانبها وتقدسها.

وقد جاءت العلمانية مع النهضة الغربية الحديثة كرد فعل أعادت أوربا إلى جاهليتها اليونانية عندما لم تكن هناك شريعة ولا لاهوت ولا وحي فجعلت الإنسان سيد الوجود وجعلت المرجعية لعقل الإنسان و لحواس الإنسان وقد جاءت العلمانية كرد فعل للكهانة الكنسية واللاهوتية.

أما مجتمع الإسلام فإنه لم يعرف لا الكهانة ولا نمط الحكم بالحق الإلهي والتفويض الإلهي.

وجاءت العلمانية مع الثروة الغربية الحديثة وهذه المشكلة غير موجودة في الواقع الإسلامي لأن الإسلام يقيم نمطا من العلاقة بين الدين والعمران ليس الفصل بينهما وإنما التمييز بينهما .

ولما كانت الشريعة الإلهية إطارا حاكما للنشاط الإنساني فالإنسان حر مرن مستطيع قادر والأمة مصدر السلطات بشرط إلا تتعدى سلطات الأمة حدود الحلال والحرام.

ولقد عصم النموذج الإسلامي المتميز الإسلام من الكهانة الكنسية والدولة الدينية بالمعنى الغربى لأن المشكلة الغربية غير موجودة أصلا فى المجتمع الإسلامي.

ولقد دخلت العلمانية بلادنا لتجعل إسلامنا مسيحية ونصرانية منعزلة عن الواقع الإنساني .

وبالجملة فإن العلمانية حل غربى لمشكلة غربية ولا وجود لها في واقعنا الإسلامي.

* * *

ظهر المنهج العلمانى القائل بمبدأ التطور بديلا عن الخالق الذى تقول به المسيحية في تفسير الأشياء والأحداث وأهمها التشكيك في مسلمات الدين المسيحى ومنها مبدأ الخلق وقد ارجع (نيوتن) حركة العالم إلى المادة ، ويستبعد وجود قوة خارجية تنظم هذه الحركة وتوجهها.

ولقد كان لتقدم الأبحاث العلمية مع الإلحاد في (الله تبارك وتعالى جل وعلا) مما أدى إلى المبالغة في إمكانات العلم البشرى وإلى الإيمان بقدرة الإنسان المطلقة على التقدم والارتقاء غير المحدودين.

وقد عمل دعاة التطور إلى إعادة تركيب التاريخ الإنساني على أساس أسطوري باسم العلم ، وجاء ذلك نتيجة ضخمة لغياب العلم الصحيح بالحقائق اليقينية التى تركز عليها تاريخ العالم.

والتى لم يبق لها ذكر إلا في القرآن الكريم بعد أن رفعت جميع الكتب السماوية أو ضاعت.

ومن هنا كان ملء الفجوات المجهولة في التاريخ بالخيال الأسطورى أو فكرة القانون الطبيعي.

وكان الفكر التجريبي الذى ألزم نفسه بقواعد منهجية هو الـــذى نســخ الأساطير الجديدة.

ونحن المسلمون اليوم نملك العلم الصحيح الذى يعصمنا مـــن الوقـــوع في شباك الخطأ أو الاحتواء.

وقد حاول العلمانيون وضع العلمانية في موضع التعارض مع الدين وإبـــراز العلمانية في صورة المذهب العقلى الذى يقوم على الانتفاع بـــالعقل الإنســـانى في بعث التطور والتجديد.

وحيث يجمع الإسلام بين الإيمان بالله تبارك وتعـــالى والقضـــاء والقـــدر والاستفادة من قوة العقل ومن قوة كل ما هو مادى.

أما العلمانية فهى لا تقبل التعامل مع كل ما هو دينى ولاشك في أن التفرقة بين العلماني (بمعنى العالم) وبين الدينى أو الكهنوتى هى تفرقة مسيحية لا وجود لها في الإسلام وأساسها وجود سلطة روحية هى سلطة الكنيسة وسلطة مدنية هى سلطة الولاة والأمراء والعلمانيون يحكمون العقل ولا يتقيدون بالقيم الدينية.

والعلمانية في القانون الإنجليزي هي النظرية التى تقول إن الأخلاق والتعليم يجب ألا يكونا مبنيين على أسس دينية وتقرر دائرة المعارف البريطانية أن العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا.

أما الإسلام فهو أن تكون الدنيا مزرعة للآخرة .

وإلا لحاد في دائرة المعارف البريطانية قسمان : إلحاد نظرى وإلحاد عملـــي والعلمانية إلحاد عملي بمعنى عزل الدين عن التأثير في الدينـــا في جميـــع النواحـــي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانون وغيرها.

والواقع أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم . وقد كانت فرنسا بعد ثورتهـــا الـــتى أججها اليهود أول دولة أوربية تقيم نظامها على أساس الفكر العلمانى.

وقد رفضوا (الدين) الذى كان في أوربا يتعارض مع مصالح النـــاس في دنياهم ويتعارض مع حقائق العلم الثابتة .

وقد حاكمت الكنيسة العلماء المكتشفين والمخـــترعين وعاقبتـــهم علـــى اكتشافاقم العلمية المناقضة للدين المبدل فاقمتهم بالزندقة وإلا لحاد (وقد رجعت الكنيسة في السنوات الأخيرة فأعلنت أنها أخطأت في قتل العلماء الذين حملـــوا في الأصل لواء التجريب الإسلامي الذى جاء أوربا من الأندلس).

وقد أقامت الكنيسة تحالفا غير شرعيا مع الحكام الظالمين فخرج الناس عن الدين الذى يحارب العلم وطردوه من كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية.

وقد نقل المتشرقون وأتباعهم هذا الفكر العلماني إلى ديار المسلمين وروجوا له فأصبحت اكثر الأنظمة في بلاد المسلمين اليوم أنظمة علميـــة دون أن يعـــرف الجمهرة من المسلمين حقيقة الأمر.

وكانت الرؤية العلمية تقوم على استبعاد الدين وكل الاعتبـــارات الدينيـــة وتقديم المستويات والسلوكيات الاجتماعية من خلال الحياة المعاشـــة والرفاهيـــة الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين.

****

ظهرت العلمانية في الغرب مذهبا يناهض انحرافات الكنيسة في أوربـــا بمـــا كانت تفرضه من صكوك الغفران والحرمان وتحريم البحث في العلـــوم التجريبيـــة وقتل وسجن من يبحث فى هذه العلوم بدعوى انه تعارض المشيئة الإلهية.

وكان رد الفعل في ظل الثورة الفرنسية ١٧٨٩ هو إبعاد الدين عن الحيـــاة وعن المجتمع وقد تمخض عنها النظام العلماني الذى يفصل بين الديـــن والمجتمـــع ويعزل الدين عن القوانين والتشريعات.

وتشترك العلمانية مع الماركسية في إبعاد الدين عن التشريعـــات والقوانـــين وجاء رد الفعل الأكثر في الشيوعية التي بناها كارل ماركس وهى تنكر الأديــــان ونشترك مع شيوعية " مزدك" الذى ظهر فى فارس قبل نزول القرآن في الدعوة إلى شيوعية المال والجنس .

ويعد التيار الشيوعى فرعا من فروع التيار العلمانى ويشترك الفكر الإلحادي مع الفكر العلمانى في إبعاد الدين والقيم عن الحياة الاجتماعية.

وهذا هو سر تآزر الماركسيين والعلمانيين على حرب الإســـلام في الفـــترة الأخيرة وقد كانت الثورة الفرنسية أول عمل مسلح ١٧٨٩ لفـــــرض العلمانيـــة عقيدة وشريعة، وكانت كتابات روسو هى (إنجيل الثوار) ووصف روسو النظـــم والقوانين الدينية وغير الدينية بأنها ذات طابع تحكمى أرضى وليس لها مصدر إلهى وإنها وضعت لحماية طائفة من الناس وللتغرير بالجهلاء.

وسارت عدوى سيادة القانون الوضعى والأمة مصدر السلطات وهى بدائل وضعت مكان الحكم بما أنزل الله.

وعلى صوت القوانين الطبيعية ووصفت بأنها هى المدبرة لشئـــــون الحيـــاة وقامت الفكرة العلمانية على (أولا) أن المصادفة هى خالقة الكــــون (ثانيـــا) أن الطبيعة هى الموجدة للكائنات عن طريق التطور أو الانتخاب الطبيعي (ثالثـــا) وأن القوانين الطبيعية هى المدبرة لشئون الحياة.

وقيل أن القوانين الأزلية لم تترك مكانا في الوجود لفكرة الألوهية وقد كان من الضرورى تثبيت هذه المفاهيم المسمومة الباطلة في أفق الفكر الإسلامى عـــــن طريق السيطرة على المدرسة والكتاب والجامعة والصحافة ومن هنا ظهرت طلائع العلمانين الذين تبنوا موقف الحضارة الغربية في ضرورة فصل الدين عن الدولـــــة لأنهم رأوا الإسلام دينا لا دولة.

ومع ذلك فقد رأوا ضرورة أن تكون النهضة علمانية تفصل الديـــن عـــن الدولة. ولما كانوا لم يستطيعوا أن يواجهوا الأمة بهذه المفـــاهيم فقـــد لجـــأوا إلى القضايا الجانبية في محاولة لضرب العقيدة في مقتل، جرت المحاولة حـــول بشريـــة القرآن وبشرية الرسول والتشكيك في الشريعة وقضايا الفقه ومفهوم الدين نفسه.

وهكذا عملت العلمانية على إقلاع الدين والتدين من المجتمع بأسره وقـــد بدأت هذه الدعوة منذ الحملة الفرنسية على مصر وتبلورت في صورة إزالة الرابطة الإسلامية واستبدالها بالفكرة القومية.

ولذلك كان ترابط العلمانيين في عداء للإسلام كدين لأنه مصدر الوحـــدة الجامعة لديار الإسلام ومحاولة إحياء الخلافة.

وكان هؤلاء من خلفاء الجنرال يعقوب الذى عمـــل في خدمـــة الحملـــة الفرنسية في مصر وبعض المثقفين الموارنة الذين حملوا لـــواء الصحافـــة في مصـــر وغيرها من بلاد أفريقيا وبخاصة (تونس والجزائر) وكان هدف العلمانية :

١- اقتلاع الدين ولقوم فلسفتها الماديـــة الخالصـــة ونزعـــها الإنجليزيـــة المعلنة .

٢- الدعوة لتبعيتنا للغرب

٣- تمكين دعاة الفصل بين الدين والدولة

ويقول بعض الباحثين لقد جردت العلمانية العلمانيين من انتمائهم الوطـــني وجعلتهم مجرد وكلاء أو عملاء للغرب حيث قيل أن النخبة العلمانيـــة الحاكمـــة عندنا قد فصلتهم عملية التحديث عن العمق الثقافى للأمة الذى يمثلـــه الإســـلام وتراثه .بحيث أصبحت السلطة بعد الاستعمار هى امتداد للسلطة الاستعمارية ليس لها ما يربطها بالشعوب غير لون البشرة أو الشعارات المعلنة أما حقيقة شرعيتـــها

فليست مستمدة من تمثيلها لصالح شعوبها وثقافاتها وإنما هي مشروع التسلط باسم التحديث الذى يتمثل في عملية سلخ الشعب عن هويته وربطه بما وراء البحار.

- *إعلان الجبهة العلمانية*

وقد أشارت الصحف (مايو ١٩٩١ - التضامن الإســـلامي) إلى إعـــلان الجبهة العلمانية - قالت :

أعلن المحفل الماسوني الفرنسي تشكيل الجبهة العلمانية للوقـــوف في وجـــه التطورات الدينية في كافة أنحاء العالم وبدأ المحفل تنظيم ندوات ومحاضرات لحماية العلمانية من الحركات الإسلامية التي بدأت بالاتساع .

وأوضح (بير راغاش) الأستاذ الأعظم لمحفل الشرق الكبير بـــأن العلمانيـــة والليبرالية يتعرضان لهجوم مكثف من قبل الرجعية وادعى أن الإسلام والنصرانيـــة واليهودية تتعاون فيما بينها لاستتراف العلمانية وبذلك فقد تؤثر علـــى تشكيـــل الجبهة العلمانية.

- *العلمانية والحكومة الدينية*

حاولت العلمانية خلق تصور خاطئ للدولة الإسلامية بأنها تشبـــه الدولـــة الدينية التي عرفها الغرب ومنها ادعائهم بأن الإسلام دين فحسب ولا ينطبق عليه معنى الدولة بالمفهوم الحديث .

ولما كانت الأركان الأساسية للدولة بالمفهوم الحديث تنحصر في ثـــلاث: (١) الشعب (الجماعة البشرية) (٢) الإقليم (٣) الهيئة الحاكمة. وتنطبـــق كـــل الانطباق على دولة المدينة التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث وجدت الجماعة البشرية ممثلة في الأمة الإسلامية ووجد الإقليم وهـــو المدينـــة ووجـــدت السلطة العليا ممثلة في النبي عليه الصلاة والسلام .

وهذه الدولة أسست بموجب بيعة العقبة التي كانت عقدا اجتمعت له الخصائص العسكرية والاجتماعية اللازمة لإنشاء الدولة الإسلامية .

والواقع أن الإسلام يجمع بين الدين والشرع لدرجة أن الصحابة والتابعين اجتمعوا على أن نصب الإمام واجب وإقامة الحدود وحفظ النظام لا يتمان إلا بهذا النصب.

ولما كان الإسلام يشمل الدين والشريعة معا فقد اقتضت مرونة الشريعة أن تحدد أسس نظام الحكم على مبادئ الشورى والحرية والعدالة والمساواة : هذه المبادئ لها العمومية والمرونة بما يكفل لها الصلاحية لجميع البشر.

أما الحكومة الدينية في الغرب فتختلف حيث أعطت نفسها نوعا من العصمة وعرف عنها كثير من التجاوزات في العصور الوسطي وحيث مارست الكثير من العسف وكبت الحريات وقام رجال الكهنوت المسيحى بتجاوز حدود وظائفهم الكنسية فتولوا سلطات واسعة وأداروا دفة الحكم بطريقة مباشرة أو من وراء الستار تحقيقا لأغراضهم لعدم وجود شريعة لديهم ملزمة مفصلة يمكن الارتكاز عليها بحسبانها فلسفة للحكم والأمر غير ذلك في الإسلام ، فالحكومة في الإسلام تدير المجتمع المسلم وفقا لمبادئ وأهداف الإسلام ، فالإسلام هو المهيمن على تشريعات وحكم ومفاهيم ومعايير أهداف المجتمع.

كما يمثل الإسلام العقيدة العليا لهذا المجتمع وبه فإنه لا محل للتخوف من علماء الدين في الإسلام فليست لهم عصمة فهم أهل خبرة وكفاءة وفهم ولا يسمح لهم بالخروج على الاختصاصات المقررة لهم ولا يتاح لهم الحكم بأهوائهم فالشريعة الإسلامية تحكم الجميع : الحاكم والمحكوم على سواء وأساسها القرآن والسنة.

أن مبعث الخوف من تطبيق الحكم الإسلامي إنما مبعثه الصورة المنطبعــة في ذهن بعض الناس عن الحكم الديني في العصور الوسطى المظلمة ومقارنته بــالحكم الإسلامي العادل الرباني الذى ساد في العصور الوسطى الإسلامية الــتى لم تكــن مظلمة ولكنها كانت مضيئة.

– *ظاهرة انتحار العلمانيين*

يقول الدكتور حسن الشرقاوى : أن هناك ارتباطا بين ارتفــاع معــدلات الانتحار وبين البعد عن حكم دين الله. فقد ظهرت ظاهرة انتحار بعض مشاهير الكتاب والمفكرين الذين تميزوا بالتحرر العقلى أو بإنكار الأديان السماوية.

وترجع ظاهرة ازدياد معدلات الجرائم في البلاد التى ألغت عقوبة الإعــدام على القتلة والسفاحين نتيجة إطلاق سراح قلة من الأشرار المنحرفين الذين يعيثون في الأرضى فسادا.

أى كما يقول آرثركيسلر : إعطاء حق الحياة للقاتل وإعطاء حق الانتحار للمحكوم عليهم بالحياة الطويلة المملة .

ويقرر ديوى أن حفظ حياة السفاحين والقتلة بدعوى حقهم في الحياة يدل على أن التفكير البشرى عاجز في البداية والنهاية عن إيجاد تشريع أخلاقي أو قانون اجتماعي صالح للتطبيق.

كذلك شان الحكم بالموت على الذين طالت حياتهم لقد حبــذ (اندريــه مالرو) في كتاب الوضع الإنسانى : فكرة الانتحار وانتحر هــو مــن بعــد أمــا البيركامى فيقول إن الانتحار يمكن أن يكون شيئا أكثر من مجرد إيماءة إلى التحدى واليأس.

ويرجع الدكتور الشرقاوى أسباب اليأس والضغوط إلى خيبــة أملــهم في المذاهب المادية والعلمانية ومحدودية عقولهم.

وقد اعتنق أرثر كسلر الماركسية وجعلها مصدر إلهام لرواياته ثم يكتشف بعد ذلك زيفها وعجزها وقصورها وتناقضها وضعفها وتهافت دعاويها وعقم مزاعمها فيصاب بخيبة أمل ربما توصله إلى يأس قاتل يؤدى إلى الإقدام على الانتحار كما فعل.

بالعكس حدث لجارودى الذى اكتشف أن الماركسية طريق مسدود وأنه لا رجاء إلا فى الإسلام فتمسك به.

وكذلك وصل جاكوب مورنو من عمالقة الفكر العقلى في أمريكا ورائد المدرسة النفسية الاجتماعية وصل إلى المأزق وادخل نفسه في مصيدة العلمانية فلم يستطع خروجا، وقد انتحر ابشع انتحار إذ قرر إلا يأكل ولا يشرب حتى الموت. وتطالعنا الصحف بخبر جديد عن إفلاس وانتحار زعيم من زعماء الماركسية أو الوجودية أو الفلسفات الإلحادية.

وقد أقدم (التوسير) وهو من أقدر فلاسفة المادية في فرنسا إلى ارتكاب جريمة بشعة إذ قتل زوجته وهى بجانبه على الفراش وأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية.

وقد أعلن هايدى جارون عميد فلاسفة العصر فى أوربا عن الإفلاس العقلي والفراغ الفكرى وعن المأزق الذى وصل إليه العلمانيون بقوله (نحن نعيش في ليل أوربا)

وقد أعلن سارتر ساعة احتضاره : أن فلسفته قادته إلى هزيمة نكراء، ذلك إن الحلول الجذرية للقضايا الإنسانية المعاصرة لا يمكن أن تجدها عند النظريات المادية والتجريبية والعقلانية أو المثالية – وإنما الوصول إلى الطريق المسدود – والانتهاء إلى الإفلاس العقلي أو الأزمات النفسية ولا يجد الإنسان الأمن إلا في الدين.

من أكبر أهداف الاحتواء التغريبي : إبعاد الدين عـــن المنـــاهج التربويـــة الإسلامية من أجل إخراج أجيال ليس لها هدف ولا غاية ولا تحكمها قيـــم فقـــد تركزت دعوات الفلاسفة الماديين على التخلص من قيود الدين تطبيقا لأهـــــداف الماسونية التي وضعت الخطط لنشر مذاهب الإلحاد.

وجاءت الماركسية تدعو إلى إنكار الدين وهدمه وإقامة صراع الطبقـــــات كمقدمة ضرورية نحو عالم أفضل يكون فيه الإنسان سيد نفسه، وقـــد علـــت في الغرب الدعوة إلى إلغاء سلطة الدين وسلطة الأخلاق واستبدالهما بالحرية.

وقد دعت محافل الماسونية (التي استبدلت بمحافل الليونز والروتـــارى) إلى الحرية المطلقة والاختلاط بين الجنسين وإقامة مدينة للعراة وتشجيـــع الرحـــلات والنوادى الرياضية وعدم الإيمان بالوطن أو الدين أو الأروهة.

وقد ظلت العلمانية ولا تزال بضاعة بائرة في بلاد المسلمين مهما أرتدت من مسوح ماركسية أو قومية أو ليبرالية ومعظم هذه الهيئات تناهض عقيدة الإســـلام ولا تعترف بشمولية الإسلام وضرورة هيمنته على كل تصورات الإنسان للكون والحياة.

والعلمانية لا تمثل إلا موقفاً حيادياً بين الأديان وهو الركـــن الأساســـي في العلمانية إذ إنها من وجهة نظر مسيحية خالصة تتفق مع قاعدة أعطوا مـــا لله لله وما لقيصر لقيصر ، ولكنها تضع العربي المسلم في تنافض حاد مع قاعدة شمـــول الإسلام وتنظيمه الواضح لأمور المجتمع.

٤ – أخطاء العلمانيين

وتتضح هذه الأخطاء نتيجة التصور العلماني للمعرفة الـــذي يشطرهـــا إلى شطرين : شطر مادى وحسي هو الذي يعترفون به وشطر عيني يتمثل في الوحي والجوانب الروحية والوجدانية وكل ما يتصل بعالم ما وراء الطبيعة. وهـــذا هـــو موضع الخلاف الحقيقي بين الإسلامية والعلمانية وهو يمثل قضية قديمة لم يعرفـــها أفق الفكر الإسلامي وإنما هي منقولة له من آفاق الفكر الغربي: الوثـــني والمـــادي والإباحي والمنكر لرسالات السماء والوحي والغيب فقد صور العلمانيون منهجية الفكر على تصور إنشطارى جزئي وخضعت لذلك الليبرالية الرأسمالية والماركسية الشيوعية جميعاً فلما أراد الغربيون أن يغربوا الأمة الإسلامية طرحوا هذه المفـــاهيم في علوم ومناهج المسلمين.

وعلى رأس مقولات العلمانية مقولة (الطبيعة) في محاولة لإنكار الله تبـــارك وتعالى فكل كتب المناهج العلمية المقررة في المدارس العربية والإســـلامية تحـــوى مفاهيم تتحدث عن الطبيعة لا تعكس أية قيمة إسلامية بل على العكس من ذلك فإن الأسلوب العلماني المعادي للإسلام هو الأسلوب المتبع في تدريب رجال الغد.

وربما تكون قد نجحت في طرح هذا الاتجاه ولكن إلى أمد قريـــب فـــالمبدأ الإسلامي للعلم هو أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق ظواهر الكون كافة، فـــالله تبارك وتعالى هو مصدر الإلهام لكل مسلم بحيث يجب التركيز على مفهوم أساسي هو أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الإنسان خلقاً مختلفاً عن العناصر الأخـــرى متميزاً بما وهبه من معطيات أما في العلمانية فهم يضعون الإنســـان مـــع فصيلـــة الحيوان كما تقول نظرية التطور .

ولقد حفلت الكتب المقررة وبخاصة كتابي الفلسفة والمنطق لطلاب الثانوية للدكتور زكي نجيب محمود زعيم الفلسفة الوضعية، حفلت هذه الكتب بعقـــائد

وافدة مضللة كانت ولا تزال خطراً شديداً على المجتمعـــات الإســـلامية عندمـــا ترجمت.

وغاية ما تقدمه هذه الفلسفات إنكار ما وراء المحسوس (الغيـــب) والـــذي يترتب عليه إنكار حقائق الوجود الكبرى وأولها وجود الله تبارك وتعالى ويتساءل الدكتور زغلول النجار : هل يصح في منطق العقل والعلـــم أن تكـــون الحـــواس وحدها هي الحكم في قضية الإيمان بالغيب ؟ وهل يعتبر كل ما لا يقع تحت الحس كأنه غير موجود .

ويجيب الدكتور النجار على ذلك فيقول: إن الإجابة بمنطق العلم الحديث: "لا" ، فهناك مثلاً من الأصوات ما لا تسمعه الأذن وهذا من نعمة الله علينا وإلا كان لضربات القلب ضجيج لا ينقطع على أسماعنا وكوننا لا نحس بها ليس معناه أنها ليست موجودة وبالمثل باقي عالم الغيب الذي لو قدر وكشف لنا بعضه لصعق الإنسان لأن طاقة حواسه لا تقوى على استقباله كما حدث لموسى عليه السلام، وحتى المادة المحسوسة التي لا يؤمن ملا حدة العصر إلا بها أثبت العلم الحديث أنها ليست إلا طاقة شكلت وفقاً لقوانين معينة فمن الذي وضع تلك القوانين التي تقف خلف هذه الطاقة ؟

ويجيب على هذا التساؤل عالم الذرة (اينشتين) الذي يُعَّد أعلـــم علمـــاء الأرض في الظواهر الكونية حيث قال يوم فرغ من تسجيل نظريته الفذة (النسبية) أن العقل البشري حين يتأمل هذا الخفاء الكوني يدرك أن وراءه حكمة هي أحكم ما تكون الحكمة وجمال هو أجمل ما يكون الجمال ، إنه الله تبارك وتعالى.

وفي هذا يقول كريس مورسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك:

[إن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم تجعلنا نعتقد بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة]

وبذلك جاء تفجير الذرة محطما لكل الفلسفات المادية حيث أصبح يخالف حقوق العلم التجريبي الذي أخذ يؤمن بعالم الغيب ووجود الخالق القادر القائم وراء هذا الكون يدبره ويديره وأصبح الفلاسفة الماديون يعرفون هذه الحقيقة ولكنهم سادرون في غيهم يضللون الناس ويسخرون.

ويتركز تصحيح المفهوم على أساس: أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وخلق الحيوان وأن الإنسان يختلف اختلافا كاملا عن الحيوان كما نتعلم في الوقت ذاته أن الله هو الخالق.

- وعندما نذكر الأشياء المادية يجب أن تضاف عبارة:

" خلق الله المادة وصنع الإنسان منها هذه الأشياء"

وتوضع قاعدة أساسية هي "وهب الله الإنسان القوة وهو يستخدمها ليحرك الأشياء"

أما بالنسبة للحيوان

"فقد خلق الله تبارك وتعالى الحيوانات للإنسان والحيوانات تنقل الأشياء للإنسان".

وعند الحديث عن الرياح والأمطار والسحب تتقدم عبارة:

"إن الله تبارك وتعالى هو الذي يسير العالم فالرياح والأمطار والسحب تغير الطقس بأمره".

فإذا كان الحديث عن (البروتوبلازم) يجب أن يبدأ بالقول:

"بأن الله تبارك وتعالى قد اختار مادة البروتوبلازم لتنقل الحياة بواسطتها فالبروتوبلازم في حد ذاته لا يستطيع أن يمد الكائن بالحياة.

وهكذا يجب أن نغير مفاهيم العلوم ومعطياتها لتتفق مع روح الإسلام وقاعدة التوحيد الخالص.

٥- أخطاء العلمانيين..(٢)

تأتي أخطاء العلمانيين من مصدر واحد هو إنكار البعث والغيبيات وكل ما يتصل بها من الألوهية والنبوة والقرآن المنزل.

وأبلغ أخطائهم القول بأن المعرفة كلها نسبية فلا يوجد من يملك الحقيقة النهائية، بينما نحن المسلمين قد قدم لنا ربنا منهجاً جامعاً وفي مقدمته منهج الميتافيزيقا وعالم ما بعد المادة.

ومن خلال هذا المنهج يختفي ويسقط كل ما قدمه الفلاسفة والعرافون وغيرهم من خلال الفكر البشري القائم على الأساطير والخرافات مما كانوا يتخيلونه بخلاف الحقيقة التي جاءت بها الأديان.

(٢) إن الدعوة المدنية (الانشطارية) التي يدعون إليها مشوهة ومضطربة فهي تؤكد الشكوك التي يطرحها تكامل الإسلام فهي دعوة أساسها الانسلاخ بين الدين والفصل بينه وبين واقع الحياة وبين المجتمع وبين الثقافة ويحمل خطأهم ينصب على مقولة إن الدين لله من حيث هو علاقة بين المرء وربه وليس من حق أحد أو سلطة ما أن تتدخل فيها.

وهو تصور زائف ودخيل ولقيط لم يقل به إلا العلمانيون والملاحدة والمنكرون للأديان أمثال فرح أنطون الذي قال إن الأديان شرعت لتدبير أمر الآخرة لا لتدبير الدنيا. وإن دائرة الأديان هي الإيمان بالقلب وإنه علاقة بين المرء وربه.

وإذا كان هذا هو مفهوم محرف في بعض الأديان القائمة اليوم فهو لا ينطبق على الإسلام أساساً وهو متعارض تماماً مع مفهوم الدين كما قرره الإسلام علاقة مزدوجة مع الله تبارك وتعالى (وهي التي يسمونها اللاهوت) وعلاقة مع المجتمع

وهي التي تقوم على أساسها الشريعة في مناهجها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

كذلك فإن الإسلام لم يعرف هذه الدولة الدينية و لم يتصدر علماء الدين للحكم وإنما عرفوا على مدى تاريخ الإسلام بالمشورة والفتوى أما تلك الحكومة الثيوقراطية التي عرفها الغرب والتي غيرت مفهومه للدين جملة بإنشاء المنهج العلماني الذي يدعوا إلى الفصل بين الدين وبين التعليم والأخلاق والسياسة والاجتماع وكل جوانب المجتمع.

أما الدعوة الإسلامية فهي تدعو إلى حكومة مدنية أو دولة مدنية ومن هنا فإن هذا التصور الذي يتردد في كتابات العلمانيين سواء القدامى منهم أمثال فرح أنطون أو المحدثين هو تصور خاطئ فهي دولة لاتقوم على التعصب والتفرقة بين المواطنين على أساس من الدين ومن يراجع التراث الإسلامي يجد أن التسامح وحرية العقيدة والمساواة والعدل كلها عناصر الدولة المدنية وهي في نفس الوقت جوهر الدعوة الإسلامية.

ومن هنا يتضح أن كل الدعاوى الموجهة للدعوة الإسلامية إنما هي مغالطات لاحقيقة لها وإن من وراء الذين يعارضون أهوائهم ومطامعهم ورغبتهم في النيل من المفاهيم الربانية الصحيحة التي رسمها الحق تبارك وتعالى بعيد عن أهواء الأمم ومطامعهم.

وإنما هي في الحقيقة محاولة لتجميع صفوف القوى العلمانية سواء أكانت شيوعية أم الحادية أم موالية للنفوذ الغربي لضرب الإسلام ولكن الإسلام قادر على الثبات والصمود وقد صمد في مراحل أشد قسوة من هذه المرحلة وسرعان ما أبدل الله تبارك وتعالى المسلمين ضعفهم قوة وتخلفهم تقدماً.

وليس على المسلمين اليوم إلا الصمود والثبات في مواقعهم حتى يفتح الله لهم وبهم {يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحــون} صدق الله العظيم.

٦ – لم يعرف الإسلام العلمانية

لم يعرف الإسلام العلمانية وإنما هي نبات غريب لا تتفتح له الآفــاق ولا تتقبله، ذلك إن الإسلام إنما جاء ليقدم منهجا جامعا قوامه الروح والمادة والقلــب والعقل لبناء المجتمع الأصيل فقد أقام الإسلام كل القيم علــى أســاس العقيــدة وقوامها المسئولية الفردية والجزاء الأخروي.

أما العلمانية في القاموس الإنجليزي فهي النظرية التي تقــول: إن الأخــلاق والتعليم يجب ألا يكونا مبنيين على أسس دينية وتقرر دائرة المعارف البريطانيــة أن العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدنيا أما الإسلام فيقرر أن الدنيا مزرعة الآخرة.

والإلحاد في دائرة المعارف البريطانية قسمان: إلحاد نظري والحــاد عملــي والعلمانية إلحاد عملي. وهي في الجملة عزل الدين عن التأثير في الدنيا من جميــع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها والواقــع أن التجربة كلها تمت خارج دائرة الإسلام.

والدين الذي كان في أوروبا يتعارض مع مصالح الناس في دنياهم ويتعارض مع حقائق العلم الثابتة، ذلك أنه لم يكن دين الله الذي أنزل على عيســى عليــه السلام، ولكنه كان دينا مختلطا أطلق عليه المؤرخون المسيحية الغربية غير المنزلــة . وقد حاكمت الكنيسة العلماء المكتشفين والمخترعين وعاقبتهم على اكتشافــاتهم العلمية واتهمتهم بالزندقة والإلحاد.

وبذلك تشكلت مفاهيم تخالف الدين المترل وجاء المستشرقون وأتباعـــهم فنقلوا هذا الفكر القائم على الفصل بين الدنيا والدين جملة بما يسمى العلمانية إلى ديار المسلمين وروجوا له وفي الوقت الذي حجبوا فيه الشريعة الإسلامية ومنـــهج الإسلام ونظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي فاستطاعت مفاهيم العلمانية أن تسيطر إلى حين وما تزال العلمانية بضاعة بائرة في بلاد المسلمين مهما أرتدت من مسوح ماركسية أو قومية أو ليبرالية.

كان هدف النفوذ الأجنبي يثبت وجوده مـــن خـــلال القوميـــة الغربيـــة، والليبرالية، والماركسية وحاول أن يقيم منها نظاما لم يلبث قليلا أن تبين ضعفـــه وعجزه عن العطاء بديلا عن الإسلام. بل لقد كانت عقائد الاســـتعلاء العرقـــي والعنصري تناهض عقيدة الإسلام ولا تعترف بشمولية الإسلام وضرورة هيمنتـــه على كل تصورات الإنسان للكون والحياة.

والعلمانية لا تمثل موقفا حياديا من الدين ولكنها تمثل موقفا معاديا يســـتمد مفهومه من قاعدة (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله). فهي تضع المسلم العربي في تناقض حاد مع قاعدة تكامل الإسلام وتنظيمه الواضح لأمور المجتمع من خـــلال: توازنه ووسطته وارتباطه بالمنابع وقيامه على الفطرة، وكانت مرونة مناهجه قادرة على نقل كل متغيرات المجتمعات فهي في الوقت التي تؤكد فيه (ثوابت الإســـلام) تقبل الجديد والمتطور وفق مفهوم التقدم الجامع بين الروح والمادة ولقـــد كـــانت الأخلاق في الإسلام قيما أساسية مرتبطة بالعقيدة وليست من منطلق القيم النسبية المتغيرة.

ولذلك فقد أعطى الإسلام الإنسان منظومة جامعة قوامها الإيمان بالله تبارك وتعالى من خلال التوحيد الخالص والاستفادة من قوة العقل ومن قوة كل ما هـــو مادي.

فالإسلام يدفع إلى العمل بكل ما هو دنيوي والأخذ بكل ما هـــو دنيـــوي وأخروي في نفس الوقت.

٧- هل تحل (العلوم) بديلا عن الدين؟

يرى المسلمون أن العلوم في المجتمعات الغربية مستقلة استقلالا تامـــا غـــير ملتزم وفقا للصيحة المعروفة في الفن والأدب (الفن للفن) فالعلوم تمارس إذن كأنها طقوس دينية مقدسة، إن عبارة (لا خلاص خارج العلوم) يمكن أن تكون اليــــوم عقيدة عالم الطبيعة الغربي المسيحي المؤمن بالعلوم إيمانا مطلقا فهو يؤمن لا بالدين وإنما بالعلم.

إن تعريفه لمعنى لفظ الجلالة (الله) سيصطدم في كــــل الأحـــوال بثغـــرات وعقبات، أما تعريفه للإنسان فسينتهي إلى اعتباره اله رخيصة متبدلة والدين بوصفه نمطا اجتماعيا وخطرا محققا في المسيرة التكنولوجية والواقع الحقيقي أن الدين يعتبر في عصر العلوم الطبيعية اليوم صورة متواترة للتخلف العقلي وعجز الإنسان عـــن حل مشكلاته أو التغلب عليها، أراد نيتشه أن يعدم الإله (حاشا لله) فباءت محاولته بالفشل وكان لزاما أن يفشل علماء الطبيعة فقد تعمدوا قتل الإيمان به وقد كـــان لهم ما قصدوا إليه قصدا.

على أن العلوم الطبيعية والتجريبية الوضعية هي التي أقصت الدين وزاحمتـــه فهي لا تستطيع بحال أن تملأ مكانه الشاغر بخاصة من حيث مغزى الدين وجدواه ووضعه للمعايير الخلقية.

إن العلوم الطبيعية في واد والدين في واد آخر فكلاهما يتعاملان في موقعـــين بعيدين كما لو كانا على كوكبين مختلفين.

والواقع أن العلم أثقل الإنسان المعاصر في ميدان العقائد بالشكوك والريبة وافقده الطمأنينة واليقين وأورثه التقديس الأعمى لرصد البيانات والأرقام وتسجيلها وخزنها ودفع به إلى أزمة مستمرة في البحث عن ذاته وعلى كل حال فإن العلم يمكنه بعقائده التقدمية أن يقدم نوعا من الإيمان الأخروي بالحساب والعقاب على أساس علماني للمجتمع غير المسيحي.

ليس المسلمون وحدهم الفئة الوحيدة التي تستنكر هذه التطور غير السوي للعلوم الطبيعية باعتبارها بديلا رديئا عن الدين بل العكس صحيح.

وخلاصة القول: لقد غلبت المعرفة من جديد في إثباتها أن الدين وعلوم السياسة لا غناء لبعضها عن بعض وأن فكرة انقضاء أجل الدين كانت فكرة محلية محدودة الأفق.

ولقد أدى ذلك إلى اندحار الدارونية وزوال سيطرة سجموند فرويد وكارل ماركس والطبيعة القديمة لاسيما أن المخ الإنساني لم يستطع الكشف عن أسرار المخ ولسوف يصير علماء الطبيعة أشد تواضعا يوما بعد يوم بعدما تبين لهم أن كل ما يطلق عليه لفظة (قوانين الطبيعة) ليس إلا تصويرا لقيم تغريبية وإن العالم ليس كما كان يظن آلة تعمل وفقا لمفهوم العلية. هذا العلم الذي يتحرر الآن من قيود الغرور لا يزال في نظر كثير من الأساتذة المسلمين ذا قيم غير محايدة لذا فلابد من جعله ذا قيمة إسلامية.

إن المسلمين يأخذون على العلوم الطبيعية الحديثة أنها دون أي حق شرعي احتلت محل الدين وقامت مقامه وإنها عملت عملا مسيئا) أ.هـ.

***

فساد نظرية التقدم الحتمي الإلحادي المعتمد على البيئة والسلالة:

فكرة التقدم: من خلال مفهوم التطور دون أن يتضمن أي معان أخلاقيـــة، خطأ حتمية التقدم، التقدم بدون معونة الله تبارك وتعالى من هنا نشأت مدرســـة تفسير التاريخ بعوامل مادية وعلل اجتماعية (جغرافية ونفسية، العــــرق، الماديــة التاريخية (كارل ماركس) العلل الاقتصادية) .

تقوم نظرية التفسير للتاريخ في الغرب على أساس عدة نظريات مادية:

(١) نظرية التحدي عند مؤرخ مسيحي متعصب للمسيحية هو (توينبي).

(٢) نظرية الدورات الحضارية (أشبنجلر) الذي كفر بأسطورة التقدم المادي بعد أن رأى انهيار الحضارة الغربية بعينه على يد الأوربيين أنفسهم.

أما الإسلام فإنه يقدم منهجا أصيلا لتفسير التاريخ.

عندما تمعن النظر في الكتاب والسنة فأنت تعثر على منهج متكامل لتفســـير التاريخ يقوم على أساس الحقائق اليقينية التي جاء بها الوحي الصادق فقد حفــــظ الإسلام الخبر الصادق عن خالق الكون والإنسان الذي يتمثل في الحقائق الأساسية التي تتعلق بخلق الكون والإنسان وهي تكفل حفظ التفكير الإنساني من السقوط في حبائل الفكر الوثني الأسطوري الإلحادي.

حيث يقدم الإسلام حقيقة يقينية هي أن الله تبارك وتعالى هو خالق كــــل شئ وهو على كل شئ وكيل.

كما يمثل القرآن بدايات حركة التاريخ الإنساني وهى صــــورة معاكســـة للحركة التي رسمها الخيال الأسطوري باسم العلم واستقرت كأساس تفســـر بـــه حركة التاريخ.

والإسلام في هذا المجال يقدم جملة من الحقائق:

(١) خطأ تصور أن الإنسان حيوان مادي.

(٢) إنكار عنصر الحرية التي يتميز بها الإنسان.

(٣) فساد النظرية الجبرية للسلوك الإنساني حيث يمتلك الإنسان حركة خاصة نسبية ومسئولية فردية.

(٤) ليس التطور دائما نحو الأفضل فليس كل جديد حسنا ولا كل قديم سيئا.

(٥) يقدم الإسلام قيما أخلاقية وحضارية لا تتغير في جوهرها وتصلح لكل زمان ومكان.

(٦) إقرار الإسلام النبوة والوحي والجزاء الأخروي والغيب.

٨- *التقدم*

أخذ مصطلح التقدم (في العقود الأخيرة) مفهوما مختلفا عن مفهومه الأصيل ذلك لأنه أصبح يمثل الطابع الماركسي وهو في الفكر الغربي كله يمثل التقدم بمفهومه المادي الخالص بينما هو في الإسلام يجمع بين التقدم المادي والتقدم الروحي.

ومن هنا فقد وقف الفكر الإسلامي موقف الأصالة واعتبر أن فكرة أتباع أنماط السلوك السائدة في الغرب ليست هي معيار التقدم وأن الإسلام يقبل كل تجربة وكل نجاح تم خارج الأرض الإسلامية أو خارج الإسلام التاريخي.

ويرجع خطأ العلمانيين في القول بأن البشرية قد تجاوزت مرحلة الحاجة إلى الدين وأن العقل يحل وحده مشاكل الحياة وان التطور العلمي والتكنولوجي ينطوي على طرق حتمية على تصفية تدريجية للدين ، فهم يدعون المسلمين أن

يطرحوا دينهم وأن يتابعوا منهج الغرب بينما يجب على المسلمين أن يصححوا المنهج وأن يغلبوا نظرة الإسلام إلى الحياة وتصوره للتقدم.

إن ما يريده الإسلام من الإنسان المسلم ومن الأمة المسلمة هو:

عمارة الكون والاشتغال بأموره بوصفه مؤهلا للآخرة وأن تكون عبادة الله في الكسب والعمران والتعامل مع الناس بالتقوى.

فليس الانقطاع للآخرة هو طريق الإسلام وليس الانقطاع للدنيا هو طريق الإسلام.

وعلى أن يكون موقف المسلم من الحياة ليس موقف رفض واعتزال وإنما هو موقف قبول وتوجيه وترشيد ليقوم الناس بالقسط، على أن يكون التقدم لخدمة البشرية جميعا.

إن موقف الحضارة الغربية من التقدم والعصرية يمر بأزمة وأن حصيلة الكشوف العلمية الهائلة معناها أن الإنسان قد وجد العالم وفقد نفسه.

كذلك فإن الهزيمة النفسية التي حملت كثيرا من مثقفينا على الدعوة إلى متابعة الغرب متابعة كاملة تنبع من رؤيا تاريخية خاطئة تعبر عن دوام السيادة الحضارية للغرب مع أن التاريخ شاهد على أن هذا الاستمرار مناقض لقانون من أهم قوانينه وهو قانون (مداولة الأيام بين الناس).

٩- العقلانية

تردد مصطلح العقلانية في محاولة لمواجهة العاطفة والوجدان بمفهوم أن كل ما ليس عقلانيا فهو داخل في دائرة المفاهيم الدينية والغيبيات.

وهو بهذا المعنى مصطلح متحيز وغير عادل لأنه يحاول أن يفرض على الحياة الفكرية والاجتماعية خطا واحدا وتصورا مفردا وهو التصور العقلي في محاولة

لحجب جوانب أخرى من معطيات الإنسان الذي يتميز بأنه يجمع بين العقل والوجدان، والروح والمادة، وأنه يصل إلى المعرفة عن طريق وسائل متعددة يمثل العقل إحداها.

ونحن حين نفرض مفهوم العقلانية الذي يقوم على المنطق والمعرفة التجريبية ونتجاهل جوانب أخرى كثيرة يقدمها الدين الحق للمؤمن بالله تبارك وتعالى وأهمها الغيب والنبوة والوحي والجزاء الأخروي.

ولا ريب في أن مفهوم العقلانية الغربي جاء نتيجة التصورات التي تجاهلت وأنكرت الدين جملة والروح والنفس والوجدان وحاولت أن تحصر الإنسان في مجالات العقل والعلم المحسوس وهو المفهوم الذي تقدمه النظريات العلمانية والماركسية والوجودية جميعا.

ولقد حاولت الفلسفة اليونانية حين ترجمت إلى اللغة العربية في العصر العباسي أن تعرض مفهوم المدرسة العقلية المعتزلة المتفلسفة حيث خاضت في محاذير كثيرة وانتهت إلى السقوط لأنها عجزت أن تمثل الإسلام الذي يجمع بين الثوابت والمتغيرات ويتكامل بالعقل والوجدان.

وتبقى العقلانية الإسلامية رمزا على مجال العلم والتجريب وعلى براهين العقل ومعطياته في صياغة المقدمات والنتائج وإصدار الأحكام، والمثل الأعلى للفكر الإسلامي في هذا المجال هو القرآن الكريم الذي جمع بين وسائل الإقناع بالعقل وبالوجدان وبعبرة التاريخ والأحداث.

ويبقى للعقل بعد ذلك موقفه الحاسم في أنه مصدر التكليف في نفس الوقت الذي لا يناقض الوحي.

وهذا الفهم الصحيح لعلاقة العقل بالوحي هي التي أعطت علماء المسلمين القدرة على بناء منهج التجريب الذي لم تعرفه الحضارات السابقة والتي تعالت مقولاتها بالعقلانية.

ومن هنا فليس هناك عقلانية مجردة تعرض وجودها على الفكر الإسلامي ولكن هناك تكامل بين الوجدان والعقل وهناك تصور فكري يقوم على أساس البراهين الدالة **{قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}**.

فالمسلم يفكر بعقلية إسلامية لا بعقلية علمانية، كما أنه يضع الوحي - الذي يسمى في بعض الأبحاث النقل - يقوم على العقل فإذا اختلف فلابد من أن يخضع العقل للوحي.

ومن هنا فقد كان من أكبر أعمال العودة إلى المنابع في الإسلام التحرر من الطابع الفلسفي الذي حاول أن يفرض نفسه على العقائد (كما نرى في علم الكلام) أو في التصوف الفلسفي (مثل مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد).

ولقد كان للفلسفات اليونانية وآثارها الخطيرة في علم الكلام والمنطق والاعتزال أكبر الأثر في المحاذير التي مرت بالأمة الإسلامية.

ولقد كشف علماء الإسلام عن أن العقل الإنساني ضيق وقاصر ومحدود، والعقل يصدر حكمه من الجو المحيط به والثقافة التي نشأ فيها فلا قدرة له على تجاوزها ومن هنا فقد يقرر العقل أمرا بأنه عدل ثم يراه بعد فترة باطلا. فالعقل إذن ليس أصلا لثبوت الشرع في نفسه لأن المعلوم مستغن عن العلم وإن عدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في نفسها وإذا تعارض العقل والنقل فنحن نقدم النقل ، لماذا ؟ لأنه إذا تعارض دليلان أحدهما علمنا فساده والآخر لم نعلم فساده كان تقديم ما لم يعلم فساده أقرب إلى الصواب من تقديم ما يعلم فساده.

" والعقل ينفي اليوم ما سبق وأثبته " أ.هـ.

١٠- التنوير مصطلح مضاد لحقيقته

جاء مصطلح (التنوير) من أسماء الأضداد ومن حصيلة التحول الخطير الذي أحدثته العلمانية في الفكر الغربي الحديث حين خرج من إطار المسيحية إلى الفلسفة المادية على اثر الصراع المعروف بين العلماء و الكنيسة.

و لم نكن في حاجة إلى البحث في القواميس للوصول إلى التعريف الحقيقـــي ويكفينا أن واحدا من العلمانيين قادة الفلسفة المادية وهو مراد وهبه يقول بالنص:

"التنوير يعني في عبارات مبسطة أنه لا سلطان على العقل البشري إلا العقل نفسه. وهو عمل مردود إلى ابن رشد الذي قال بالتأويل ومعناه: إعمال العقل في النص بحيث يمكن أن تتعدد الرؤية"

فهم يهدفون إلى إعلاء العقل وحجب الوحي والغيب والإسلام لا يقر هذا الفصل بين القيم ويعتبر أن قاعدة المعرفة الإنسانية الحقيقية تقوم على الوحي والعقل معا أي الجمع بين (النقل والعقل) بتعريف جهابذة الفكر الإسلامي.

فالتنوير يقصد به إظلام الفكر الإسلامي وحجب أصالته حين يقوم علـــى أساس الوحي والغيب أساسا والعقل أداة لذلك الأساس. والهدف هـــو تزييـــف مفهوم الأصالة الحقيقية في بناء التصور الإسلامي للكون والحياة والمجتمع والحضارة وضرب المسلمين في القاعدة الأساسية التي تجمع بين الثوابت والمتغـــيرات وبـــين الأصالة والمعاصرة وبين التراث والميراث (الميراث هو القرآن والسنة) والتراث هـــو العمل الإنساني لفقهاء المسلمين ومفكريه إنهم يقصدون بذلك ربط نهضتنـــا بمـــا يسمونه (عصر التنوير) في أوروبا (وهو العصر الذي بدأت فيه حملـــة الفلاســـفة الماديين على الدين بصفة عامة).

وبذلك يربطون تاريخنا بتاريخ أوروبا ويصورون نهضتنا على أنها وافدة من الخارج ولا فضل لأصالتنا وثقافتنا وعقيدتنا بل يدعي البعض أن الحملات الفرنسية

التي وجهت إلى مصر في عهد نابليون ثم الجزائر بعد ذلك ثم تونس والمغرب بأنها بداية ما يسمونه (عصر التنوير) في مصر ويسعى دعاة العلمانية إلى توظيف هذا الادعاء الخاطئ لمهاجمة الثقافة العربية الإسلامية و السخرية من تاريخنا وحضارتنا وإبعاد شعوبنا عن مقوماتها الإسلامية.

وأنصار ا لثقافة الغربية يستثمرون احتفالات فرنسا للتدليس على عقولنا وتشويه تاريخنا لكي يمحى من ذاكرة شعوبنا ما سجله التاريخ من المآسي والفظائع التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي في مصر ويتجاهلون المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي وما بعده في المستعمرات الفرنسية وفي الجزائر وتونس والمغرب التي استهدفت إفقار تلك الشعوب والقضاء على اللغة العربية وهويتها الإسلامية، و لم يكن فيها شئ يسمى تنويرا.

بل هناك ادعاء كتاب الغرب أن الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الـ"١٨" كانت هي التي أوجدت النهضة الحديثة متجاهلين أن نهضة أي شعب لا يمكن أن تأتي من الخارج بل تنبع من قيمه الذاتية الأصيلة وهي التي تدفعه إلى مقاومة العدو الأجنبي والتخلص من عوامل الضعف والتخلف.

ذلك أن الغزو الفرنسي لمصر والشرق لم يكن أول هجوم تتعرض له البلاد العربية ولا آخر غزو أجنبي فقد سبقته الغزوات الصليبية التي وجهت إلى الشام ومصر وتونس وشواطئ الجزائر وتلتها غزوات التتار القادمة من آسيا كما أعقبها الغزو الإنجليزي لمصر والغزو الإيطالي لطرابلس الغرب.

وقد قاومت شعوبنا هذه الغزوات جميعا وانتصرت عليها.

إن وصف الاحتلال الأجنبي بأنه كان سببا في النهضة هو قلب للأوضاع والحقيقة أن النهضة كانت سابقة على هذا العدوان وأنها هي التي كانت سببا في فشل الغزو الأجنبي في تحقيق أهدافه.

إن كتاب التنوير الغربي الوافد لن يخدعوا شعوبنا ولن تقبل أمتنـــا مفـــهوم التنوير في إعلاء العقل وحجب الوحي، وهى مؤمنة بمفهوم الإسلام الجامع للمعرفة الذي يتكامل فيه الوحي والعقل وهذا المفهوم الأصيل هو الذي فتح أمام المسلمين أبواب التجريب والنظر والتقنين في سنن الحياة. وفتحت للإنسانية آفاقا جديدة في مجال الحضارة كانت هي الأساس -كما يقول دكتور محمد عمارة- الذي قامت عليه الحضارة الحديثة في منهجها العلمي والتجريبي وإنجازاتها المادية التجريبية التي لم تعرف لها الإنسانية من قبل شبيها ولا مثيلا.

فالتنوير: مصطلح غربي يعني عبادة العقل ونقض الدين وقد قام عصر التنوير في الغرب على هذا المعنى. ومعنى هذا أن تلك الصفحات الـــتي قدمـــت للفكـــر الإسلامي في الثلاثينات وما بعدها تحت اسم التنوير مما كتبه سلامة موسى وطــــه حسين وعلى عبد الرازق تفتقد الأصالة أو المشروعية وهذا سر سقوطها بعد ذلك حين تكشفت الحقائق.

أما محاولة استعادة وإحياء هذا الفكر اليوم مرة أخرى فهو عبث خطير وهو موضع سخرية كل العارفين لتطور الفكر الإسلامي خلال هذه العقود نحو الأصالة والتماسه المنابع واستمداده من القرآن الكريم والسنة النبوية والكشف عن فســـاد هذه المقولات التنويرية الفاسدة.

والعقل المسلم بمفهومه الأصيل في دائرة المعرفة الجامع يفتح باب الاجتـــهاد والتجديد على أساس تمحيص النصوص والوقوف على الأدلة والترجيح والموازنـــة بين المعقول والمنقول.

١١- مفهوم التنوير في الفكر الإسلامي

الرؤية الإسلامية القويمة هي التي يتكامل فيها الوحـــي والعقـــل والكـــون وينصرف فيها العقل المسلم إلى النظر والتدبر والعمل في عالم الشهادة كما يوجهه الوحي وهي الرؤية التي مكنت السلف الأول ناصية الإبداع وفتحت أمام العقـــل المسلم أبواب التجريب والنظر والتنقيب في سنن الحيـــاة والكائنـــات وفتحـــت للإنسانية آفاقا جديدة في مجال الحضارة كانت هي الأساس الذي أقـــامت عليـــه الحضارة الحديثة منهجها العلمي التجريبي وإنجازاتها. المادة التجريبية التي لم يعرف لها الإنسان من قبل سبيلا ولا مثلا وبقدر ما تيسر للعقل المسلم خلال ما مضى من عصور من صفاء الرؤية الإسلامية بقدر ما تمكن من الانصراف إلى بنـــاء الحيـــاة وحمل مسؤلياته في خلافة عالم الشهادة وأعماره (إبراهيم نورى)

ومعنى هذا أن هناك ضرورة مناسبة للعودة لخلفية معينة تكون بمثابة المرجعية في الانطلاق الذهني و الاجتهادي. وأعمال العقل والفكر وإطلاق العنان للعقـــل دونما حاجة لهذه الخلفية المرجعية التي يقصد بها الأفق أو الإطار الإسلامي (الوحي المعصوم) وهذا معناه الاضطراب والتخبط بل التمرد السلبي للعقل وطرائق أعماله.

***

يقول الدكتور محمد عمارة: التنوير مصطلح غربي يعني عبادة العقل ونقض الدين. ويقوم عصر التنوير في الغرب على هذا المعنى وفلاسفة التنوير هذه آراؤهم ومقولاتهم.

أما التنوير في المفهوم العربي والإسلامي انطلاقا من القرآن له معنى آخر لأن الإسلام نور والرسول نور فالمتدبر بالإسلام مستنير بتنوير مختلف.

والإنسان الذي توصف أعماله بأنها تنويرية هو الإنسان الذي يستخدم عقله دون مؤثر خارجي أو بغير مرشد أو موجه فيما يقوم به من أعمال ولابد من إعادة النظر إلى هذا القول.

ويتأكد ذلك أكثر إذا وقفت على طبيعة العلاقة بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي وكذا كيفية تفاعل هذا العقل وأعماله في اتجاهين لمعادلة واحدة اتجاه النص (الوحي) من جهة واتجاه الواقع من جهة أخرى ولكي نحكم على اتجاه معين بأنه اجتهاد إسلامي لابد أن يكون صاحب الاجتهاد منطلقا من التصور الإسلامي وينتمي في جذوره المرجعية إلى الحضارة الإسلامية.

أولا: الوحي أساس أصيل وثابت من أسس المعرفة.

ثانيا: الانطلاق من التصور الإسلامي

ثالثا: تكامل النقل والعقل (والنقل أو النص هو الوحي) بمعنى التكامل بين الوحي والعقل.

فالعقل المسلم المنهجي يبارك الاجتهاد والتنوير والتجديد على أن يكون هذا هو الأصل عند تمحيص النصوص أو عند الوقوف على الأدلة والترجيح.

ويجب التفريق بين ما هو غزو ثقافي وما هو مشترك عام يمكن استثماره وتوظيفه ضمن حركة التجديد وجهود الاستنارة.

***

ومن هنا فإننا نرفض مقولة العلمانيين التي يرددها مراد وهبة والتي تقول إن التنوير يعني أنه لا سلطان على العقل البشري إلا العقل نفسه وهو عمل مردود إلى ابن رشد الذي قال بالتأويل ومعناه: إعمال العقل في النص بحيث يمكن أن تتعدد الرؤية.

إنهم في الغرب ومع العلمانيين والماركسيين يريدون ربط نهضتنا الإسلامية القرآنية العربية بما يسمونه عصر التنوير في أوروبا وبذلك يربطون تاريخنا بتاريخ أوروبا ويصورونها (أي نهضتنا) على أنها مستوردة من الخارج ولا فضل لأصالتنا وثقافتنا وعقيدتنا فيها بل يدعي بعض أنصار الثقافة الفرنسية أن الحملات الفرنسية التي وجهت إلى مصر في عهد نابليون ثم الجزائر بعد ذلك ثم تونس والمغرب بأنها كانت بداية ما يسمونه عصر التنوير في مصر.

ويسعى دعاة العلمانية إلى توظيف هذا الادعاء الخاطئ لمهاجمة الثقافة العربية الإسلامية والسخرية من تاريخنا وحضارتنا وأبعاد شعوبنا عن مقوماتها الإسلامية.

إن أنصار الثقافة الفرنسية يستثمرون احتفال فرنسا بمرور مائتي عام للتدليس على عقولنا وتشويه تاريخنا ولكي يمحوا من ذاكرة شعوبنا ما سجله التاريخ من المآسي والفظائع التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي في مصر ويتجاهلون المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي وما بعده في عهد نابليون والسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب التي استهدفت إفقار تلك الشعوب والقضاء على اللغة العربية وهويتها الإسلامية و لم يكن فيها شئ يسمى تنويرا.

هذه مع ادعاء كتاب مصريين أن الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن ١٨ كانت هي التي أوجدت النهضة الحديثة متجاهلين أن نهضة أي شعب لا يمكن أن تأتيه من الخارج بل تنبع من قيمه الذاتية الأصيلة وهي التي تدفعه إلى مقاومة الغزو الأجنبي والتخلص من عوامل الضعف والتخلف.

إن الغزو الفرنسي لمصر لم يكن أول هجوم يتعرض له الوطن العربي ولا آخر عدو أجنبي فقد سبقته الغزوات الصليبية التي وجهت إلى الشام ومصر وتونس وشواطئ الجزائر تلتها غزوات التتار القادمة من آسيا كما أعقبها الغزو الإنجليزي

لمصر للتخلص من ثورة عرابي والغزو الإيطالي لليبيا وقد قاومت شعوبنـــــا هـــذه الغزوات جميعا وانتصرت عليها.

إن وصف الاحتلال الأجنبي بأنه كان سببا في النهضة في أي وقـــت مـــن الأوقات هو قلب للأوضاع ، والحقيقة أن النهضة كانت سابقة على هذا العدوان، إنما هي التي كانت سببا في فشل الغزو الأجنبي من تحقيق أهدافه.

لقد عرف شعبنا أن المصريين كانوا يعتبرون الفرنسيين أعداء الإسلام وأنهم جاءوا للقضاء على القيم الإسلامية وقد شعر نابليون بذلك وحاول التدليس على المصريين فادعى الإسلام ولكن الشعب لم يصدقه وواصل مقاومته دفاعـــا عـــن الإسلام ، والإسلام هو الذي مكن الشعب من الانتصار فكان خـــروج الجيـــش الفرنسي من مصر انتصارا للإسلام وليس انتصارا للثورة الفرنسية.

إن كتابات التنوير اليوم لن تخدع شعوبنا.

١٢ – *الفن*

تراجعت أمور العلماء والمثقفين كقدوة ومثل عليا للشباب حيث حل محلهم الفنانون ولاعبو الكرة وهو ما يعكس الخلل الاجتماعي الخطير الذي يعاني بســـببه المجتمع، هؤلاء الفنانين موضع تقليد الشباب سواء في تصرفـــاتهم الشخصيـــة أو شخصياتهم في الأعمال الدرامية وقد ثبت أن كثيرا من المتهمين الذين تم ضبطـــهم متأثرون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالأفلام والمسلسلات الـــتي شاهدوهـــا في السينما أو التلفاز ووسائل الإعلام التي تنقل للجمهور نماذج من الجريمة والمجرمـــين وكذا صور المكافحة التي تهتم للجريمة وتكون وسيلة لإيـــهام المواطـــن أن ذراع القانون لابد أن يصل إلى كل شخص.

لقد أقيمت حفلات السهر المختلطة في بيوت بعض الفنانين، حفلات تمتـــد من غروب الشمس إلى شروقها تتصارع فيها كؤوس الخمر بين أيدي السكارى.

وقد أشارت عريضة الدعوى إلى أن تصرفات هؤلاء أصبحت مثارا للتقليد من الشباب سواء في تصرفاتهم الشخصية أو شخصياتهم في الأعمـــال الدراميـــة وأكدت جهات الأمن والمباحث الجنائية أن كثيرا من المتهمين الذين تم ضبطـــهم يتأثرون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالأفلام والمسلسلات الـــتي شاهدوهـــا في السينما أو في التلفاز وأن العلاقة وثيقة بين الفن والإعلام وأن الجريمة لها ارتبـــاط وثيق بوسائل الإعلام التي تنقل للجمهور نماذج من الجريمة والمجرمين وكذا صـــور المكافحة. وأن إذاعة مسلسلات تتعرض لموضوعات فنية مبنية على وقائع حدثت يضيف إليها المخرج أشكالا من الخيال وتكون هذه الإضافـــات إثـــارة لمشـــاعر الجمهور وإعطائه نوعا من القدوة في العنف وارتكاب الجرائم وكيفية التخلص من آثارها.

وهناك تأثير سلوكهم الشخصي الذي يناقض تماما ما يدعونه من رســـالة الفن والفنان. فلا يمر أسبوع دون أن نسمع عن ضبط أحدهم في جريمة قتل أقـــل ما توصف بها أنها لا علاقة لها بأي ذوق سليم. وقد عثر على بعض الفنـــانين في حالة غيبوبة تامة عقب سهرة غامضة حيث بلع كميـــة كبـــيرة مـــن الهـــيروين والكوكايين والمورفين داخل معدته في سهرات حمراء تتصاعد فيها الأدخنة الزرقاء وتتقارع كؤوس الخمر.

إن من أسباب فساد المجتمع أن يصبح هؤلاء المسمون بالفنانين قدوة وتنشر الصحف وأجهزة الأعلام كل شئ عن حياتهم وأحوالهـــم ويـــتركون الشبـــاب لتقليدهم في تصرفاتهم مما يؤدي إلى مزيد من الانحراف ومن أخطاء أجهزة الإعلام المبالغة في تسليط الأضواء على فئات معينة من الممثلين ولاعبي الكرة وترك فئـــات

أخرى من العلماء والمفكرين مع تقليد الإعلام والمسلسلات الأجنبية في مشـــاهد العنف والإثارة التي تختلف مع تقاليدنا.

قضايا الفن

١- *نظرية المحاكاة*:

قام الفن عند الإغريق القدامى على محاكاة ما نراه في واقع الحياة فـــالتصوير والشعر والمسرحيات والقصص والروايات ليست سوى صور مطابقة للأصل الذي يقدم لنا الواقع والفنان يستملي وحيه من هذا الواقع ويرجـــع إليـــه في تصويـــره وأساس الفن في رأي أرسطو هو المحاكاة.

والمحاكاة عند أرسطو ليست محاكاة خالصة أو تقليداً أعمى وإنما هي محاولة لدعوى التفوق على الواقع فالشعر يتناول تصوير الناس بصورة خير مما هم عليه أو يصورهم بشر مما هم عليه أو مطابقة لما هم عليه.

أما الفنان المسلم فلا يقلد الصور الحية ولا يعارضها ويقر بأنه لا يستطيع أن يعارض خلق الله في الإنسان والطبيعة ولذلك فهو يتخذ مجالات أخرى حتى لا يقع في الخطأ وإنما يقصر فنه على رسوم المكعبات ولا يصور ما هو فان أو كـــل ذي روح أو كل مجسم وأشد الناس يوم القيامة عذاباً هم الذين يضاهون خلـــق الله تبارك وتعالى.

٢- *حرية الفن*:

مقولة التسلية والترويح في الفن يجب ألا تحول دون المحافظة علـــى القيـــم والذوق العام.

ولا يرتبط الفن بالأعمال الهابطة التي لا تحقق أي متعة حقيقية وإنما هو تخدير يشبه تخدير المخدرات التي يتناولها الإنسان للهرب من واقعة بكل متاعبه ومشكلاته.

إن تقديم نماذج لأبطال قادرين على الخيانة وتبرير الأخطاء ليس من الفن في شيء، كما أننا نفرق بين المشاعر والغرائز ونحن لا ننكر أثر الغريزة في حركة الناس ولكن ننكر أن تكون الغريزة هي وحدها القوة المحركة.

إن مقولة التسلية والترويح يجب ألا تحول دون المحافظة على القيم والذوق العام.

وليس حماية الفن من السقوط أو الدعوة إلى الارتفاع فوق الغرائز مما يوصف بالتأخر أو الجمود بل إن الدعوة إلى تأثيم الفن ليس إلا تدميراً يقوم على الدعوة إليه بعض المذاهب والدعوات المضللة.

وإن حماية الأخلاق هي جزء من الدين وهي دعوة أساسية في نظام المجتمعات وهي عمل أصيل ولا يؤدي إلى إلحاق أي ضرر بتطور ثقافتنا التي قامت أساساً على النقاء والكرامة والطهارة. وإذا كانت الأخلاق قد انفصلت عن أديان كثيرة فإنها لم تنفصل عن الإسلام وهي لا تحول دون التحضر ولا دون التقدم. والثقافة لا تنفصل عن الأخلاق ولا يردد هذه الانحرافات إلا من زاغت طبيعتهم وانحرفت فطرتهم ويكون أمرها خطيراً حين تدعو إليه بعض الداعيات إلى التقدم باسم الانحراف.

٣- *طابع الرواية الغربية:*

يختلف طابع الرواية الغربية أو الماركسية عن طوابعنا العربية والإسلامية وأهم هذه المظاهر:

(١) التعامل الجاف والعنيف وقسوة القلب.

(٢) الطابع العلماني الذي يتسم بالإحساس المادي الخالص الذي لا يؤمن بالغيب أو بالجانب المعنوي أو الروحي.

(٣) طابع البحث عن التفاصيل الدقيقة.

(٤) طابع الوحشية والأساطير والخوف من المجهول.

هذه الحلقات التي تقدم من أعمال الرواية الغربية تعلم أبناءنا قسوة القلب والاستهانة بالنظرة الجامعة والتجزئة الإنشطارية المركزة على الطوابع المادية.

ومصدر ذلك أساساً (أولاً) النظرة الدينية المسيحية الغربية التي تقوم على فكرة الحلول والاتحاد من ناحية وفكرة الخطيئة الأصلية من ناحية أخرى.

كل هذا يعطي الرواية الغربية صورة اليأس والتشاؤم والحزن والآسي واجترار الألم والحقد والعنف حيث لا يعترف الفكر الغربي بالغيب أو التفاؤل أو التسامح أو الطمأنينة النفسية ويرجع ذلك إلى تقلبها بين مظالم القياصرة والحكام الرومان والماركسيين غلاظ القلب والكهنة القساة.

١٣ – *إيجابية الفن*

كشفت الفنانات اللاتى رجعن إلى الإسلام عن فساد هذا التجمع وأخطاره الشديدة على ما يدور وراء الكاميرا ووراء الكواليس حتى تقول إحداهن:

إن الصدمة كانت شديدة عليها إذ استبد بها كابوس مخيف مهما حاولت أن تصم أذنيها وتغمض عينيها عما يدور خلف الكاميرا والكواليس.

وهناك إجماع على أن للفن ضوابطه والتزاماته وأنه كمهنة فيحرم عليها كل ما يحرم على المهن الأخرى ، فكل ما يحرم على المهن الأخرى محرم فى الفن أيضاً والعكس صحيح، ومن هذا المنطلق فالإسلام برئ من التهم التي يحاولون إلصاقها

به مثل مقولة إنه ضد الإبداع الفني. وتتحدث الفنانات اللاتى ارتدين الحجـــاب عن المناخ السيئ الذي يحيط بالفن حالياً والمشكلة ليست فيما يظهر للجمهور على الشاشة بل فيما يدور من وراء الكاميرات من ممارسات فاضحة.

وتقول إحداهن: إن كان الإسلام قد حرّم الفن الحالي فالمجتمع أيضاً حـــرم هذا الفن وأدائه ومن منا يرتضي أن يصحب أولاده معه إلى أي مســـرح تجـــاري فيستمع إلى الألفاظ النابية والإيحاءات الجنسية التي تخدش الحياء.

إن الفن يجب أن يلتزم بآداب الإسلام وتقديم الكلمة الطيبة الصادقـــة مـــن ذكر الله ومدح الرسول ووصف الكون والترنم بالطبيعة وتمجيد أسلافنا الصالحين والتعبير عن التاريخ والتراث الإسلامي وإحيائهما.

وإنه في ظل مفهوم الإسلام المرن السمح يمكن تناول قضايا الحب العفيـــف ومختلف المشاعر والعواطف الإنسانية ومن الممكن - إذا صدقت النيات- أن يكون هناك فن ملتزم وراق يلتزم به الفنانون والفنانات والمؤلفون والمخرجـــون بـــآداب الإسلام وأوامره ويمكن أن يبدعوا في ظل هذا الالتزام إبداعاً يبهر الأبصار.

وتقول إحداهن: إن الخطر كله في أننا ننساق وراء الغرب في كــــل شــــئ ونقلده بحجة التنوير كتقليد القرود والحمير بل علينا أن نحترم شخصيتنـــا ودينـــا وتراثنا ونحن في هذا وغيره أساتذة العالم كله ورواده لو كنا حقاً مسلمين.

وتحدث بعض الناس عن تجربة الأقطار التي جربت الفـــن الملـــتزم بـــآداب الإسلام (في مقدمتها السودان وإيران) وعلم بصفة مبدئية أنهم قطعوا شوطاً كبيراً في إقامة الفيلم السينمائي والمسرحية والأغنية الإسلامية.

والواقع أن هذه العودة إلى الله هي مقدمة لتصحيح طريـــق الفـــن وذلـــك بتجاوز مفهوم حرية الفن: هذه المفهوم الغربي فإذا قيل إن الفن مقصود به التسلية والترويح قلنا إن ذلك لا يحول دون المحافظة على القيم والذوق العام.

ذلك أن متعة الأعمال الهابطة ليست متعة في الحقيقة وإنما هي تخدير يشبـــه تأثير المخدرات التي يتناولها الإنسان للهرب من واقعة بكل متاعبه ومشكلاته.

إن هناك فرقاً بين فن يحرك مشاعرك وفن يخاطب غرائزك. نحن لا ننكر أثر الغريزة في حركة الناس ولكنا نكره أن تكون الغريزة وحدها هي القوة المحركة.

١٤ – *التصوف الفلسفي*

عرف المسلمون التصوف السني المستمد من حقائق الإســـلام ومعطيـــات القرآن وشمائل الرسول ﷺ.

وهو يختلف عن التصوف الفلسفي الفارق في سموم الفكر الباطني والفلسفة المادية والذي تمثله مجموعة من الدعاة الذين يجب أن نقرأ لهم بحذر مثل: ابن عربي والحلاج والسهر وردي ومن على طريقتهم.

ويقول أحد الباحثين: إن التصوف العجمي يظهر ا لجمال والرقة والحســـن في الأدب إلا أنه يخدر النفوس ويذل طبائع الناس وعلى عكس هذا يكون التصوف الإسلامي الذي يظهر القوة في القلوب وتترك هذه القوة أثرها على الأدب.

ولقد عنى المستشرقون بكتابات التصوف الفلسفي وروجوا لها كما روجوا للفلسفة اليونانية التي دافع عنها المأمون ومن معه.

ولقد ترك تفسير ابن عربي (وهو غير ابن العربي) آثرا كبيرا علـــى عقـــول المسلمين وقلوبهم وقد جعلته شخصيته المهيمنة: مسألة وحدة الوجـــود جـــزءا لا ينفصل عن الفكر الإسلامي، بينما أحد شعراء إيران في القرن ١٤، ١٥ ينشـــدون أشعارهم في هذا الموضوع فاشتملت نظريتهم عن وحدة الوجود عنـــاصر غـــير إسلامية كقولهم إن الله والكائنات كلاهما متحد أن الله (جل وعلا عما يقولـــون

علواً عظيماً) هو عين الكائنات وفهم الإيرانيون بعقليتهم الآرية أن كل شـــئ في الكون هو الله.

والفلاسفة الهنادكة حاولو إثبات فكرة وحدة الوجود عن الطريق الفلسفي، بينما يسلك شعراء إيران طريقاً خطره أدى إلى الفهم الخاطئ لنظرية وحدة الوجود وإلى سلب العالم الإسلامي قوة العمل أو ذوق العمـــل وقضـــى بـــدوره علـــى الشخصية الإسلامية للفرد والمجتمع.

وكان شاعر الإسلام محمد إقبال قد بحث عما قضى علـــى قـــوة الأمـــة الإسلامية فرأى أن التصوف الدخيل على الإسلام هو الذي سلب المسلمين ذوق العمل هو فكرة وحدة الوجود التي تنفي وجود أي فرق بين الله والإنسان وأشـــار إلى أن السبب يكمن في ترك المسلمين للقرآن الكريم بدعوى أن كل إنسان مسئول عن نجاحه وفلاحه فهو يرى ويعلم ويقدر وقد أوضح الله تبارك وتعالى له طريـــق الخير وطريق الشر وأعطاه حرية اختيار ما يريد، وان هناك فارقاً بين الله والإنسان هو كالفرق بين السماء والأرض فالله خالق ومعبود والإنسان مخلوق وعابد، فإذا كان الله والإنسان شيئاً واحداً فمن إذن يقوم بالعبادة.

ومن هنا يتضح أن التصوف الدخيل على الإسلام إنما هـــو مضـــاد تمامـــاً للإسلام وقد اختاره المسلمون فاستكانوا للذل ونسوا أنفسهم ويصـــل العلامـــة إقبال: إلى أن سبب بلاء القوم هو هذا النوع من الفكر الذي يتنافى مع الإســـلام وتعاليمه مما دعاه إلى العمل بكل قواه إلى نشر الفكر الإسلامي الصحيح وإلى نشر العقيدة الثابتة والتي تهدف إلى "إثبات الذات" فقام بتشخيص مرض الأمـــة وهـــو الخضوع والهوان وقبول الاستبداد وكشف عن سبب هذه المرض وهو عقيدة نفي الذات المتمثلة في مذهب (وحدة الوجود).

***

ولقد كان للتصوف الإسلامي دوراً مخالفاً ففي خلال الأزمات الإســـلامية كانت الدعوات تحاول احتواء الخطر. وكانت الصوفية تعمل على محاربة مسالك الغواية وسبل الضلال وكان حرصها على إصلاح الفرد وكانت صيحـــة الإمـــام الغزالي الذي أسرع إلى وضع (إحياء علوم الدين) ثم جـــاء العالمـــان أبـــو بكـــر الطرطوشي وأبو اسحق الشاطبي مخالفان للاتجاه الأول والثـــاني واعتـــبرا أن الآراء المهددة للجماعة الإسلامية مستقرة في السلوك الاجتماعي لا في الوضع الفردي ثم اتسعت دعوتهما فلم تقتصر على الفرد تصلحه أو تحذره ولكن تولـــت الســـلوك الاجتماعي للأمة الإسلامية بالنقد منذرة بما أقبلت عليه هذه من بدع وفرطت فيه من أحكام تدعو إلى مقاومة البدع والاعتصام بالشريعة وتطبيق أحكامها وأخـــذ الناس كافة بالقسطاس العادل.

في أواخر القرن السابع الهجري وأول الثامن ظهر ابن تيميـــه بـــالدعوة إلى السلوك الاجتماعي من حيث اتصاله بالعقيدة وارتباطه بها.

***

ولقد حرص المستشرقون وأتباعهم من العلمانيين في إعلاء شأن الباطنية ومن عرف بالانحراف عن العقيدة الإسلامية ويعتبرونهم ضحايا ما يســـمى بـــالتعصب الإسلامي وأمعنوا في الإشادة بهم وبأفكارهم. وتراهم لا يعنون بالأبطال الحقيقيين الذين نشروا الإسلام وبذلك تظهر أحقادهم الدفينة وكأنهم يريـــدون أن يمثلـــوا الاضطهاد الديني الذي كان سائدا في أوروبا في القرون الوسطى بما جـــرى بحـــق المسلمين من أحداث محدودة وفردية ومن هنا فيجب اليقظـــة إزاء مـــا يروجـــه المستشرقون وتلاميذهم مما يسمونه اضطهاد لحرية الفكر ومن ذلك حملتهم علـــى

صلاح الدين الأيوبي ومحاولة إلحاق الاتهامات له لزعزعة ثقة الشباب المسلم بأبطال الأمة الإسلامية وقادتها العظام.

١٥ – مؤامرة العصرية

إن روح الأمة أعظم من روح العصر. إن روح العصر ما هي إلا طائفة من السنن تزكيها على الزمن أناس مصلحون أو مفسدون.

إلا أن الإسلام قادر على الاستجابة للعصر والتغيير وللبيئة أيا كانت ولكن دون أن تكون مفاهيم الإسلام وقيمه خاضعة أو مبررة لأخطاء العصر.

إن هناك قيم أساسية ثابتة لايمكن تجاوزها: هذه هي الثوابت ثم تأتي بعد ذلك حركة الاستجابة للعصر في مرحلة المتغيرات.

***

يقول الدكتور أحمد خليل: يبدوا أن مؤامرة خطيرة ظهرت لإحباط خطة التنمية البشرية وتبديد هذا المفهوم البديهي الذي يستهدف صياغة الإنسان المسلم من جديد وفق تعاليم الإسلام. ظهرت هذه المؤامرة تحت اسم المعاصرة أو التحديث وكانت كلمتا المعاصرة والتحديث إلى القرن السادس عشر تعني العربي وتعني المسلم لان العرب هم الذين كانوا يديرون دفة العالم وكان كل شئ حديث يأتي من قبل العرب ومن قبل المسلمين لأنهم الذين يمارسون دور القيادة على المسرح العالمي. لكن حين انقلبت الموازين وأصبح العالم محور (واشنطن وموسكو) هو الذي يقود العالم الحديث وأصبح العالم الإسلامي يعيش ضمن دائرة التخلف، وتنطلق دعوة المعاصرة في المجتمع الثاني ويردد صداها في المجتمعات الإسلامية بقوة حتى لقد أصبحت شعارا لكثير من الهيئات والمنظمات الإسلامية. بيد أن المعاصرة

تمثل دعوة مشبوهة لأنها تستهدف تسليط الضوء كاملا على مادية الإنسان وتشيع في الناس عبودية المادة، ذلك لأنها تؤله العقل باعتباره السيد المطاع في الأرض (تؤله العلم) باعتبار ما قدم من رفاهة للمجتمع (وتؤله الاقتصاد) باعتبار أنه ســـاهم في حل مشكلات الفرد والمجتمع (وتؤله القوة) باعتبار أن من يملكها هو الذي يتحكم في العالم ونحو ذلك فهي تحارب ما وصف بالموروثات البالية. فهي تحارب الديـــن وتحارب الأسرة وتحارب الوطن وتحارب ذلك كله بدعوى تحرير الإنســـان مـــن التخلف والجمود والرجعية وتحقيق الخير للإنسان ومما يؤسف له أنه مـــع التطـــور العلمي والتقدم الهائل من جانب الاقتصاد والتقدم الهائل من جانب التقنية، مع هذا التطور الضخم تطورت أجهزة الإعلام العالمي والكتابة ولكنها بدلا من أن تعمـــل على حل مشكلة الإنسان باعتباره أنسانا صاحب رسالة في الأرض اتجهت إلى تملق غرائزه وإرضاء نزواته لتحقيق أرباح مالية على حساب تدمير الأخلاق فأجـــهزة الإعلام تستهدف غسل المخ البشري من الموروثات القديمة التي هي الدين والقيـــم واللغات وما إلى ذلك وصناعة مخ بشري جديد وتفكير جديد يستهدف إنشـــاء "الإنسان المعاصر" المنقطع الصلة بماضيه.

و لم يحدث في تاريخ البشرية قاطبة أن وجدت مجموعة صغيرة تتحكـــم في صناعة البشرية كما وجدت في مجموعة العصر الحديث التي تخطط لصباغة العقـــل البشري عن طريق أجهزة الإعلام وتتحكم في توجيه الإنسان وهذه المجموعة الـــتي تحرك الإعلام العالمي من وراء ستار وفق مخطط مدروس ووسيلتهم إلى ذلك إدانـــة التاريخ الماضي باعتبار أن هذا التراث رجعي، ومحاربة اللغات القومية لأنها الوعـــاء الذي يضم التراث القديم ويضم القيم.

إذن فالإنسانية وقعت في مخطط رهيب يستهدف القضـــاء علـــى القيـــم الحضارية وكان لمجتمعنا الإسلامي نصيب وافر حيث انتقلت إلينا المعاصرة ودخلت في صراع مرير مع القيم الإسلامية.

وأصبحت تجد الكثير من أبناء المسلمين ينادون بالمعاصرة والتحديث وهم يساقون بواسطتهما إلى تدمير أنفسهم وتدمير مجتمعاتهم وتدمير كل مـــا يملكـــون لتظل بلادهم متخلفة تسيطر عليها القوى الاحتكارية.

إن مبدأ الانطلاق للمسلم المعاصر إنما يكمن أولا وأخيرا في تنمية الـــثروة البشرية، تنمية هذا الإنسان في خططه المتوازية الروحية والعقلية والماديـــة والفنيـــة والاجتماعية" أ.هـــ.

***

أزمة العصر

ليس للإسلام أزمة أمام تحديات العصر وإنما أزمة الإنسان والأزمة ليســـت أزمة الدين ولكنها أزمة الإنسان

وهي تتركز في قضايا التكيف والمعايشة والمواجهات الحضاريـــة ومـــن ثم فعلينا ألا نحمل الإسلام وزر مطامعنا وتقلباتنا ومواقفنا البشرية فالإسلام بعـــد أن عبر المسيرة خلال أربع عشر قرنا يشهد العالم على أنه قوي بمبادئه، صاف أصيـــل بعطائه صالح بوجوده، صحيح بقيمه المرنة التي تصلح لكل زمان ومكـــان والـــتي تختلف عن (أيديولوجيات العصر) التي تعجز عن العطاء وتتوقـــف إزاء تحـــولات البيئات.

ذلك لأن منهج الله هو من صنع الله تبارك وتعالى خالق الإنسان فالإسلام أولا وقبل كل شئ دين شامل متجاوز لكل الفلسفات المادية التي ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده

ومن باب أولى لكل الأديان السابقة له والتي احتواها كمرحلة لوحدته وتكامله فهو الدين الأكمل الذي جمع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة ودعا إلى أصل الإنسان: جسدا وعقلا وقلبا وهو الذي يملك حرية الإرادة والمسئولية الفردية والإيمان بالوحي والغيب والبعث والجزاء الأخروي.

١٦- *المعاصرة*

ترددت طويلا كلمات العصر والعصرية والمعاصرة وحاولت القوى الغازية عن طريق أوليائها دعاة التغريب والغزو الفكري سوق الناس سوقا إلى ما يسمونه المعاصرة والاستجابة لروح العصر بدعوى اللحاق بالتقدم العصري المادي الذي فات العرب والمسلمين أو كاد أن يفوتهم.

وتلك واحدة من الدعوات البراقة الخادعة المضللة التي استمرت على مدى الأجيال الماضية تحت اسم التجديد والتقدم وكان يطلق على المجددين اسم المتفرنجين وهم الذين يزهدون الناس في التراث والقيم والدين والأخلاق تحت اسم الحرية والانطلاق والعصرية وليس خطر أشد على هذه الأمة من خطر الاستسلام لروح العصر التي تعتمد أساسا على التبعية للفكر الغربي الوافد ولمظاهر الحضارة وزخارفها وأسوئها وإباحيتها.

ولابد أن يكون واضحا أن روح الأمة أعظم من روح العصر فالعصر ليس إلا مجموعة من السنين يركبها على الزمن إناس مصلحون أو مفسدون، أما روح الأمة

فهو مستمد من قيمها وعقيدتها وتراثها وتاريخها ولغتها والمسلمون يمتلكون في هذا المجال أعظم تراث وأصدق عقيدة وأقوم تاريخ.

ومن أكبر الأخطاء القول بأن الناس في فترة زمنية واحدة ينتمون جميعــــا إلي عصر حضاري واحد.

ونحن المسلمون لا نؤمن أبدا بوحدة الحضارة ولا بوحدة الثقافــة ونــري أن لكل أمه ثقافتها المستمدة من عقيدتها وقيمها ولا شك أن هذا العصر في الغرب هو عصر العلم ولكنه العلم الخاضع لتوازنات القوي الكبرى والمهدد للبشرية بــــالذرة والصواريخ العابرة للقارات فضلا عما يسود العصر من مفاهيم التحلل والجنــــس والعبث واللام عقول.

وفي الفلسفة برجماتية وواقعية ووضعية ووجودية ومادية جدليه إلخ.

أما نحن المسلمون فلنا منهج أصيل واضح قوامه الإيمان بالله تبــــارك وتعــــالى وكتبه ورسله ونفهم رسالة الإنسان في هذا الكون فهما مختلف عن الفهم الغربي: رسالة عبادة الله تبارك وتعالى وسعي للكسب والعمران وفق قيم الدين الحق، كما نؤمن بالنبوة والغيب والوحي والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي والبعث والجزاء

وليس للإسلام أزمة أمام تحديات العصر وإنما الأزمة هي أزمة الإنسان نفسه وليست أزمة الدين وهي تتركز في قضايا التكيف والمعايشة والمواجهات الحضارية في الحياة اليومية يقول الدكتور رشدي فكار :

"إن الإسلام بعد أن عبر المسيرة خلال أربعة عشر قرنا يشهد العالم على أنــــه قوي بمبادئه، صامد كالصخر، أصيل بعطائه صالح بوجـــوده، صحيـــح ببقائـــه واستمراره ."

فالإسلام أولا وقبل كل شي، دين شامل متجاوز لكل الفلسفات التي ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ومن باب أولي لكل الأديان السابقة والتي احتواها كمراحل لوحدته وتكامله فهو الدين الأكمل الذي أصل الروح وهذب النفس وأسعد الجسد (أصل الروح ببقائها بعد الجسد المادي)

وهو الذي يمثل أمر الله (تبارك وتعالى) في الكون وإرادته الشاملة لتسير الجسد بقوانين دقيقة محكمة الحياة.

ومن هنا كان الإنسان مسيرا حسب أمر الله (تبارك وتعالى) وإرادته وقد هذب النفس بإعطائها أساسا للتنشئة السوية (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**).

فحملها المسئولية الكاملة بعد أن أنار وحدد لها معالم الطريق على أن تمثل عبر حركة الحياة إرادة الإنسان الخيرة.

ويقرر الدكتور أحمد خليل : إن المعاصرة تمثل دعوة مشبوهة لأنها تستهدف تسليط الضوء كاملا على مادية الإنسان وتشيع في الناس عبودية المادة، ذلك لأنها تؤله العقل باعتباره السيد المطاع وتؤله العلم باعتبار ما قدمه من رفاهية للمجتمع وتؤله الاقتصاد باعتبار إنه ساهم في حل مشكلات الفرد والمجتمع ، وتؤله القوة باعتبار أن من يملكها هو الذي يتحكم في العالم ونحو ذلك، فهي تحارب ما وصف بالموروثات البالية فهي تحارب الدين وتحارب الأسرة وتحارب الوطن وتحارب القيم ، تحارب ذلك كله بدعوي تحرير الإنسان من التخلف والجمود والرجعية وتحقيق الخير للإنسانية.

ولما يؤسف له أنه مع التطور العلمي والتقدم الهائل تطورت أجهزة الإعلام العالمية ولكنها بدلا من أن تعمل على حل مشكلة الإنسان باعتباره إنسانا صاحب رسالة في الأرض اتجهت إلي تملق غرائزه وإرضاء نزواته لتحقيق أرباح مالية على حساب تدمير الأخلاق فأجهزة الأعلام تستهدف غسل المخ البشري من

الموروثات القديمة التي هي الدين والقيم والنغات وما إلي ذلك وصياغة مخ بشرى جديد وتفكير جديد يستهدف إنشاء الإنسان المعاصر المنقطع الصلة بماضيـــه و لم يحدث في تاريخ البشرية قاطبة أن وجدت مجموعة صغيرة تتحكم في صياغة البشرية كما وجدت مجموعة العصر الحديث التي تخطط لصياغة العقل البشري عن طريـــق أجهزة الإعلام وتتحكم في توجيه الإنسان.

وهذه المجموعة التي تحرك الإعلام العالمي من وراء ستار ووفق مخطط مدروس ووسيلتهم إلي ذلك إدانة التاريخ الماضي باعتبار أنه يضـــم الجهالـــة والتخلـــف والرجعية، ومن هنا تجري محاكمة التراث القديم باعتبار أن هذا الـــتراث رجعـــي ومحاربة اللغات القومية لأنها الوعاء الذي يضم التراث القديم ويضم القيم.

إذن فالإنسانية قد وقعت في مخطط رهيب يستهدف القضـــاء علـــى القيـــم الحضارية، وكان لمجتمعنا الإسلامي نصيب وافرا حيث انتقلـــت إلينـــا المعـــاصرة ودخلت في صراع مرير مع القيم الإسلامية وأصبحت تجد الكثير من أبناء المسلمين ينادون بالمعاصرة والتحديث.

وهم يساقون بواسطتهما إلي تدمير أنفسهم وتدمير مجتمعاتهم وتدمير كل مـــا يملكون لتظل بلادهم تسيطر عليها القوي الاحتكارية.

إن مبدأ الانطلاق للمسلم المعاصر إنما يكمن أولا وأخيرا في تنميـــة الـــثروة البشرية وتميز هذا الإنسان في خطوطـــه المتوازيـــة الروحيـــة والعقليـــة والماديـــة والاجتماعية."

******

كيف يجري إخراج المسلمين من ذاتيتهم الخاصة باسم المعاصرة .

مواجهة التحديات الثقافية المختلفة التي أفرزتها مجموعة المتغيرات العالميـــة في عا لم اليوم :

إن الفكر الغربي يعمل في محاولة دائمة منذ بدأ الاستعمار من أجل احتـــواء الفكر الإسلامي والحيلولة دون تمكينه من تطبيق منهجه على المجتمـــع الإســـلامي ويبدو ذلك في عدة مواقع منها :

١- خضوع نظم التعليم للمناهج الغربية وهي الخنجر المسموم الذي طعـــن به المسلمون

٢- كما جرت المحاولات العديدة للهجوم على اللغة العربيـــة وانتقاصـــها محاربة للقرآن الكريم

ثم جاءت الموجة التالية وتتمثل في محاولة السيطرة على البـــلاد الإســـلامية بالنظم الوضعية كالقومية والماركسية ومحاولة سيطرة مفاهيم العلوم الاجتماعية مثل علم النفس الاجتماعي والأخلاق على أسلوب العيش الإسلامي فقد حاول الفكر الغربي والماركسي تحويل الفكر البشري إلي ناحية فرض المادية وتدمـــير النفـــس الإنسانية وإعلاء العنصرية والقوميات وأن كل المؤامرات قد أثبتت حقيقة واحدة وهي أن الإسلام هو الهدف الذي تعمل القوي المعادية لضربه فهم يهدفون إلي أن يظل الإسلام بعيد ا عن دائرة العمل والتنفيذ، وألا يملك المسلمون إرادتهم القادرة على الانتقال من الدائرة الضيقة التي حبسهم فيها الغزو الثقافي والتغريب إلى الدائرة المرنة التي أنشأها لهم الإسلام وأن هدف الأمة الإسلامية اليوم هو تحطيـــم هـــذه الدائرة الضيقة والتماس دائرة الإسلام ومفاهيمها ومناهجنا الثرية الخالدة.

إن الفكر الغربي يهدف إلي تأكيد الانشطارية بين الروح والمادة مع إعــــلاء المادة ، واليوم وقد عجز العالم الغربي وحضارته أن تعطي الإنسان - أي إنســـان- سكينة النفس أو طمأنينة القلب بعد أن فصل بين الروح والمادة.

ومن ثم كانت إبراز مظاهر الحياة في البلاد التي فرضت عليها هذه المفاهيم: التمزق والضياع والعبث.

وقد جرت خطة التغريب في أساليب واضحة متعددة لإثارة الشبهات حول القوي الأساسية للإسلام مركزة في محاربة القرآن الكريم وتاريخ الإسلام واللغـــــة العربية والسيرة والسنة المباركة .

وهناك الدعوة إلي إخراج المسلمين من قيمهم باسم التحرر وهنا يجب أن لا تخدعنا الأسماء البراقة فنحن طلاب أصالة تكون منا بمثابة الإطار الثابت تتحرك من داخله المعاصرة والتقدم والتحرر.

إن هدف القوي المعادية أن تدمر قيمنا القرآنية الإسلامية التى هي الأعمـــدة الثابتة التي يقوم عليها البناء.

ولقد تحدث كثيرون عن ضرورة حماية الثوابت وألا تذهبن بهم عاطفة التغيير إلي الإمعان في الدعوة إلي التغيير بمفهوم تجاهل الثوابت والتراث والقيم جميعا حيث لا يمكن عزل الأمة عن ماضيها والحق أنها دعوة صهيونية والحاديــــة وماســـونية وعلمانية يراد بها هز المجتمع وتدمير قواعده .

إن ثوابت الإسلام تختلف عن ثوابت الصهيونية.

١٧ – الإلحاد

يعرف بعض الباحثين مصطلح الإلحاد على هذا النحو :

الإلحاد في اللغة العربية : الميل عن القصد والعدول عن الشيء ، يقابل ألحد في الدين و"لحد" أي حاد عنه وطعن فيه.

وألحد ترك القصد في الأمر والميل إلي الظلم

وألحد فى الحرم واستحل حرمته وانتهكها

فالإلحاد هو الكفر والشك في الله (تبارك وتعالى)

والملحد هو العادل عن الحق والمدخل منه ما ليس فيه

وقد ذهبت الدهرية (الملاحدة) إلي قدم الدهر، كما ذهبوا إلي ترك العبادات رأسا، وعندهم إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وسماء تقلع فهم قد أنكروا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع.

والإلحاد هو إنكار وجود الله تبارك وتعالى ولكنه يطلق تارة علـــى إنكـــار علمه وقدرته وإرادته ويكفي أن ينكر المرء أصلا من أصول الدين أو اعتقادا مـــن الاعتقادات المألوفة أو رأيا من الآراء الشائعة حتي يتهم بالإلحاد.

وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجـــود الله (تبارك وتعالى) لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله أو تخالف معتقـــدا دينيا معينا أو رأيا اجتماعيا مقررا ، فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهـــم قـــالوا أن للمادة وجودا مطلقا وأنها قادرة على الحياة والحركة والفكر والدهريون ملاحـــدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج إلي صانع وإنه بما فيه مبنى على الاتفاق .

ولكن الفيلسوف إذا قال إن الأجسام لا تحشـــرا أو قـــال إن الله (تبـــارك وتعالى) لا يعلم الجزئيات كان كافرا بأصل من أصول الدين لا محلدا وكذلك إذا

قال بوحدة الوجود فإن هذا القول يستلزم إنكار وجود الله تبارك وتعالى ولا يجعل صاحبه ملحدا.

لقد كانت فكرة الإلحاد إحدى أدوات الفلسفة المادية للخروج من مفهوم الدين وكانت العلمانية تعني مجتمعا وفكرا متحررا من الدين ومن قيم الأخــــلاق ودعوة مطلقة إلي الانطلاق.

كانت معطيات الدين في الغرب بعد ظهور المناهج العلمية لا تحقق للعقـــل البشري حاجته من العطاء الروحي ومن هنا كانت الدعوة إلي إنشاء دين جديـــد وإلي الادعاء بأنه الإنسان هو الإله الأعلى ولقد كان الغرب يظن أن العلم يستطيع أن يكون بديلا عن الدين فلما عجز العلم وتراجع ووقف عند حـــدوده جـــاءت الماركسية لتقدم خطوة أشد خطراً.

ويقول الراغب الأصفهاني في موسوعة (غريب القرآن) أن الإلحاد ضربان:

إلحاد إلي الشرك بالله

وإلحاد إلى الشرك بالأسباب

الأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله.

ولقد ذهب دعاة العلمانية في الغلو إلي القول بأن الدين هو فن إسكار الناس بالحماسة لمنعهم من الاهتمام بالمعارف التي بذلها لهم الذين يحكمونهم.

ولذلك فهم يدعون أن الدين اختراعا ابتدعه الطغاة، هذا هو الإلحاد الليبرالي ثم جاء الإلحاد الماركسي الذي وصف بأنه قمة الإلحاد العام حيث الكفاح ضـــد المعتقد به فضلا عن سيطرته على القرن العشرين الذى صار إلحـــاده مـــن إلحـــاد الماركسية والوجودية ، حتي قيل في مفهوم ماركس : إن الإنسان هو الإله الأعلى وأعيدت للإنسان ما كانت الأديان تنسبه إلي السماء.

حتى أن فيورباخ أنكر على الدين انه يفصل الإنسان عن خير ما فيه حتى توضع كل فضائله وأماله في صورة الله (جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا) حتى قيل إن الماركسية تعتبر الإنسان انعكاسا لشقاء فعلى واحتجاجا على هذا الشقاء في نفس الوقت يقول /أو غسطين/ : إن الله قد أدخل الرق في العالم كعقاب مع الخطيئة وسيكون تمردا على إرادته أن نحاول إلغاء هذا الرق.

وهكذا ينسب إلي الله تبارك وتعالى قيام الرق وعبودية البشر وهو جل وعلا الذى أنزل من الشرائع ما يحرر الإنسان ويرفع عنه ظلم السلطان.

وتحدث الماركسيون عن الديانات الكبرى (وفي مقدمتها المسيحية و اليهودية والبوذية والرزادشية والطاوية والهندوسية) على أنها من الوثنيات.

ولقد كانت نظرية دارون هي أول حلقات الإلحاد فلما تبنى ماركس نظرية دراون بني على مفاهيمه الزائفة واستطاع أن يستخلص منها نظرية الصراع الطبقي.

وخدعت الغرب فكرة السيطرة على الطبيعة والسعي وراء السعادة المادية وسحق كل العناصر والسيطرة عليها والواقع أن الله تبارك وتعالى هو الذى أمد الإنسان في الغرب بالمفاهيم التي كشفت له أسرار السيطرة على الطبيعة في نفس الوقت الذى دعاه - عن طريق الأديان - إلي أن تكون في خدمة هدف الله الحقيقي وهو المسئولية الفردية والجزاء الأخروى وقد مضي الفكر الغربي وراء الفلسفة المادية وسخر من كل القيم الروحية والمعجزات والوحي والغيب ومضي الغرب على مفهوم الدهريين (قالوا إن هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) .

ومن هنا يقرر الفقهاء أن الفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا أن للمادة وجودا مطلقا وإنها قادرة على الحركة والحياة والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن

العالم لا يحتاج إلي صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق ولكن الفيلسوف إذا قال إن الأجسام لا تحشرا وقال أن الله لا يعلم الجزئيات كان كافرا بأصل من أصول الدين لا ملحدا وكذلك إذا قال بوحدة الوجود فأن هذا القول يستلزم إنكار وجود الله ولا يجعل صاحبة ملحدا.

١٨- *التحديث*

التحديث بمفهوم الإسلام يقبل تجارب الأمم والحضارات والانتفاع بها دون أن تسيطر على أصالتنا وقيمنا الأساسية أو تغير من منطلقنا القائم على التوحيد الخالص، نحن لا نغلق النوافذ ولا نقبل كل ما يقدم إلينا وأن ما نأخذه إنما هو التنظيمات وليس النظم وما نأخذه نصهره في دائرة فكرنا.

ونحن لا نقر مفهوم الغرب حين يعنون بالتحديث قيام المجتمعات غير الغربية باقتباس ما أنتجه المجتمع الصناعي الغربي.

ويركزون على اقتباس أشكال ومضامين الثقافة الغربية في الفنون والآداب والفلسفة ومعايير الأخلاق وأساليب الحياة باعتبار أن ذلك كله يمثل كتلة واحدة ونمطا حياتيا مجتمعيا متكاملا لا يمكن تجزئته.

وهذا فهم خاطئ لا نقبل به فمن الذى قال إن قبول الصناعات الحديثة يلزمنا بان يكون محتواها غربيا ، إنها ليست أكثر من أدوات مما يصح للمسلمين الأخذ بها واستعمالها في حياتهم الخاصة، هذا هو موقفنا من الحضارة المادية ، أما الفنون والآداب ومعايير الأخلاق وأساليب الحياة فلا تخضع لمفهوم التحديث.

لأن لكل أمة ثقافتها الخاصة المستمدة من قيمها وعقيدتها ولغتها وتراثها وقد رسم الإسلام للمسلمين منهجاً اجتماعيا وأخلاقيا متميزا يختلف اختلافا

واضحا وعميقا عن النظام الاجتماعي والأخلاقي الغربي وهكذا فنحـــــن نفـــهم (التحديث) على نحو يختلف عن (التغريب) الذى يريد احتواءنا في دائــــرة فكـــره وصهرنا لنكون صورة من صور التبعية فنفقد تميزنا الذى منحه لنا الإسلام.

ويختلف مصطلح التحديث عن مصطلح الحداثة حيث يخطئ بعض الناس في الخلط بينهما حيث تتمثل الحداثة في الدعوة إلي تدمير كل جذور الـــتراث وهـــي الدعوة التى يحمل لواءها يوسف الخال وأدونيس ومجموعة الحاقدين على الإســـلام والسنة والعروبة.

وقد استعلن مفهوم الحداثة حين قال ادونيس: (يلزمنا تحطيــــم المـــوروث الثابت)

فما هو الموروث الثابت غير الإسلام والدين والعقيـــدة واللغـــة والتـــاريخ والقرآن وكل قيم الأخلاق والمجتمع.

فإذا كانوا يتحدثون عن مفهوم اليوت في الحداثة فإن اليوت لم يــــدع إلي تحطيم شكسبير أو المسيحية بل كان قمة الالتزام بالعقيدة المسيحية.

إنهم يرون أن عبارة هدم القديم ، أو التراث، أو الثابت قد تستطيع أن تخدع بعض البسطاء فأنها لا تخدع الفاهمين لمحاولات التغريب الذي لا يريـــد مواجهـــة الإسلام أو القرآن أو الاصطدام مع القوي المؤمنة.

والغرب نفسه لا يعرف مفهوم الحداثة على النحـــو الـــذي يدعـــوا إليـــه الشعوبيون والملاحدة وأتباع النفوذ الأجنبي.

وذلك لأنه الغرب حين أراد إبتعاث نهضته ربط نفسه مع الفكر اليونـــــاني وكانت بينهما مسافة ألف سنة من القطعية وحين يدعوننا الحديثيون إلي أن نقطع صلتنا بالإسلام الممتد منذ أربع عشر قرنا متصلا، فهم يدعوننا إلى إحياء الفكـــــر الوثني السابق للإسلام، ممثلا في الفرعونية والفينيقية وتراث كورش وجلجــــامش

وادونيس القديم فكيف يمكن أن يتخلي المسلمون عن تراث مستنير متصل خـــلال القرون إلي تراث وثنى قرر المؤرخون أنه مقطوع الصلة بالعصر بقاعدة (الانقطاع الحضاري).

وليست الحداثة إلا صورة من صور التدمير للتاريخ والتراث مهما اختلفت من البنيوية فإن الجسد الإسلامي كان قادرا على أن يرفض العنصر الغريب .

وقد صدق من أسماه النقد التفكيكى الذى يرمى إلي تفكيك الصورة الجامعة وتدمير القيم.

والمسلمون في مفهومهم لا يفرقون بين المنهج والتطبيق ولا بين اللفظ والمعنى - كالورقة الواحدة لها وجهان ولا نستطيع أن نقطع وجها وإلا تقطـــع الوجـــه الآخر.

على حد تعبير الدكتور الراجحى - " فإذا جئت بالمنهج فلابــــد أن تـــأتي بالنظرية، وأنت لا تستطيع أن تقطع المنهج لأنه هو الوجه الآخر من الورقة فـــإذا قطعته قطعت النظرية " .

إن هذه النظريات الجديدة التي تطرحها الشعوبية العربية اليوم مـــن فتـــات موائد الغرب لا تستطيع أن تجد لها مجالا بعد أن علت صيحة الأصالة والعودة إلي النابع وأصبح المثقف المسلم يعرف أبعاد المؤامرات ومن يرسمها ويحتضنها.

وقد فات الوقت الذى كانت تخدع بعض الذين لم يســـتكملوا ثقافتـــهم الإسلامية و لم يعرفوا أبعاد المفهوم الإسلامي الأصيل.

أما اليوم فإن الموقف مختلف تماما وسوف يعود إلي دور الأصالة كل الذيـــن خدعتهم مؤامرات التغريب .

١٩ – صحيح الغزالي طريق الفكر الإسلامي

هل كانت حملة الأمام الغزالي على الفلسفة اليونانية المترجمة إلى العربية ظالمة كما يدعي العلمانيون والفلاسفة الماديون ؟

إنهم يحاربون الغزالى لأنه هو الذى صحح مسار الفكر الإسلامي ورفـــض وثنيات الفلسفة اليونانية والخلط الذى وقع فيه المشاءون المسلمون (الفارابى وابـــن سينا) وغيرهم .

يقول يوسف زيدان : لقد ظل الفلاسفة الإسلاميون غارقين في مباحث لا ترتبط بالوجدان الثقافي للأمة.

فالفارابي قدم فلسفة اليونان بشكل متخبط خلط فيه بين أراء الحكيمـــين: (أفلاطون وأرسطو) وابن سينا أغرق نفسه في مباحث الفلسفة الأرسطية.

أما أبو بكر الرازى فقد ظل يجهد فكره لتقديم مذهب فقدم المبادئ الخمسة وهو مبدأ لم يضع جديدا في تاريخنا الثقافي وكان الإبداع الحقيقي لهؤلاء ليـــس في مجال الفلسفة.

بل كان في الموسيقى للفارابي وفي الطب لابن سينا وكانت ريادة الـــرازى الحقيقية تكمن في موسوعته الطبية الإكلينيكية الرائعة.

(وهذا الجانب في حياة هؤلاء الأعلام هو موضع تقدير الفكر الإســـــلامي والمسلمين إلي اليوم)

و لم يقع الخلاف إلا في مفاهيمهم الوافدة من أفلاطون وأرســـطو حيـــث اختلط الأمر بين مؤلفات كل منهما على النحو الذى قام به الفارابي.

إذن لم يغلق الغزالى باب الفكر الإسلامي حين كشف أخطاء الفلاســـفة في الأيمان بالله تبارك وتعالى والتماسهم مفاهيم الوثنية اليونانية وإدخالــه إلى الفكـــر الإسلامي ، إنه عاد بالفكر إلي أصالته في إقامة مفهوم التوحيد الخالص.

ومنذ ذلك اليوم الذى حرر فيه الإمام الغزالى الفكر الإسلامي من التبعية للفلسفة اليونانية التي هي في الحقيقة (علم الأصنام) وإلي اليوم ما تزال الحملة عليه قائمة وممتدة إلي مدرس الفلسفة فى العصر الحديث أمثال عاطف العراقي وغيره.

أن اللغم الذي فجره هذا الإمام العظيم وجعله مدخلا للتحول الخطير الذي قام به الإمام ابن تيميه والذى هدم الفلسفة اليونانية هدما حين كشف عن فساد قضية المنطق كما صورها أرسطو الذي أدعي المشاءون إنه معلم المسلمين.

هذه الأكذوبة التي رددها لطفي السيد وطه حسين حتى جاء الشيخ مصطفي عبد الرازق فكشف عن أن الأمام الشافعي هو معلم المسلمين وهو بمثابة أرسطو للفكر اليوناني بكتابه (الرسالة) في علم أصول الفقه .

لقد اعتدل الميزان بعد انحرافه وكذبت مقولة أحمد أمين من أن المعتزلة هم الذين فتحوا للفكر الإسلامي الطريق إلي النهضة، ذلك أن المعتزلة قد انحرفوا انحرافا شديدا عندما دعوا إلي فتنة (خلق القرآن) وأيدهم المأمون وقامت فتنة قاومها احمد بن حنبل الذى ظل سبعة عشر عاما يواجه هذا الخطر حتى أنحسر . لقد جاء الأمام الغزالي سدا منيعا وقامت معه سدود كثيرة منها أحمد بن حنبل والأمام ابن تيميه وذلك هو ما يسمي في الفكر الإسلامي (العودة إلي الأصالة)

ولن يستطيع التغريبيون والعلمانيون اليوم أن يعودوا بالأمور إلي هذه المحنة مرة أخرى فقد انكشف الطريق الصحيح أمام الأصالة الإسلامية.

٢٠ – *نظرية البنيوية*

يقول الدكتور عبده الراجحي : البنيوية لم تظهر في الغرب إلا رد فعل شئ سابق هناك، ظهرت في الغرب وماتت في الغرب ، ظهرت في بيئتها الطبيعية ثم

ماتت ، فهل يتصور علميا وموضوعيا أن تظهر في غير بيئتها وتعيش وهي ولدت في غير مكانها وليس لها أساسا سوابق في العربية حتى يمكن أن تبقي ، إنها ولـــدت ميتة.

ويدعي بعض الناس أن للبنيوية جذورا في الأدب العربي وينسب ذلـــك إلي عبد القاهر الجرجاني في نظريته المعروفة، وتقول إنه في مرحلة اســـتضعاف الأمـــة عادة إذا كانت هناك عقدة النقص وفي مرحلة التخلـــف مـــاذا يصنـــع النـــاس، يتصورون أن ما عند البلاد المتقدمة هو الأفضل ويحاولون أن يفســـروا القـــديم في ضوء ما عند الآخرين أما قول بعض الناس أن عبد القاهر الجرجـــاني بنيـــوى وأن نظرية النظم نظرية بنيوية فإن هذه المسألة في الحقيقة غير صحيحة على الإطـــلاق، إن العلاقات داخل نظام مغلق منقطع عن صاحبه، لم ترد عند الغرب مطلقا وليس عندهم شئ منقطع عن صاحبه (العمل وصاحبه شئ واحد) لكن البنيوية تقول : الصاحب لابد أن يقطع عن العمل ولذلك سموه موت المؤلف.

ويقول بعض دعاة الحداثة : نحن مسلمون لا نعادى الإسلام ونحن نختلـــف منهجا ولا نختلف فكرا وإن النقد البنيوى أو التفكيكي مثلا هـــو منـــهج، كمـــا تستورد السيارة والطائرة نحن نستورده وليس هناك مغالطة كهذه المغالطة، ذلك أن موضوعات الفكر الإنساني غير المسائل العلمية فإن مسائل الفكر الإنساني لا يوجد فيها منهج ولا فكر وإنما المنهج والفكر شئ واحد، حتى كلمة (منهج) معناهـــا في العربية الطريق الموصل إلي غاية فالغاية هي النظرية.

فإذا أعطيت نصا قريبا لمنهج مسلم فسوف نفسره بطريقة إسلامية ، وهـــذا النص لمنهج شيوعي فلابد أن يوصل إلي غاية أخري فالمنهج لابد أن يتصل بالنظرية حيث تقوم النظرية على العلاقة بين اللفظ والمعنى، كالورقة الواحدة لها وجهان ولا تستطيع أن تقطع وجها إلا وتقطع الوجه الآخر فإذا أنت جئت بالمنهج فلابد أن

تأتي بالنظرية، أنت لا تستطيع أن تقطع المنهج لأن المنهج هو الوجه الأخـــر مـــن الورقة فإذا قطعته قطعت النظرية.

ولكن الذين يأخذونها يقولون أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية.

وعن قصة استيراد النظريات من الغرب (اللغوية والأدبية) بعض الناس يقول لا مانع من استيراد كل ما لدى الغرب والزمن كفيل بأن يحكم بين الذي يلائمنـــا والذي لا يلائمنا. "

عن هذه الفكرة نقول : المسلمون عندهم الإسلام يحتكمون إليه لكنهم لم يغلقوا النوافذ بمجرد أن بدأو يدركون إنهم أهل رسالة عامة، علموا إنهم لابـــد أن يعرفوا ما عند الناس وأن يعرفوا من سبقهم في علومهم لكنهم حين فتحوا نوافذهم كان عندهم (معيار) واضح بين الخطأ والصواب. هو معيار الإسلام.

نحن نقول إن المسلم الآن يجب أن يعيش بجناحين، لابد أن تمتد جـــذوره في أرضه امتدادا إلي أعمق ما يكون ولابد أن يعيش عصره بكل المعنى فيعرف ما عند الآخرين ويفيد بما ينفع.

ونحن بين منهجين : منهج النمل الذي يجمع كل ما عنده ومنهج النحـــل الذى يمتص كل ما هو ضرورى ، ومنهج النحل هذا يستطيع أن يهضم الشـــيء ويخرجه من طبيعته أى إننا ننتفع بما عند الآخرين.

س : هل يعتقدون أن دور الحداثة قد انتهى بعـــد أن اصطدمـــت بتيـــار الأصالة.

جـــ : الحداثة لا مكان لها، ويعني الحداثة الوافدة المبنيـــة علـــى نظريـــات فلسفية خاصة والتي أول أساسها (هدم القديم) ، هذه مرفوضة عندنا .

ولكى يحدث التجديد الطبيعي يجب أن نقتل القديم بحثا ويجب أن تكون لنا معرفة تعد بحثا لكي ننطلق منه.

أما استجلاب شئ جديد تركه أصحابه فهو مرفوض ، إن أولئـــك الذيـــن يأخذ منهم كثير منا ليس عندهم شي' يهتمون بإبقائه.

المشكلة أن عندي شيئا لابد أن أبقيه والآخرون ليس عندهم مــــا يقونـــه والخلاصة : أني ضد الجديد الذي هو ضدي .

والغريب أنه هو المعتدي فيتصور إننا نحن الذين نتعدى عليه وهـــذا قلـــب للأوضاع والسبب هو نحن لأننا لا نحسن تقديم ما في أيدينا .

(من حديث أجرى مع الدكتور عبده الراحجى)

٢١- *المعرفـــة*

يتمثل منهج المعرفة الإسلامي في عده أصول أساسية :

أولا: يجب التفرقة بين نوعين من العلم : العلم الرباني الذي يمثل مســئولية الإنسان والتزامه الأخلاقي وإيمانه بأنه يعمل من أجل إقامة المجتمع الربـــاني وفـــق منهج الله تبارك وتعالى

ثانيا : العلم الكسبي الذي يحصله الإنسان من معرفة حقائق الكون والحيـــاة وهذا العلم يجب أن يوجه في مفهوم الإنسان لخير البشرية كلها.

ولقد كان لهذا المفهوم الجامع أثره الواضــــح في بنـــاء المنـــهج التجريـــي الاستقرائي الذي وضع أسسه القرآن الكريم :

{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق}

{قل انظروا ماذا في السموات و الأرض}

{قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}

هذا المنهج هو الذي دعا المسلمين إلي الاستقراء علـــى مســـتوي الطبيعـــة والكون بالملاحظة والتجربة.

كذلك فقد رسم القرآن منهج قيام الحضارات في الأمم وسقوطها وكيـــف أن الأمم التي خرجت على منهج الله تبارك وتعالى دمرها عملها.

وهو ما يسمى سنن الله في الطبيعة والمجتمعات:

{سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا} ولقد كـــان من عوامل السيطرة الأجنبية على بلاد الإسلام أن انهارت مفاهيم المعرفة الإسلامية واستبدلت بمفاهيم غربية لا تقوم على الفهم الديني الصحيح باعتبار أن الله تبـــارك وتعالى هو مصدر الحياة ومصدر العلم جميعا، واستبدل بمفهوم الطبيعـــة الصمـــاء ومفهوم الجبرية والادعاء بان ما نراه في الطبيعة ليس نتيجة تدخل قوة عليا خارجية ولكنه يتم تلقائيا وهذا هو أخطر ما أصيبت به مفاهيم الدراسة للعلوم في بلادنـــا فالقول بعدم تدخل الإرادة الإلهية في حوادث الحياة اليومية هي مقولة باطلة مضللة لا أساس لها.

وقد كان لها أثارها الخطيرة في زلزلة إيمان الشباب المسلم ومن هنا نشأ مـــا يسمى بمنهج (أسلمة المعرفة).

ويقول دكتور طه جابر العلواني أن هذه القضية من أهم القضايا المطروحـــة اليوم على الساحة الإسلامية وتشغل المفكرين والمثقفين باعتبار أن أسلمة المعرفـــة تمثل إحدى الخيارات العلمية والعملية في التعامل مع الصحوة الإسلامية بعيدا عـــن التحمس الأجوف أو التعاطف المسطح.

فالإسلامية هي الإطار الحضاري الشامل للفرد والمجتمع ، للفكر والعمـــل وللتعلم والممارسة، للراعي والرعية معا، للدنيا والآخرة والمقصود بأسلمة المعرفة أن

تواكب قدرة العقل المسلم حاجات الأمة والتحديات التي تواجهها وذلك بتقديم المناهج الفكرية والحضارية اللازمة لبقاء الأمة بكل أنظمتها .

فالأمة الإسلامية لا تنقصها الإمكانيات البشرية ولا المادية ولكن تحتاج إلى منهج متكامل ورؤية واضحة تسير على هداها وتسعى إلى تحقيقها.

فالمعرفة الإسلامية ليست قيما وغايات وتأملات فردية أو تراثا فقط ولكنها وسيلة لتكوين عقلية منهجية في كافة مجالات العلم والمعرفة والاجتماعية والإنسانية.

المصدر الأول لإصلاح مناهج الفكر العربي المسلم المعاصر هو القرآن والسنة والصور المستمدة من نموذج الصدر الأول للإسلام باعتباره نموذجا استطاع أن يحول هذه المنهجية إلى نظام عملي فعلي أما القول بأن العلم لا دين له فإنه إنكار لحقيقة أساسية وهي أن هناك معرفة إسلامية ومعرفة غير إسلامية وكل العلوم نظرية وتطبيقية لها دين .

فالمعرفة الإسلامية تحقق غايات الإسلام في الحياة وتسهم في بناء حضارة تتجمع فيها إسلامية المنبع والهدف والوسائل والأثر .

ولا شك أن تحقيق إسلامية المعرفة في مسيرة الأمة يستوجب المرور بمرحلتين.

- إتقان العلوم الحديثة
- التمكن من التراث الإسلامي

وكذلك التمكن من القدرات والمعلومات التي أفرزتها الحضارة الإنسانية حتى اليوم وهذا يمدهم بالمناهج المطلوبة لإقامة قاعدة منهجهم الإنساني وتأصيله.

ويجب على الدراسيين أن يتمكنوا من التراث الإسلامي المستمد من أصوله الأساسية (القرآن و السنة) ويتحقق ذلك باستخلاص المختارات التراثية في مختلف

العلوم وتحليلها حتى يتمكن الباحثون من فهم أفضل لرؤية السف وكيف حولـــوا هذه الرؤية إلي مفاهيم انعكست في أقوالهم وسلوكهم ومكنتهم مـــن حـــل مـــا واجههم من قضايا في الحياة وفتحوا بها آفاقا جديدة للحضارة والأعمار البشري.

٢٢ – نظرية المعرفة الإسلامية

ضرورة رد الاعتبار للوحى كمصدر أساسى من مصادر المعرفة

تقوم المعرفة في الثقافة الغربية على أساس أنها هي المعرفة التجريبية وحدهـــا مع التنكر الكامل للعناصر الأخرى كالوحي والنص بينما تقوم المعرفة الإســـلامية على أساس الوحى والعلم والعقل وتركز أسلمة المعرفة والعلوم في هذه الجولة على توضيح مكانة الوحى أو النص أو ما يسمي بالنقل كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجربة.

فالوحى أساس متين في قاعدة المعرفة الإسلامية التي تقـــوم أساســـا علـــى (الإيمان بالغيب)، [الذين يؤمنون بالغيب] .

ومن هنا فقد عمد المستشرقون والمبشرون ودعاة الفلسفة المادية والعلمانية إلي تقديم مؤلفات غربية تترجم إلي اللغة العربية تعارض هـــذا المفـــهوم الجـــامع الإسلامي الأصيل.

والتي تحاول أن تقدم مفاهيم العقل والعلم وحدها كمصدر للمعرفة وذلك بهدف تغيير هوية الأمة الإسلامية والقضاء على أصالتها.

ويركز الفكر الغربى الواحد على التعامل الاقتصادي ويراه مصدر الأسباب التي دفعت المسلمين إلي الفتوح الإسلامية (أورده يوسف هل في كتابه(الحضـــارة العربية) وول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) وبروكلمان في كتابـــه (تـــاريخ

الشعوب الإسلامية) ، بينما يأتي العامل الاقتصادي في التفسير الإسلامي للتـــاريخ إلي الدرجة الثانية أو الثالثة حيث تسبقه العقيدة والإيمان بالشهادة وبيع النفوس في سبيل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى.

وتجرى على السنة بعض الباحثين مقولة مضللة هي أن الفكـــر الإســـلامي يختلف مع العلوم الإنسانية والاجتماعية الوافدة ولكنه لا يختلف مع العلوم التجريبية بوصفها علوم تصدر عن أنابيب ومن خلال معامل فهي بذلك غير عرضة للنقـــد من حيث سيطرة الفلسفة المادية عليها ولكن الحقيقة تختلف مع ذلك تمامـــا فـــإن قاعدة العلوم التجريبية تخضع في الأساس للفلسفة المادية وتنظر إلي الكون والوجود والحياة على أنها قوي طبيعية قائمة بنفسها وأنه ليس وراءها خالق وهذا هو مقتل الحضارة الغربية في الحقيقة.

وهي بهذا تجعل للإنسان حرية السيطرة عليها وتوجيهها والتصـــرف فيـــها دون تقدير للحقيقة الغائبة التي يسمونها أحيانا (الطبيعة) وهي وجـــود الله تبـــارك وتعالى وراء هذا الكون يدبره لحظة بعد لحظة ويمسكه من أن ينهار:

(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا)

وليس هناك أخطر من مفهوم العلوم التجريبية من مصطلح الطبيعة الـــذي يضعه العلماء مكان كلمة الله الخالق تبارك وتعالى.

ولا ريب في أن موقف علماء التجريب - الغربيين - من فكـــرة الطبيعـــة وإنكار وجود الخالق تبارك وتعالى تؤثر تأثيرا كبيرا على توجيه العلوم التجريبية في الأفق الإسلامي وتؤدى إلي كثير من المحاذير أقلها حين تختلف مع معطيات العلوم الإسلامية نفسها ووجود هذا التضاد فليس هناك أخطر من الاعتقاد بأن الطبيعـــة خلقت نفسها وإنها تتحرك بإرادة الإنسان وأن الإنسان يمكن أن ينطلق مع سياسة الاستهلاك والتكديس والنهب في تدمير مقومات الأمم وإعـــلاء شـــان الـــترف

والإباحيات على نحو يحول دون إقامة العدل الإلهي بين الأمم وبين قدراتها التي أوجدها الحق تبارك وتعالى فالإسلام يضع الضوابط على مقدرات الأمم حتى لا تدمر من أجل أهواء وشهوات ومطامع الرأسماليين وأصحاب الثروات ولذلك فنحن لا نقبل هذا المفهوم بالنسبة للعلم التجريبي لأنه يتنافى مع مفهوم الإسلام من حيث العدالة والرحمة ومن حيث الاحتفاظ بالثروات وعدم تبديدها والدعوة إلي إسعاد البشرية جميعا وليس صنفا واحدا منها أصحاب العرق الأبيض المستعلي على البشرية على حساب الخلق.

فنحن المسلمون لا نؤمن بأزلية المادة والطاقة كما يؤمن الغرب ولا نؤمن بأزلية الكون وانتفاء الخلق ونسبة كل شيء جهلا إلي الطبيعة أو رد الخلق ظلما إلي الصدفة.

وخطأهم ذلك في تفسير التدرج في عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة.

ذلك لأن احتمالات الصدفة في أقل مسألة في نشأة الكون معدومة، هذا الكون الذي نحيا فيه قد أوجده خالقه لحكمة بالغة كما إنه لا يمكن أن يستمر في وجوده هذه الآلاف الملايين من السنين إلا برعاية خالقه.

وهذه قضية من كبرى قضايا التأصيل الإسلامي الذي يجب أن يتم لكل المعارف العلمية منها والإنسانية.

إنه لا حرج من الاستفادة من تجارب غيرنا على النحو الذي لا يغير شيئا من القيم الثوابت الأساسية للإسلام على أن نأخذ ما يتفق مع فكرنا ونصهره في بوتقتنا لا أن ننصهر نحن في بوتقة الغير .

إن أسلمة المعرفة هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للمعـــارف وقواعدهـــا وقوانينها يمثل فيها " الوحى " المصدر الأساسي والأصيل لمصادر المعرفة وإعـــــادة فهم المعرفة على إنها معطى إلهي للإنسان لتمكينه من مهمته فى الخلاقة والعمرانية.

إن إعادة الارتباط بين المعرفة والقيم الإلهية يستدعي رد الاعتبـــار للوحـــى كمصدر أساسي من مصادر المعرفة.

٢٣- أســلمة المعرفـــة

يقول الدكتور طه جابر العلوانى :

إن أسلمة المعرفة تمثل إحدى الخيارات العلمية والعمليـــة في التعـــامل مـــع الصحوة الإسلامية بعيدا عن التحمس الأجوف أو التعاطف المسطح.

أسلمة المعرفة تمثل جانبا من الجوانب الإسلامية فالإســـلام هـــو الإطـــار الحضاري الشامل للفرد والمجتمع ، للفكر والعمل ، للتعليم والممارســـة، للراعـــى والرعية معا، للدنيا والآخرة.

أسلمة المعرفة المقصود بها أن تواكب قدرة العقل المسلم على التعـــرف إلي حاجات الأمة والتحديات التي تواجهها.

وذلك بتقديم المناهج الفكرية والحضارية اللازمة لبناء الأمة بكل أنظمتـــها فالأمة لا تنقصها الإمكانيات البشرية ولا المادية ولكن تحتاج إلي منهج متكـــامل ورؤية واضحة تسير على هداها وتسعى إلي تحقيقها فالمعرفة الإسلامية ليست قمما وغايات وتأملات فردية أو تراثا فقط ولكنها وسيلة لتكوين عقلية علمية منهجية في كافة مجالات العلم والمعرفة الاجتماعية والإنسانية والطبيعية والتطبيقية.

* العمل الذي نرمى إليه له هدفان :

الأول : العمل على إصلاح مناهج الفكر العربي المسلم المعاصر وذلك بالوصول إلي منهجية إسلامية مستلهمة من مصادر الإسلام الأساسية (القرآن والسنة) ومستمدة من نموذج الصدر الأول للإسلام باعتباره نموذجا استطاع أن يحول هذه المنهجية إلي نظام عملي .

الثاني : تحقيق أسلمة المعرفة والعلوم وتأتي أسلمة المعرفة كوسيلة لتحقيق الهدف الأول.

والسؤال هو : هل هناك معرفة إسلامية ومعرفة غير إسلامية على أساس أن العلم لا دين له.

إن القول بأن العلم لا دين له أو إنكار أن هناك معرفة إسلامية وأخري غير إسلامية فنعم هناك معرفة إسلامية ومناهج يجب على المسلمين إقامتها لا يجاد فكر إسلامي وتحقيق غايات الإسلام في الحياة والإسهام في بناء حضارة تتجمع فيها إسلامية المنبع والهدف والوسائل والأثر.

إن الطريق إلي إسلامية العلوم يستوجب المرور بمرحلتين

- إتقان العلوم الحديثة والتمكن من التراث الإسلامي :-

- التمكن من القدرات والمعلومات التي أفرزتها الحضارة الإنسانية حتى اليوم وهذا يمدهم بالمناهج المطلوبة لإقامة قاعدة فكرهم الإنساني وتأصيله في الجوانب الحياتية والاجتماعية.

- كما يجب على الدراسيين أن يتمكنوا من التراث الإسلامي المستمد من أصوله الأساسية (القرآن والسنة) ويتحقق ذلك باستخلاص المختارات التراثية في مختلف العلوم وتحليلها حتى يتمكن الباحثون من فهم أفضل لرؤية السلف وكيف حولوا هذه الرؤية إلي مفاهيم انعكست في أقوالهم وسلوكهم.

- أما المرحلة الثانية فتتم في خطوتين :

الأولي – تحديد المشاكل الهامة

الثانية – الإبداع والمبادرة الإسلامية

ضرورة تحديد القضايا التي يهدف إلي مواجهتها (مشاكل الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) هذه القضايا ليست في الحقيقة إلا نتيجة لمـــرض الأمـــة الكامن وهو عدم وضوح الرؤيا الإسلامية المعاصرة وضمور أسس الفكر الإسلامي وتدهور مناهجه، إن العقل المسلم رغم تخلفه الحضاري اليوم مطالب بـــالتصدي ليس فقط للمشاكل التي تواجه العالم الإسلامي بل للمشاكل التي تواجـــه العـــالم أجمع .

– *الإسلام يحدد منهجا متميزا في تحصيل المعرفة*

يقول الدكتور عبد الهادى أبو ريدة

لقد حدد الإسلام منهجا متميزا في تحصيل المعرفة يوفق بين نوعين من العلم

– ***العلم الأول***: حيث اقتضت إرادة الله أن يجعل رسالة الإنســـان علـــى الأرض فعرض عليه الموجودات كلها وعلمه أسمائها وبذلك رفعه عن الملائكة والجن

العلم الثاني : وهو العلم الكسبي التفضيلي الذي أمد به الإنسان بعد مجيئـــه إلي الأرض فالله تبارك وتعالى علم الإنسان أولا ثم أعطاه علما في الأرض ووضعه في الكون بمثابة المدرسة التي يتعلم فيها علمين : العلم الإلهي والعلم بـــالكون ، إن مدار القرآن كله هو الحق فيه عشق المسلمون الحق وتطبعت به عقول علمائـــهم مشيرا إلي قول ابن الهيثم (الحق مطلوب لذاته قيمة ضخمة) وكل مطلوب لذاته لا يعنى طالبه غير وجوده .

توضح هذه المقولة الخلق العلمي الذي رسمه القرآن الكريم فاليقين هو غايـــة الحق أو العلم.

معيار العلم اليقيني الذي قدمه الأمام الغزالى قبل ديكارت بخمسمائة ســـنة والذي يشمل ثلاث درجات هي عين اليقين، وحق اليقين والتحقق من اليقين

قال : أن المنهج في القرآن الكريم استقرائي حيث يقول الحق تبارك وتعالى { **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** }إذ أن الآيـــة تدعـــو إلي الاستقراء على مستوى الطبيعة والكون بالملاحظة والتجربة.

إن ما يدرس من مفاهيم ونظريات المعرفة في الجامعات حاليا بعيد عن الرؤية الإسلامية حيث يسير العلم الآن في خدمة الحياة وليس في خدمة الحق وإن العلماء المسلمين الأوائل قد أبدعوا مناهج البحـــث في العلـــوم النظريـــة (الاجتماعيـــة والإنسانية) مشيرا إلي مقدمة ابن خلدون (في العلوم الطبيعية) ومشيرا إلي كتب ابن الهيثم وابن سينا التي ظلت حتى القرن الثامن عشر بمثابة المثل الأعلى للبحث العلمي في أوربا.

٢٤ – *العقلانيـــة*

ما معنى أن الإسلام دين العقل :

معناه أن الإسلام يجمع بين العقل والوحى ويجعل العقل نوره مستمد مـــن الوحى وهي (حقيقة) كاملة لا تتفرق يربط فيها الإسلام بين الثوابت والمتغيرات، وبين الروح والمادة والدنيا والآخرة.

أما العقلانية الغربية المفردة المادية التي لا ترتبط بالقيم المعنوية فهذه لا يقرها الإسلام ولا يقبلها فليس الإسلام نتاج عقلى محض شأنه شأن المذاهب البشرية.

والإسلام لا يقبل تقديم العقل على النص كما لا يقبل فكرة تقديس العقـــل البشرى أو تأليهه فنحن المسلمون نقدم الوحى على العقل ونري أن الوحى سابق للعقل وعلى العقل أن ينظم خطواته لكى ينسجم مع الوحى إن دور العقل هو أن

ينسجم مع الدين وليس دور الدين أن ينسجم مع العقل فالإسلام هو الدين الذي لم تدخله أهواء البشرية وقد سبقت دائرة الوحى التى سبقت العقل عندما علم الله وتبارك وتعالى أدم الأسماء كلها، فضلا عن مجال القدرة الذاتية التى جعلت من العقل طاقة واحدة من طاقات الوحى في جزئيات من أجزاء الواقع سمح له بها الوحى نفسه.

وقد وقف العقل عن ارتياد الدوائر العظمى و لم يستطع أن يخرج إلا قليلا من جاذبية غرائزه و لم يكن خروجه إلا بواسطة الوحى وقد جعل الإسلام العقل مرشدا وقاضيا كما جعله مناط التكليف وقد جاءت معجزة الإسلام ورسوله عقلانية بعد أن كانت معجزات رسل الرسالات السابقة عليه خوارق مادية، ولكن الإسلام لم يجعل العقل هو الحكم في كل الأمور على النحو الذى يدعو إليه الفكر الغربى ولا شك في أن نظرة المسلمين أشد عمقا وأكثر أصالة، لأن المسلمين هم الذين صنعوا المنهج التجريبى الذى هو أساس العلم في الحضارة الإنسانية كلها والذى مازال قائما حتى اليوم وهذا يكذب مقولة الغربيين في أن العرب المسلمين لم يكونوا أكثر من نقلة ومستوردين، ذلك أن فكر اليونان والفرس والهنود الذي سبق الإسلام لم يكن علميا أو عقلانيا.

وإنما جاء التجريب والعلم الحديث من الإسلام ومن القرآن أساسا وقد أكد علماء الإسلام أن العقل الإنساني ملكة تقوم على أساس الوحى.

فلم تكن الحضارة الإسلامية نقلا من الغرب و لم يكن العرب والمسلمون نقلة وبهذا المفهوم الإسلامي الجامع بين العقل والوحى نشأت تلك الركيزة التي اتسع نطاقها فشمل العالم كله وقد تبين أن ترجمة فكر اليونان إلى لغتنا العربية لم يكن مصدر هذا المنهج العلمي، وقد كانت ترجمة فكر اليونان ومحاولة ربطه

بالإسلام مخطط وضعه الزنادقة و الملاحدة وأرادوا به السيطرة على أصالة الإسلام وما يزالون حتى اليوم يدعون إلي العودة إليه.

ويقرر الدكتور محمد عمارة في بحث مستفيض هذه الحقائق :

١- أن التيار العقلاني في الحضارة الإسلامية قد سبق في النشـــأة حركـــة الترجمة من اليونان

٢- إن القرآن الكريم قد قرر مفهوم (البرهان) الذي هو قاعدة العقلانيـــة وكان المنطلق الأول لفكر التجريب

٣- تميزت عقلانية الحضارة الإسلامية عن الحضارة اليونانيـــة القديمـــة إذ جمعت بين النقل والعقل، ومعنى النقل هو الوحي وقد جمعت بين ظواهر النـــص وبراهين العقل فلم تقف حضارتنا مع النقل ضد العقل كما أنها لم تصنع النقيض وإنما اعتدلت فجمعت بينهما وتوسطت فوازنت بين ماعداه الآخرون تناقضات لا يمكن الجمع بينها .

٤- اللاهوت في المسيحية الأوربية لم يتأسس على البراهين العقلية إنما على ما يكفى القلب من الإيمان ومكان العقل منها دورة تالية لمرحلة التأسيس.

٥- القرآن الكريم معجزة عقلية تتوجه إلي العقل ويحتكم إليه وتجعله منـــاط التكليف بل ومعيار إنسانية الإنسان

(مع التصرف)

٢٥ - الإعــــــلام

يتمثل الإعلام في وسائل التبليغ المكتوبة والمسموعة والأخبار ولكل أمـــة إعلامها المستمد من قيمها وعقيدتها ، ولكن الأمم القوية أصبحت تملك وســـائل قادرة على النفاذ والسيطرة على بلاد الإسلام وفرض مفاهيمها ووجهة نظرها في الأمور.

ونحن في حاجة إلي حصانة قوية تجعلنا قادرين علـــى الصمـــود في وجـــه المقولات التي تعارض مفهوم الإسلام والارتفاع على الأهواء التي يحاول الإعـــلام العالمي فرضه علينا.

بل إن الإعلام العالمي اليوم قد استطاع أن يقتحم وســـائل وأدوات البـــث الخاصة بنا كعرب ومسلمين وأن يطرح المفاهيم التي تتعارض مع قيمنا الأخلاقيـــة والاجتماعية وذلك من خلال المسلسلات والمسرحيات والفن والغناء وذلـــك في محاولة لاحتوائنا في دائرة ما يسمونه الفكر العالمي أو الحضارة العالمية.

وترمى هذه المحاولات إلي تدمير الحصانة الأخلاقيـــة والنفســـية لمجتمعنـــا الإسلامي وترويج مفاهيم التحلل والكشف فالتحلل الخلقي بضاعـــة يصدرهـــا الغرب لتخريب العالم الإسلامي من الداخل وتقوم علـــى تقديمـــها مؤسســـات متخصصة في إنتاج المفاسد المكتوبة والمصورة والمسموعة وكلها مؤسسات تحقـــق أرباحا طائلة وهذه المخططات كما يقول أحد الباحثين - ترسمها دول متقدمـــة وتحرص على تنفيذها بمكر ومهارة بغية تفريغ عقـــول النـــاس في أقطـــار العـــالم الإسلامي من محتواها.

أضف إلي ذلك ما تقدمه وكالات الأنباء الكبرى التي ما فتئت تســـعى إلي احتكار موارد الخبر ومساربه لتصوغه على هواها ثم تذيعه في جهات العالم الأربع مصبوغا باللون الذي تريده .

ذلك أن فى العالم قوما مدسوسين في الأقطار المتقدمة والمتـــأخرة غايتـــهم تخريب الأخلاق وإفساد الذمم وتقريب الإثم والفجور إلي نفوس العامة والخاصة في جميع أركان الدنيا بدافع الحقد والمكر.

هذا الصنف له دستور مكتوب يسمى (بروتوكولات حكماء صـــهيون) والذين يعملون على تنفيذه هم الذين يملكون مؤسسات التحليل الإعلامي المبثوثة في أقطار الأرض وهم يعملون تحت ستار قوانين الحريات العامة وحقوق الإنسان وديمقراطية الشعوب ومن هنا فهم يستخدمون وسائل الإعلام استخداما يتعارض مع قيم ديننا ومع قواعد الأخلاق والمروءة .

ويقوم عملهم على المماحكات الكلامية والمنابذات اللفظية التي يغلب عليها السباب الفاحش والحقد الأعمى.

وقد وضعت الشريعة الإسلامية لميدان الإعلام ولغيره قواعد ثابتة أحلت ما أحلت وحرمت ما حرمت .(قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) . من أجل هذا نحـــن في حاجة إلي أسلمة الإعلام وإلى تحريره من التبعية للفكر الغربى الوافد.

فهدف الإعلام الإسلامي الأساسي هو العمل على تماسك الأمة الإسلامية والالتزام بالقيم الإسلامية. أما هدفه التوجيهي فهوا إلقاء الضوء على كل جديـــد وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه.

وفي الإسلام يتقرر تكامل القيم :

الربط بين الدين والعلم ، وبين الدين والأخلاق ، وبين الدين ومعطيـــات الحضارة الحديثة، والربط بين الفكرة والتطبيق ويجمع الإسلام بين الوطنية والقومية في دائرته المرنة الجامعة ويعلن تميزه عن الديمقراطية وعن الاشتراكية.

ويقرر أن الشورى ليست هي الديمقراطية وأن العدل الاجتماعي ليس هـــو الاشتراكية وإن كانت هناك بعض تشابه.

غير أن الإسلام دين رباني عالمي إنساني وهذه مذاهـــب بشريـــة محـــدودة بقصورها وسيئاتها وقد ثبت فشلها وعجزها عن العطاء وقد سبقها الإسلام أساسا وما يزال قادرا على عطاء المجتمعات التي انهارت فيها الأيدلوجيات المادية.

ويتحدث الدكتور عبد القادر طاش عن التحكم الاستعماري في الإعـــلام العالمي فيقول: إن وكالات الأنباء الغربية لا تخصص لأخبار الدول الإســـلامية أكثر من ٢٠ إلى ٣٠ في المائة من تغطيتها بالرغم من أن أهلها يمثلون ثلث سكان العالم وبينما يملكون معظم الوكالات تعجز الدول الإسلامية عن امتلاك وكالات أنباء فعالة.

ومن هنا فإن هذه الوكالات تشوه أخبار العالم الإسلامي بكثير من الـــدس والتحريف. أما الصحافة العربية فهي تحاول إشباع نهم قرائها إلي أخبار الجرائـــم والاضطرابات والكوارث دون مراعاة للآثار السلبية التي تتركها هذه النوعية مـــن الأخبار في تشويه الواقع وتضليل الناس.

وتمتد هذه السيطرة الغربية على الإذاعة والتلفزيون والسينما وتستخدم هذه السيطرة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسخر هذه الســـيطرة لتحقيـــق أهدافها التوسعية لغزو أفكار الشعوب المستضعفة وإضعاف شخصيتها وتخريـــب ثقافتها وأبعادها بشتى الوسائل عن الاهتداء إلي شخصيتها المســـتقلة والاعـــتزاز بحضارتها المتميزة.

وهكذا تتمثل علاقة الشعوب الإسلامية بالقوى الغربية في علاقة الضعفـــاء بالأقوياء والأتباع بالمتبوعين وعلى الشعـــوب الإســـلامية مواجهـــة التحديـــات الحضارية. (انتهى بتصرف)

٢٦ - حول علم اجتماع عربي (إسلامي)

للمسلمين علم اجتماع أصيل مرتبط بالقرآن والسنة والقيم الإسلامية ويرتبط بالحضارة وبالخلفية العقائدية التي ينتمي إليها ويحقق أصالته.

يقول الباحث : لكي يتحقق المشروع الحضاري الإسلامي أخذ بعين الاعتبار المستجدات الطارئة على المستوى المعرفي أو المنهجي هذه العلوم برزت وتطورت في غياب الأمة الإسلامية .

إن الفكر الغربي يحمل أفكارا جاهرة وآليات معقدة لتهميش الدين كوحي وطرحه كظاهرة.

ومن هنا فإن هذا الفصل بين العقل والوحي والعلم والأخلاق هو جوهر الخلاف بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي .

إن للصراع التاريخي بين الكنيسة كمرجعية مقدسة والعقل الذي يكون عداء بين الواجهتين مما جعل الطرف الثاني يقصر على أطروحات وتصورات جديدة أهمها : أن الوجود ينحصر في الإنسان واللاهوت والطبيعة، والعقل وحده طريق المعرفة بشقيها الطبيعي والإنساني، ومن ثم فإن الإنسان- عندهم - حيوان اجتماعي يحمل بين جنبيه نفساً تتحكم فيها مجموعة من الغرائز، و أمام هذا التصور المادي الصرف يظهر التصور الإسلامي ليعلن أن الإنسان والكون يبتدئ كلاهما من الله تبارك وتعالى وينتهي إليه سبحانه.

وأن الطبيعة تخضع لسنن مطردة وأن الوصول إلي الحقيقة يعتمد على العقل والوحي.

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية (الغربية) ترتبط بنمط حضاري مهمين واستعماري. والمستعمرات حقل خصيب لنمو هذه العلوم حفاظا على المركز

والذات المهيمنة و اختلاف الغرب حول هده العلوم وقبولها وعدم قبولهـــا ضمن تطبيقات العلوم الأخرى

ويقرر الغرب اختلافا كبيرا بـــين العلـــوم الطبيعيـــة والعلـــوم الإنســـانية والاجتماعية.

وهناك الشك في أن التطور الاجتماعى كالتطور البيولوجى وقـــد اخضـــع فرويد الإنسان لقوة (اللبيدو)

ولاشك في أن الأمم غير الأوربية تملك علوما أن لم تقل تفوقا عما وصـــل إليه الغرب اليوم.

ومن هنا فقد كان لابد للمسلمين من بديل هـــذا البديـــل ينطلـــق مـــن استراتيجية العودة إلي الذات باعتبار أن للتاريخ الإسلامي موروث هـــائل مـــن التراكمات التي شكلت الشخصية العربية.

وقد أسس علم الاجتماع الإسلامي في القرارات الاجتماعية للتراث العربى، إنه التراث الذي سيعود إليه علماء الاجتماع العربى هو التراث الذي خلقه العلماء الإسلاميون الذى لم يكن له صلة بالقومية بالمعنى المعاصر.

و لم يكن التراث الاجتماعي مستقلا فكرا ومنهجا عن التـــأثر الإســـلامي (جهود الجاحظ والغزالى وابن خلدون)

ومن أجل إقامة تصور لعلم الاجتماع الإسلامى لابد من العودة إلي منـــابع الفكر الإسلامى الأصيل الذي يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية في :

(١) إشارته إلي الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية

(٢) إشارته إلي الطبيعة الاجتماعية والإنسانية

(٣) إشارته إلي قوانين الظواهر الاجتماعية وسنن الله في المجتمع

٢٧-الثقافة ليست عالمية

تعددت الوسائل والأدوات والمؤسسات التي وجهها النفوذ الغربي إلي أفـــق الفكر الإسلامي - وبخاصة مجال التعليم والتربية باعتبار أن التعلم هوأقوى وسائل تكوين العقل العربي الإسلامي وتهدف المخططات الجديدة التي تقوم بها مؤسسات وافده إلي ما يسمى (التعليم من أجل السلام) على نحو يعمل على تقبـــل وجـــود إسرائيل فى قلب الوطن الإسلامى والانصهار فيما يسمى بالوحدة العالمية : الوحدة الثقافية أو الوحدة الحضارية في مخطط خطير يعمل على تدمير الثوابت الإســـلامية والقضاء على الحقائق الإسلامية والعربية ونبذ المقاومـــة وإشاعـــة روح التســـليم والاستسلام وتعد اليونسكو من بين هذه المؤسســـات حيـــث تهـــدف مفـــاهيم اليونسكو إلي هذا المطلب حيث تعمل على فرض مفاهيمها في التعليم واحتضـــان دول إسلامية وعربية كبرى بدعوى أن التعليم هو مفتاح التقدم والتطـــور وهـــو الشرط الذي لا مناص منه لازدهار المجتمعات الإنسانية بعد انتهاء الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الشرقى وانتهاء المواجهة بين المعسكرين وفرض مفـــاهيم عالميـــة الحضارة والثقافة على الدول العربية.

والواقع أن الفكر الإسلامي قد أعلن منذ أكثر من أربعين عاما أن الثقافـــة ليست عالمية وأنها قومية تقوم على أساس العقيدة والثقافة واللغـــة والقيـــم الـــتي تشكلها العقيدة ولما كانت الدول العربية كلها هي جزء مـــن الأمـــة الإســـلامية وانتماؤها هو الإسلام وهو هويتها فمن هنا كان تميزها بثقافة مختلفة عـــن ثقافـــة الغرب ولقد كان الفكر الإسلامي قادراً على إقامة منهجه الثقافي حول العقيـــدة الإسلامية والتاريخ.

ومن هنا تجري تلك المحاولة الخطيرة لحجب جوانب أساسية مـــن مفـــهوم العقيدة ومن التاريخ الإسلامي في محاولة لتقبل مفاهيم الغـــرب والصهيونيـــة وفي مقدمتها العلمانية والحداثة والتنوير وكلها مفاهيم باطلة وزائفة.

يجري ذلك إزاء إلغاء مناهج العقيدة ومواقف التاريخ الـــتي هـــي أشـــرف صفحات تاريخ الإسلام في مقاومة التتار والصليبيين والاستعمار الغربي والصهيونى وتقبل روح الاستسلام وروح الانصهار في الحضارة الغربية وفكرها ومنهجها بمـــا يقضى على التميز الإسلامى والذاتية الخاصة .

ومن أخطر ما تتبعه هذه المؤسسات في عالم الإسلام : إحياء تراث البـــلاد الإسلامية قبل الإسلام (إحياء تراث فارس والمجوس والزنوجة والفرعونية والبابلية والفينيقية وإقامة مهرجان باسم حورس والطوطم وجلجامش وزيوس وادونيس) وإحياء تراث الأساطير القديمة وتقديمه من جديد في صور من المســـرح والدرامـــا وإحياء النار القديمة في مهرجانات الرياضة والرقص والغناء الخليع.

كل هذا من أجل خداع الشباب المسلم المعاصر وصرفه عن قيم الإســـلام بكتابات بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وادونيس، فضلا عـــن وضـــع اطروحات عن مانى ومزدك والقرامطة بوصفهم دعاة العدل الاجتماعي - هذا إلى جانب كتابات جديدة حول وحدة الوجود والحلول والاتحاد وإحياء ابن عـــربى والحلاج وابن سبعين، وفي بعض البلاد العربية تقدم تاريخ هذه المرحلـــة الســـابقة للإسلام في أضعاف تاريخ الإسلام مع أن الحقيقة التاريخية المؤكدة : أن الإســـلام جاء ليجب ما قبله وأن كل الأديان التي سبقته كانت مقدمة له وأن هناك حاجزا تاريخيا أصيلا بين الإسلام وما قبله.

هناك هذا التحدى الخطير : "المعاصرة"

وهل يمكن أن تنفصل عن الأصول الأصيلة التي رسمها القـــرآن والإســـلام أساسا، لست أدرى إلى أى حد يراد الفصل بين العصر وبين الميراث الإســـلامي الذي تشكلت عليه هذه الأمة منذ أربعة عشر قرنا وما استتبعه من رواسى للحياة الفكرية الإسلامية :

(الفصحى لغة القرآن + التاريخ + التراث)

ولكل من هذه العناصر صلة بالمعاصرة لها جذورها المضبوطة التي لا تحـــول دون التقدم والحركة على طريق العصور ومتغيراتها، ولقد كان الإســـلام منـــهجا ربانيا مرنا واسع الأفق قادرا على العطاء تمكنا من عمليتي الوسطية والتـــوازن في إطار سمح كريم هو "الثوابت والمتغيرات" وإني أرى أن الحملة الضخمة التي تحمل طابع الظلم والقسوة إنما تريد أن تخرج المسلمين من دائرة عقيدتهم وثوابت إيمانهم وهو ما لا يمكن أن يحدث.

إنها محاولات العلمانين والتغريبين والماركسين وغيرهم في محاولـــة فاشلـــة، تداور كل المواقع والمواقف، فهم يتحدثون عن البنيويـــة والتفكيكيـــة ويحـــاولون الادعاء بان التحديث فاصل عن الأصول وأن التحديث يقضى على القديم والدين والغيب والوحى.

وإذا كان الغرب قد فعل ذلك – وهو لم يفعل وإنما ربط نفسه في النهضـــة التي قام بها والحضارة التي أنشأها للمصادر السابقة : اليونانية والرومانية والمسيحية – فلماذا لا يطلب إلينا الانفصال عن رابطة المعاصرة بالأصالة وعلاقـــة القـــديم بالجديد ورابطة الثوابت والمتغيران ويعمل الفكر الغربى الوافد (تحت ستار التبشـــير والاستشراق والتغريب) من أجل احتواء الفكر الإسلامى والحيلولة دون امتلاك

إرادته على المجتمع الإسلامى، وبين ذلك في عده مواقع منها خضوع نظم التعليـــم للمناهج الغربية وهي تمثل الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، كما جـــرت المحاولات العديدة للهجوم على اللغة العربية وانتقاصها محاربة في الأساس للقـــرآن الكريم .

وجاءت بعد ذلك موجات السيطرة بالنظم الوضعية : كالقومية والماركسية وفرض مفاهيم العلوم الاجتماعية (علوم النفس والأخلاق والاجتمـــاع) علـــى أسلوب العيش الإسلامي.

وقد حاول الفكر الماركسى احتواء الفكر البشرى وتحويله نحـــو الماديـــة، وتدمير النفس الإنسانية وإعلاء العنصرية والقوميات وتأكيد الانشطارية بين الروح والمادة مع إعلاء المادة .

واليوم وقد عجز الغرب وعجزت حضارته عن إقامة مجتمع الأمن والأمـــان الذي يعطى سكينة النفس وطمأنينة القلب بعد أن فصل بـــين الـــروح والمـــادة وسقطت الماركسية سقوطا خطيرا، فلم يبق له إلا أن يثير في المجتمع الإسلامى كل عوامل التمزق والعبث والضياع عن طريق فرض المسرحيات المنحلـــة والأغـــانى الفاسدة والإباحيات تحت اسم الثقافة وهو اسم خادع، ذلك أن هذه الفنـــون خادعة أساسا و لم يقبلها الإسلام ونجد أن الغرب يضع اليوم خطة جديدة - بعـــد فشل عشرات الخطط لإثارة الشبهات حول القوى الأساسية للإسلام.

وفي مقدمتها محاربة القرآن وتاريخ الإسلام واللغة العربية والرسول صلـــى الله عليه وسلم.

وكما سقطت المؤامرات المتوالية خلال قرنين كاملين ستسقط هذه المؤامرة فقد استيقظ المسلمون و لم يخدعهم بريق اسم المعاصرة أو التقدم أو التحديـــث أو

التنوير ويجب إلا تخدعنا الأسماء البراقة فنحن طلاب أصالة تكون فينا بمثابة الإطار الثابت والحجاب الحاجز نتحرك من داخله إلي المعاصرة والتقدم.

إن قيمنا القرآنية الإسلامية هي الأعمدة الثابتة التي يقوم عليها البناء وهي التي تحقق لنا الانتقال من دائرة الغزو الثقافي والتغريب إلي دائرة بناء البدائل وأسلمة العلوم والمصطلحات وصولا إلي مناهجنا الأصيلة ومنابعها الثرية الخالدة.

٢٩- *العالم المواجه*

هذا العالم الوهمى القائم على المسرحية والقصة كما ابتدعه اليونانيين تحت اسم (المحاكاة) ليس مقبولا كلية في مفهوم الإسلام لأنه خادع وفاتح لأبواب من الشر لا حد لها تحت اسم علاج قضايا المجتمع وهو غريب عنا ونحن غرباء عنه، فشخصياته امرأة منحلة وشاب متهور ولص منحرف.

كانت وجهة المسرح علاج القضايا أو الترويح عن النفس ولكن القوى المدمرة استطاعت احتواءه وتوجيهه وجهة خطيرة تعمل على تحطيم الأخلاق وتدمير القيم تحت اسم الترفيه في محاولة للإضحاك الغبي المتهور.

وقد استغل أصحاب الدعوات الماركسية والوجودية والعلمانية اتخاذ المسرحية والقصة وسيلة للدعاية لمذاهبهم ونشر سمومهم بوصفها أقرب دخولا إلي نفوس الطبقات المختلفة وبديلا عن الأبحاث الفلسفية الشاقة وهي حين تهدم المجتمع والقيم الاجتماعية وعلاقات الأباء والأبناء وعلاقات المرأة والرجل فإنها تحمل طابع التشاؤم والحقد والخلاف والصراع والتطاحن وهى أبرز مظاهر القصة والتي يسمونها (الدراما) فليس في القصة أو المسرحية أى مجال للخير أو السماحة أو قبول قضاء الله أو الرضا بواقع الحياة ولكنها كلها حسد وشماتة وصراع .

بل إنها تعطى الكاتب حرية مرفوضة لتغيير الشخصيات والوقائع التاريخية من أجل هواه وهدفه المبيت.

وهي تدمر اللغة الفصحى وتفرض العاميات ، وحوارها يقوم على أحط الألفاظ وأقذرها، حيث تخرج الكلمات عن الذوق العام، فضلا عن النكات الهابطة.

ويجرى تقديم الجنس فيها على نحو تعف عنه النفوس الكريمة ، ولست أدرى ماذا يكون الموقف إزاء هذا السيل الجارف من المسرحيات الخليعة المدمرة.

وهكذا ترى المسرح يعمل على دغدغة الحواس والنكات المبتذلة فضلا عن الرقص المكشوف والعبارات المغضوحة والإيحاءات المثيرة.

ولا ريب في تأثير هذه الأخطار على عالم الطفل وعالم الشباب وعالم المرأة ومن أهم المحاذير النقل من المسرح الغربي مع اختلاف الوجهة والثقافة والعقيدة.

يقول أحد الدراسيين إن الرياح التي تهب علينا من هناك تفضح أجواء آسنة تتخبط فيها الأسرة الغربية، وذلك بالإقبال إلي حد الشره على استنزاف الذات باستهلاك المخدرات والسقوط في حمأة الجنس الرخيص والتفسخ في الأخلاق ونسف المبادئ المتعارف عليها في المجتمع باسم الحرية والمساواة وباسم استعادة المرأة لحريتها ومكانها وشخصيتها.

وقد استغلت أجهزة الإعلام في الغرب الجوانب الاستعراضية لتقدم من انتفاضة المرأة لقمة سائغة للرأسمالية لتديرها على حسابها مع دغدغة عواطف المرأة الرخيصة الضحية الأولى في هذه المعركة : الموضة ، دور الأزياء لترويج بضاعتها في الأسواق والمرأة فيها لا تساوي سوي جسد يأتي للكشف تارة عن ركبته من أعلى أو أسفل وتارة عن نهديه وأخرى عن بطنه وظهره.

كذلك فقد شوهت السينما العلاقة الطبيعية بين الرجل والمـــرأة وجعلـــت الشذوذ يسود هذه العلاقة وتخصصت أفلام في العرى وعـــرض مبـــاذل الجنـــس الحيوانية وتخصصت أخرى في الإثارة وتحريك الشهوات المادية و لم يعـــد هنـــاك شريط جاد يخلو من مشاهد جنسية مثيرة.

وكذلك المجلات في الغرب تتحدث عن الحب الجنسي وكثيرا ما تقودهـــا نساء مشهورات في المجتمع ثارت عن تحجيم دورها في الإنجاب وأصبحت تبحث عن اللذة مثل الرجل وساعدها وسائل منع الحمل الحديثة فتعاطت التجربة وهي في المدرسة واتضح من إحصاء أخير في العواصم الأوربية أن ٩٠ في المائة من الصبيات في السلك الأول من الثانوى جربن الجنس مع الرجل و لم يعد الحديث يدور حول البكارة إلا من قبيل التهكم وأصبح الزواج مؤسسة مشوهة بل غير سليمة .

وهناك نوادي للعراة للجنسين واللقاءات الجنسية الجماعية ويحاول بعـــض ذوى الأغراض نقل هذه الصورة الكريهة إلي مجتمعات المسلمين وتسهم في هـــذا هيئات وجمعيات تستمد مواردها من الصهيونية العالمية.

ويقال أن وراء ذلك كله : الإنفاق الاستهلاكي لحساب الرأسمالية ولكنـــا تعرف من قراءة نصوص بروتوكولات صهيون أن الصهيونية العالمية تهـــدف إلي تدمير الجوييم (وهم ماسوى اليهود) من الأجناس.

وتغزو الأسواق في البلاد الإسلامية اليوم عدد كبير من الأفلام الرخيصة التي تدعو إلي الدعارة.

وهذه المسرحيات في مجموعها تهدف إلي تقويض المجتمع وتدعو إلي اللهو و المجون، والمسلسلات تدعو إلي تصوير الحياة بصورة الصـــراع ومعظـــم هـــذه المسلسلات والمسرحيات التي تعرض في بلادنا مأخوذة من روايات عالمية لمؤلفـــين يهود (ومؤسسي السينما والمسرح في البلاد الإسلامية هم من أصل يهودي)

وهي ترمى إلي تدمير المرأة المسلمة والشاب المسلم والبيت المسلم ونحن إذا تصفحنا الصحف والمجلات العربية سنجد أن ٩٠ في المائة منها هي أخبار النجوم من الممثلات في تفاصيلها اليومية مع أخبار المودة والموديلات وأنواع المكياج بينما لا تحمل من الثقافة إلا خيطا صغيرا.

وهكذا يجرى التصور على أن هؤلاء النجوم هم المثل الأعلى للمرأة وبذلك تدمر المرأة المسلمة تماما حيث تركز الأفلام على جسد المرأة فقط وليس على وجدالها وكأن المرأة دمية أو لعبة يسخرها المخرج لأغراضه في الإغراء والإثارة، وكأنها أنثى فقط مهمتها الوحيدة إمتاع الرجل وكأنه ليس للمرأة مهمة أكبر من ذلك بكثير وهي بناء الأسرة وحماية الأجيال وصناعة الرجال.

أما اشتغال المرأة المسلمة بالفن فإنه يشتمل على منكرات محرمة منها ظهورها في أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها ومنها الاشتراك مع الرجال في التمثيل كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ومنها غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها وسيلة إلي المحرم ذاته .

وهكذا نجد أن عالم المواجه هذا خطير جدا وللإسلام منه موقف واضح.

٣٠- نظرية القيم في مفهوم الإسلام

يقرر الدكتور محمد هاشم ريان أن مفهوم الإسلام للقيم أنها مستقلة عن ميول الإنسان وأهوائه ومصالحه الظاهرية وتتصف بالثبات والرسوخ.

والقيم في الإسلام ليست مرهونة بأذواق الناس وعاداتهم ولا يحددها النمط الثقافي أو الحضاري السائد في المجتمع ولكن يحددها الشرع فهي جميعا شرعية وليست مقسمة إلي قيم ثقافية وأخري اجتماعية، ذلك لأن الحسن في ظل النظرة الإسلامية هو ما حسنه الشرع والقبيح هو ما قبحه الشرع وإن خفي حسنه أو قبحه أما إذا كانت القيم مرتبطة مع ميل الإنسان وهواه - كما هو في الحضارات المادية - فتكون تبعا لذلك متغيرة متبدلة تدور مع مصلحة الإنسان فتسودها قاعدة (الغاية تبرر الواسطة) ليكون للشيء قيمة إذا جلب نفعا للإنسان ولا يكون له قيمة إذا لم يجلب نفعا ماديا.

وهذا هو مفهوم البرجماتية أو نظرية الذرائع التي تسود الحضارة الغربية.

والبرجماتية تنكر وجود سلم متدرج ثابت للقيم وعندها أن أي نشاط تتوقف صلاحيته على مدي تلبيته لحاجة ملحة عند الإنسان وتستند القيم إلي الله تبارك وتعالى الذي حددها في شرعه ليوجه سلوك الإنسان وهي ليست مرجعا يرجع إليها المسلم في موقف التكليف بل هي معايير للأعمال وغايات تكمن وراء القيام بها في الحياة فهى نتائج أفعال الإنسان ولذلك لا يرجع إليها ليستمد منها أحكاما لمعالجة مشكلاته بل يعود إلي النصوص الشرعية فهي مصدر الأحكام .

وتنقسم القيم الإسلامية إلي أربع قيم .

(١) قيم مادية (٢) قيم إنسانية (٣) قيم روحية (٤) قيم أخلاقية

أما القيم المادية فهى من أجل سد حاجات الإنسان وإشباع غرائزه وإدارة شئون الحياة وهي مطلوبة من أجل عمارة الأرض.

أما القيم الإنسانية فهي مرتبطة بالإنسان من أجل خدمة الإنسانية بصفة عامة .

أما القيم الروحية فهي أعمال العبادة التي يقوم بها الإنسان لتنظيم علاقته مع الله تبارك وتعالى (كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد).

أما القيم الأخلاقية فهي حق الخلق في الإسلام وتطبيق النظرية الأخلاقية.

أما الغرب ففي المرحلة المسيحية وفلسفتها المثالية فقد سادت الروحية على غيرها من القيم واحتقرت القيم المادية لأنها مرتبطة بالأرض ودعى الإنسان لكي يكون خيرا إلي الانسلاخ من الحياة والابتعاد عن قيمها المادية ليصل إلي القيم الروحية الموجودة في عالم المثل من الفلسفة اليونانية أو عند الله في النصرانية أى الرهبانية.

وعندما سادت الفلسفات المادية والوجودية والبرجماتية سادت القيم المادية المرتبطة مع الواقع ومع نفع الإنسان المادى وتلاشي تماما التفكير في القيم الروحية والقيم الإنسانية والأخلاقية .

ويختلف مفهوم الإسلام عن مفهوم الفلسفة الغربية في ثبات القيم وفي ثبات الأخلاق بينما يرى الغربيون أن القيم جمعيها نسبية وليست دائمة وإنما تتغير كما تتغير الثقافات والمجتمعات.

وهكذا تحولت أكثر القيم في ظل الفلسفات المادية إلي قيمة واحدة هي القيمة المادية التي سادت السلوك الإنساني.

ومن هنا يظهر أن الإسلام هو النظام الوحيد الذي حرص على تضمين القيم الأربع (المادية – الإنسانية – الروحية – الأخلاقية) في حياة الإنسان بشكل متوازن دون إعلاء قيمة على القيم الأخرى.

أما القيم الأخلاقية فإن الغرب ينظر إليها على أنها من نتاج المجتمع ولذلـــك فهو لا يعترف بثباتها أما في الإسلام فهي جزء من المنظومة الجامعـــة (العقيـــدة – المعاملات – الأخلاق) وأنها ثابتة على مدى الأزمان لا تتغير بتغير العصـــور ولا البيئات.

فالحلال والحرام ثابتان، والحق والباطل ثابتان، والعدل والظلم ثابتان.

أما في الغرب فقد فصلت الكنيسة عن الدولة ومن ثم فصل الدين عن الحياة، والأخلاق التي وضعها أفلاطون في الجمهورية فهي صفات مثالية بعيدة عن واقـــع الحياة وقد ماتت أفكاره لأنها غير قابلة للتطبيق في واقع حياة الإنسان.

أما الإسلام فهو لم يضع للأخلاق نظرية بل جعلها سلوكا مرتبطا بالحياة.

ولقد قدم الدكتور محمد عبد الله دراز دراسة مســـتفيضة عـــن الأخـــلاق الإسلامية وجعل من القرآن الكريم نقطة ارتكازه وهو يناقش الحلول التى جاء بها المفكرون من الشرق والغرب متخذا من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة.

والفكرة الرئيسية التي استمدها من القرآن هي أن الحاسة الخلقيـــة انبعـــاث داخلى فطرى وأن القانون الأخلاقى قد طبع في النفس الإنسانية من نشأتها

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)

فالإنسان العادى يستطيع أن يختار إلي حد ما وفي كل ما يقوم به من أنواع السلوك بين ما هو خير وما هو شر وما هو محايد لا ينفع ولا يضر.

مثلما يعمل في عالم المحسوس بين الجميل والقبيح والمجرد من كل تغير غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فينا ناقص وغير كاف ليس فقط لأنه العادة والوراثة أو أثر البيئة أو المعالجة المباشرة تفسد نورعنا التلقائية بل لعوامل أخرى.

ذلك أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وجد نفسه عاجزا في غالب الأحيان عن أن يقدم في جميع الظروف قاعدة ذات طابع عــــام تســـتأثر باعتراف الجميع.

ومن أجل ذلك بعث الله (تبارك وتعالى) الرسل تضطلـــع بمهمـــة إيقـــاظ الضمائر وإزالة الغشاوة عن النور الفطري الذى أودعه الله فينا فالنور الفطرى يجد ما يكمله من النور الإلهي (نور على نور) ومن هنا فإن هناك حقيقتان :

(الأولى) تكامل العقل والوحى (والثانية) لا مكان للأخلاق بدون العقيدة.

ومعنى ذلك الإيمان بالحقيقة الأخلاقية كحقيقة قائمة بذاتها تسمو على الفرد وتفرض نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ومصالحه ورغباته عن طريـــق النـــداء الداخلي. ولذلك فهو حين يتوقف ويسقط لا ييأس من أنه سيعاود الوقوف علـــى قدميه ومتابعة المسيرة معتمدا على القوة الهائلة التي يستمد منها العون.

فالأخلاق هي التي تضع الضمير الإنساني في وضع متوســـط بـــين المثـــالي والواقعي وتجعله يدمج بينهما .

إن اختلاف الفكر الإسلامي عن الفكر الغربي في نظرية القيم يرجع إلي أن الغرب يقول إن القيم الخلقية والاجتماعية تتغير بتغير الأزمان وبما يحدث للمجتمع البشرى من تغيرات ولكنها لا تتغير دائما للأحسن وأنها قد تتدهور أحيانا.

أما المسلمون فيرون أن القيم الخلقية والاجتماعية من ثوابت القيم الـــتي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. سواء منها القيم الخلقية الفردية وهي التي تتعلق بسلوك الفرد نفسه والقيم الخلقية الاجتماعية هي القيم التي تحكم علاقـــات الفـــرد مـــع الآخرين أو مع المجتمع .

وقد دعا الإسلام إلى غرس قيم الإيمان بالله في الطفل وغرس قيم الانتماء في وجدالهم حتى يشعروا.

الباب الثالث

النظريات المادية الغربية

١- الفكر الغربى
٢- مادية الفكر الغربى
٣- الفلسفة اليونانية
٤- الفلسفة الأوربية المعاصرة
٥- بين الفلسفة والعلم
٦- الإسلام والفلسفة
٧- المسلمون والفكر الهلينى
٨- تأصيل العلوم وأسلمة منهج الطبيعة
٩- تأصيل العلوم الاجتماعية
١٠- انهيار النظام الغربى
١١- التحرر من تبعية الفلسفة المادية
١٢- سقوط نظرية مالتوس
١٣- فساد التصور الفرويدى للنفس الإنسانية
١٤- تهافت نظرية الأحلام الفرويدية
١٥- نظرية التحليل النفسى
١٦- نظرية الصدفة
١٧- الفلسفة النسبية وثوابت الإسلام
١٨- نظرية الجحور السوداء
١٩- نظرية الأخلاق
٢٠- التطور
٢١- التطور وداروين
٢٢- الدعوات الهدامة

١ – الفكر الغربى

قدم الفكر الغربى للمسلمين عدداً من النظريات فى مختلف مجالات الفكر الغربى أهمها:

١– نظرية التطور – دارون

٢– نظرية الجنس – فرويد

٣– نظرية التطور المطلق – سفيسر

٤– مادية التاريخ – ماركس

٥– إلغاء الفطرة والدعوة إلي بشرية الدين – دوركيم

٦– إحياء الأسطورة – فريزر

٧– العنصرية وإعلاء الجنس الأبيض والآرى – جوبنيو

٨– إطلاق الحريات وهدم الضوابط – الوجودية – سارتر

٩– نظرية النسبية الاجتماعية

كل هذه النظريات صدرت عن الأزمة المسيحية المتمثلـــة في (الخطيئـــة)، وأعطتنا مقولات زائفة، فنظرية (الحق والخير والجمال) هي نظرية مستمدة مـــن التثليث المسيحى فالحق هو المنطق، والخير هو الأخلاق والجمال هو الفن.

ونجد بعض الكتاب العرب والمسلمين يرددونها بادعـــاء العصريـــة دون أن يفهموا ما وراءها من خطأ ولو عرفوا لراجعوا أنفسهم.

والواقع أن كل هذه المذاهب التي كونها الفكر الغربى تحت اسم (الفلســـفة المادية)، كان مصدرها إنكار الدين على الطريق الذي رسمتـــه الثـــورة الفرنســـية وحركة التنوير وكتاب الموسوعة (فولتير ديدرو – وروسو) فالتنوير في صراحة تامة هو الإلحاد والعلمانية هي إنكار الدين جملة.

وهكذا لم تعطينا المدرسة الغربية شيئا ذا بال وإذا أعطت فليس عندهـــا إلا مناهج بشرية مشوهة وافدة، لا تمكن من فهم حقيقـــة دور الإنســـان في الحيـــاة ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى أو بناء المجتمع على أصول الثوابت التي جـــاء بها الدين الحق هذا كله يجعلنا نحتاط كثيرا ونحن نقرأ الفكر الغربى، أول عوامـــل الحيطة أن لا نأخذ مقولاته قضايا مسلمة ولا نعتبرها علوما ثابتة الأساس بل هـــي في الحقيقة تصورات بشرية فيها الخطأ وفيها الصواب، وهي عاجزة لأنها مرتبطـــة بعصرها وبيئتها ، وبأنها في الحقيقة ردود فعل وليست أفعالا فهي صالحة في بيئاتها لوقت قصير، ثم يصيبها الاضطراب نتيجة التحولات في المجتمع، أما خارج بيئاتهـــا فهي غير صالحة إطلاقا وكل هذه النظريات توضع في هـــذا المقيـــاس بوصفـــها استجابات فكر بشرى يخطئ ويصيب، مرتبطة بعصر و بيئة، مرهونـــة بـــالأهواء والظروف والأوضاع، ومن هنا كانت فكرة اللهث وراء التغيير التي ينـــادى بهـــا الفكر الغربى لأنه لا يؤمن بالثوابت التي يقدمها الفكر الإسلامي ويجعـــل حركـــة التغيير والتطور من داخلها.

هذا فضلا عن تمزق الإنسان بين النظريتين : حيث تشطر الأيدلوجية الغربية الفكر فتأخذ جانبا منه وتترك جانبا، وتقوم الأيدلوجية الماركسية بأخذ الجـــانب المعاكس.

فالمدرسة الفرويدية الغربية ترى أن الثقافة ثمرة الإنسان أما المدرسة الماركسية فترى أن الثقافة ثمرة المجتمع.

أما الإسلام فهو يجمع بينهما (الإنسان والمجتمع ، الفرد والجماعـــة-) في إطار واحد متكامل.

ومفهوم التكامل الإسلامى يحول دون أزمات البحث حول ما إذا كـــانت الثقافة نظرية في السلوك أو نظرية في المعرفة.

ويتميز الإسلام بالنظرة الجامعة الكلية للإنسان من حيث أنه جماع الروح والمادة.

وهناك مقولة وافدة تقول : إن العصر قد تجاوز الدين وهي مقولة ماسونية أصلا وباطلة على الجملة فان حاجة البشرية إلي الدين الحق ضرورة حتمية متصلة مع الزمن ولا يمكن أن تنتهي.

كذلك هناك مقولة نسبية الأخلاق وهي مقولة تحاول أن تجعل من ثوابت الأخلاق وقيمها المرتبطة بالدين أساسا مقولة متغايرة مع العصور والبيئات ويرجع ذلك إلي خطأ إنزال الأخلاق مترله التقاليد والعادات بينما الأخلاق تتميز بالثبات المستمد من ثبات القيم على مدى الزمن : الحلال والحرام والحق والباطل.

والإسلام لا يقر نظرية نسبية الأخلاق لأنها تتعارض مع الفطرة والعلم والدين جميعا.

****

وهكذا أثمرت (المنهجية العلمية) في الغرب تحت خداع فلاسفة استطاعوا أن يبعثوا الفكر البشرى القديم في أثواب علمية براقة فكانت الماركسية التي تقوم على مقررات من النظريات العلمية التي لم تكن قد أصبحت حقائق علمية فأغرت الكثيرين حتى إذا أقترب منها الفلاسفة والمفكرون اقترابا شديدا تبينوا فسادها ووجدوها من الداخل فارغة جوفاء وكان عليهم إما أن يكشفوا هذا الخداع أو يتحولوا عنها وقد كتب كثيرون في هذا كما تحول كثيرون عنها بعد أن عرفوا ضلالها وكذلك كانت تجربة (التحليل النفسي) خدعة فرويد الكبرى وقد خرج كثيرون من تجربة الفكر الغربى - كما صورها رشدى فكار - بالانتحار أو بالإسلام.

لقد جاء المنهج العقلي ليستعمل في خـــداع النــاس وإرضــاء أهوائـــهم ومطامعهم ولكن ذلك لم يدم طويلا.

وشهدت تجربة نوابغ كبارا سقوط هـــذا الفكــر فى موريـــس بوكـــاى، ليوبولدفايس ، روجيه جارودى، وآخرون.

ومعنى ذلك أن حصيلة الثقافة الغربية لم تجد في مكنوناتها على ازدحامـــها وكثافتها ما يقنع بعض العقول الكبيرة بالإيمان بها وكان ذلك مدعاة لأن يبحثـــوا عن عقائد أخرى فلما اقتربوا من الإسلام تلقفهم وكشف فساد الكتب القديمـــة وأكاذيب الصلب والتثليث وأفسح الطريق للعقل إلي الإيمان عن طريـــق الرؤيـــة القرآنية.

لقد حاول ماركس أن يقدم منهجا يمثل عقيدة كاملة وفشل وحاول فرويد أن يقدم عقيدة شاملة وسقط.

قال كولن ولسون في كتاب (سقوط الحضارة)

أن كبار المفكرين والفنانين والأدباء والفلاسفة هناك لم يقدروا على التحقيق الذاتي في إطار ثقافتهم تلك، بل لم يجدوا أوليات التوازن واليقين في خضم هـــذه الثقافة المتلاطم الكالح العميق كانوا يعون هذا الانفصال المختزن بين الإنسان فردا أو جماعة وبين ثقافة وأخرى.

وبلغ التمرد على ثقافة بلغت بهم شوطا من الطريـــق حيـــث لا تســـتطيع معطياتهم الثقافية إعطاءهم المزيد فإن نزوع الإنسان إلي ألما ورائيات تدفعه فـــهو يريد أن يتجاوز العالم إلي الكون ، وينفذ من جدران المادية إلي الروح، يريـــد أن يصل إلي الإله الذى يريد معرفته والاقتراب منه، لقد امتلكوا العالم فمـــاذا بعـــد: البحث عن الله

أن الفلسفة المادية ترفض الغيب والروح وتنكر السماء وتحارب وجـــود الله سبحانه، إنها تحصر الإنسان في النطاق الضيق، إنه إنسان وليس حيوانا اجتماعيـــا كما يسمونه، إنسان وليس آلة ميكانيكية أو رقم مضاف إلي رقم أو ترسا في آلة ، الشمال أو اليمين ..." الخ

عشرات النظريات قدمها الغرب من خلال مفهومه القائم على الفلســـفية المادية وسرعان ما سقطت لأنها عارضت الفطرة وطبيعة النفس الإنسانية وغلـــب عليها الهوى والظن والاستعلاء بقشور العلم {**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** }

****

٢- *مادية الفكر الغربي (دارون وماركس وفرويد)*

الدارونية : تكوين الإنسان

الماركسية : تطوير المجتمع

الفرويدية : التحليل النفسى

يقول الدكتور محمد جابر الأنصارى:

بدأ القرن العشرون وثلاث نظريات (علمية) - هكذا كان يفترض - تحتل المشهد الفكرى الأوربى وخلفه المشهد العالمى المنبهر بذلك الفكر وقارته الجذابـــة القوية الباهرة !

كانت هذه النظريات الثلاث هى:

١- **الداروينة** - في علم الأحياء والتاريخ البيولوجى للكائنات الحية بما في ذلك تطور الكائن الإنسانى ذاته وهنا كان خطرها والاحتدام الفكـــرى الـــذي

أثارته بين المعسكر القائل بالتطور الطبيعي المادى للكون والإنسان. والمعسكر القائل بالخلق الإلهي الروحى كما أجمعت على ذلك الديانات السماوية والدعوات الروحية.

٢- **الماركسية** في علوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والسياسة وهي نظرية (مادية) أخرى حاولت أن ترد المجتمع الإنسانى وتاريخه ومستقبلة إلي جدلية مادية وتاريخية تقارب وتماثل – العلوم الاجتماعية – حتمية:

" القوانين الطبيعية " في الفيزياء والفلك والأحياء وغيرها من علوم الطبيعة– والمفارقة أن الماركسية دعوة (ثورية) تدعو إلي تغيير جذر لكنها ترده في الوقت ذاته إلي "حتمية " مقررة وهنا مكمن الجانب (الرجعى) التحجرى فيها الذي لم ينكشف إلا بعد منتصف القرن.

ومن خلال التناقص بين حتميتها وثوريتها إنزرعت فكريا جذور سقوطها المدوى الذي شهدناه في نهايات القرن، بعد أن تصور الكثيرون في الثلاثينات ثم في الخمسينات، أنها على وشك أن تحسم مصير العالم وتقذف بالقوى الرأسمالية في " مزبلة " التاريخ، حسب خطابها المتداول، أما ما حدث فكان على العكس من ذلك ، وكان مفأجاة الأيديولوجيا لذاتها : مفاجئاتها غير السارة.

٣ – **الفرويدية** في علم النفس الإنسانية والنظر إلي التكوين الداخلى الذاتى للكائن البشرى وطبيعته الغريزية : وهي كالدارونية والماركسية تستند إلي مفهوم مادى (جنسى) للفرد الإنسانى في الأساس وإن (حفرت) في طبقات اللاوعى وتأثيراته الخفية في السلوك البشرى الذي ردته بدوره إلي الدافع الجنسى.

وقد انطلقت هذه النظريات الثلاث في تكوين الإنسان (دارون) وتطور المجتمع (ماركس) وطبيعة النفس (فرويد) في علم الفيزياء في الطبيعة والفلك، وهو

علم تطور في القرون السابقة للقرن العشرين وخاض معاركه الشهيرة ضد التصور الديني المسيحي في أوربا بالاستناد إلي تحليل المادة الطبيعية تحليلا علميـــا تجريبيـــا، اختباريا ومختبريا لاستخراج خصائصها وقوانينها، كما هي على مستوى الطبيعـــة بالاستقلال أو حتى يتناقض مع المفاهيم الكنسية للمعتقدات المسيحية والغيبيـــة (المتيا فيزيقية) بعامة حيث تم الفصل و البينونـــه بـــين (الفيزيقيـــا) أى الطبيعـــة (والميتافيزيقا) أى ما وراء الطبيعة واقتصر على تركيز البحث العلمـــى والفكـــرى وإمكانيات اليقين المشترك بين العقول على المستويات الطبيعية وحدها.

وصارت الميتافيزيقا والأفكار والتصورات الماورائيـــة في المفـــهوم الأوربى الحديث بعامة قصرا على قناعات الإنسان الفردية وتجاربـــه الذاتيـــة دون التقيـــد بمرجعية اعتقاديه جمعية شاملة، ومن أهم كوامن القوة في هـــذه النزعـــة العلميـــة الحديثة واستمرارها قدرتها على تجاوز ذاتها باستمرار وتصحيح نظراتها واستعدادها لتقبل أى نقد يوجه إليها من خلال منهجها وكشوفها المتتابعة ذاتها بما ميزها عـــن أى منظومة ذهنية أخرى في التاريخ البشرى لا تملك القدرة علـــى نقـــد الـــذات وتجاوزها.

هذا التخطيط يمثل مقومات العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما أطلق عليـــه هذه الديانة المادية الجديدة وتختلف عن العلوم التجريبية الذي انطلقت مع الأسف من خلال الفلسفة المادية كفكرة وجود الله تبارك وتعالى وأقامت مـــا يســـمى (الطبيعة)

٣- الفلسفة اليونانية

كانت ترجمة الفلسفة اليونانية بمثابة رياح سوداء شديدة الظلمة مرت بالأمة الإسلامية فكانت مصدر كل الهزائم التي وقعت لها من بعد وكانت شديدة التأثير على كل صاحب فكر وقلم فكل التعقيدات التي نراها في المعري وأبي تمام والمتنبي وغيرهم إنما ترجع إلى أثر الفلسفة اليونانية.

وقد قام المنطق اليوناني على خصائص اللغة اليونانية وهي تخالف مقتضيات لغة العرب ويستمد مفاهيمه من مفاهيم تختلف تماما عن مفاهيم الإسلام الذي له منطقه الخاص من القرآن الكريم على النحو الذي قدمه الإمام بن تيميه.

أما منطق أرسطو فيطلق عليه المنطق الصوري أي الذي يجعل كل همه في تكوين صيغ وصور كلامية يعتبرها بمقاييسه وقواعده صحيحة وإن خالفت الواقع المحسوس الملموس.

ولقد عادت البشرية بالإسلام إلى قواعد الفطرة وهي أن المنطق مجموعة من البديهيات والمسلمات في كل عقل تخضع لها العقول السليمة بغير حاجة إلى تعقيدات أرسطو.

ولقد تبين الفرق بين القياس الأرسطي والقياس النظري الذي هو عملية عقلية خالصه تقوم على ملاحظة النظائر وإدراجها تحت حكم واحد، أما قياس أرسطو فقد أسقطه ابن تيميه بقياس القرآن. وقد أفسد القياس الأرسطي العلوم وعمل على تجميدها. وكان لسيطرة المنطق الأرسطي على علم الكلام وآداب البحث والمناظرة السبب في قصور كل منهما عن أداء المهمة المنوطة به على الوجه الأكمل.

ولا شك أن أهم أسباب نفور العلماء المسلمين من الفكر اليوناني هو توجيه القرآن الكريم لهم والسنة النبوية إلى النظرة الموضوعية وليس مجرد التخيل والتصور.

وذلك خلافا لما حدث للمجتمعات الأوروبية التي ظلت خاضعة للمنطق الأرسطي كما فهمه رجال الكنيسة.

ولقد جاء الإسلام مخالفا لمفهوم الفلسفة اليونانية جملة

- فقد رفض مفهوم أرسطو في الرق وقيام الحضارات على العبودية ووجود عبيد في السفح وسادة في القمة.

فقد جاء الإسلام مقرا بالمساواة بين الناس لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود

وبذلك ألغى التمييز العنصري أو الطبقي الذي عرفت به حضارات اليونان وروما وفارس والحضارة الفرعونية.

***

ولقد تابع بعض مفكري الإسلام الفلسفة اليونانية وحاولوا التوفيق بينها وبين الشريعة (الفارابي وابن سينا) ولكنهم فشلوا في محاولتهم.

ونتج عن ذلك علم الكلام والاعتزال وقد أعلى من شأن العقل فكان ذلك تمزيقا لمفهوم الإسلام الجامع بين العقل والوحي.

حيث جاء الإسلام أساسا بمفهوم التكامل الجامع بين المادة والروح والعقل والقلب لأول مرة بعد أن خضعت الحضارات والثقافات القديمة لإحداهما وتجاهلت الآخر وجاءت الحضارة الغربية المعاصرة لتعلي من شأن المادة والعقل والحس وتنكر الوحي والنبوة والغيب والألوهية.

وعجزت معطيات الفلاسفة عن تقرير شئ ذي بال يمكن اتخاذه أصلا تحاكم إليه مقررات العقيدة الإسلامية، وظهرت محاولات التلفيق في تجربة الفارابي والجمع بين أرسطو وأفلاطون وكما تحمله رسائل إخوان الصفا.

وقد قاوم علماء المسلمين الأصلاء هذا التأثير في شتى التخصصات ورفضوه وشن الإمام الغزالي حملة ضارية على الفلسفة بسلاح الفلسفة ومنطقها نفسه وبين (تهافت الفلاسفة) وأخطائهم في عشرين مسألة وكفرهم في ثلاث منها.

وجاء ابن تيميه فعمل على تنقية الثقافة الإسلامية كلها من آثار الفلسفة اليونانية والفكر الباطني والغنوصي ومن ذلك نقض المنطق الصوري الأرسطي وبين في كتابين له أنه علم لا يحتاج إليه الزكي ولا ينتفع به البليد.

ولما رفضت النهضة الأوروبية الحديثة المنطق الصوري القياسي (الأرسطي) كان ذلك إيمانا بالمنهج الاستقرائي التجريبي الذي وضعه المسلمون وكانت الانتقادات التي وجهها الغزالي وابن تيميه لمنهج أرسطو هي عدتهم في مقاومة الفكر الهليني والمنطق الأرسطي.

***

واليوم يجب أن يكون المسلمون قادرين على فهم هذا الموقف واستيعابه، فإن الثقافات الأجنبية والأيدلوجيات المعاصرة (غربية وماركسية) هي تراث ثقافي واحد يتخذ الفكر اليوناني والفلسفة اليونانية أبا روحيا والمسيحية دينا يسيطر على أوروبا شرقا وغربا.

فقد عاد الغرب بعد أن اتخذ منهج التجريب الإسلامي فربط روحه بالفلسفة اليونانية المادية وأحياها بعد أن انفصل عنها أكثر من ألف سنة ثم أخذ يحتوي الفكر الإسلامي بإعادته إلى أرسطو الذي كان الإسلام أول من كشف زيف منهجه قبل الغرب نفسه.

فالفكر الغربي المعاصر كله المطروح في أفق الفكر الإسلامي مرتبط بالفلسفة اليونانية (الوثنية) والفكر الروماني (عبودية الإنسان وشرعية الرق) والفكر

المسيحي الوافد ليس رسالة عيسى عليه السلام وإنما بمفاهيم بولس. فهذه الأرضية كلها لا تصلح للاقتباس وتحتاج إلى الحيطة في تلقى مفاهيمها.

******

٤- الفلسفة الأوروبية المعاصرة

تطورت الفلسفة الأوروبية إلى مراحل مختلفة (كمـــا يصورهـــا الدكتـــور التفتازاني)

أولا: سيطر أرسطو على الفكر الأوروبي في العصر المدرسي سيطرة كاملة وأبرز مفكر لاءم بين المسيحية وفلسفة أرسطو هو القديس توما الإكويني ١٢٧٤ م. وأصبح مذهبه مذهبا رسميا للكنيسة الكاثوليكية منذ ذلك الحين وإلى وقتنا هذا.

وكانت مخالفة أرسطو خروجا على العقائد المسيحية وأقـــامت الكنيســـة محاكم التفتيش لأصحاب الآراء والنظريات العلمية الجديدة المستمدة من المنـــهج التجريبي الإسلامي.

وجاء هذا الإنجاز معارضا لفكر أرسطو كله وحدث الانفصال بين الديـــن والعلم، وبدأ ظهور مذهب الإنسانيين القائم على الاعتداد بالعقل والخضوع للعلم المادي. وانقسم الفكر الأوروبي إلى اتجاهين:

الاتجاه العقلي بقيادة ديكارت

والاتجاه التجريبي بقيادة بيكون.

ثانيا: حدث تحول في الفلسفة الأوروبية بواسطة دعاة التنوير وأصحاب الموسوعة (فولتير – روسو – ديوى) قادة الفكر الأوروبي إلى الماسونية والثورة الفرنسية وقد غلب عليها من ذلك الوقت الإلحاد الصريح والتشاؤم الذي ساد المجتمعات الأوروبية وظهور مذاهب الوجودية والعلوم الاجتماعية والعبثية والعدمية واللامعقول.

وقام الفكر المادي على تفسيرين:

(١) التفسير المادي للوجود:

بمعنى أنه ليس ثمة في العالم إلا المادة وقوانين تطورها والعقل أسمى نتاج للمادة. والعالم لم يوجد إلا اتفاقا أو مصادفة.

(٢) التفسير المادي للتاريخ:

ويقرر أن نمو الحياة الإنسانية فردية واجتماعية يتوقف على الظروف المادية والاقتصادية والصراع بين الطبقات الذي يحكم سير التاريخ.

وظهر المذهب الوضعي عند "أوجست كونت" وأتباعه "دوركايم وليفي بريل" وفي إطار مدرستهم ظهر علم الاجتماع الحديث الذي يتجه وجهة لا دينية وظهر مفهوم الجنس (مذهب فرويد)، ومفهوم الوجودية (من هيدجر إلى سارتر) وهكذا سيطرت الفلسفة المادية على الفكر الغربي كله. وتأثرت بذلك الآداب والمسرح والقصة.

وتم تجاهل الدين بعامة بل إن هذه المذاهب كانت بمثابة رفض له واستنكار لوجوده أو أثره ودعت الفلسفة الوجودية إلى القول بأن الوجود الإنساني مجرد عبث ورفض الإسلام كل هذه المفاهيم.

يقول الحق تبارك وتعالى {**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**}.

ولقد دعا الإسلام إلى النظر والاعتبار ولكنه جعل للعقل دورا واضحـــا في مجال الاستدلال مع تحفظ واضح بان العقل لا يكون في كل حالاته بمعـــزل عـــن الهوى والعاطفة أو بمعزل عن الغي والحصر وأن العقل يخضع للوحي وأن العقـــل والنقل لا يتعارضان. وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد جاءنا بعقائد وأحكام عن طريق الوحي وهو معصوم من الخطأ لهذا يجب دائما تصحيح ما يصـــل إليـــه العقل على أساس ما جاء به الوحي.

وقد بين ابن تيميه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام على العقل ودعاه إلى مناقشتها ليميز الحق من الباطل ودلـــل عليها بالحجة الواضحة، كما ذكر العقائد المخالفة وكر بالحجة عليها.

ومن هنا فقد أخطأ الذين حاولوا طرح مفاهيم الفلسفة الأوروبية على أبنائنا على أنها حقائق أساسية يتضاءل دور الإسلام إزاءها وقد خاب فألهم إذ ظهر فساد دعواهم في أن نهضة الأمة الإسلامية لا تتحقق إلا بسلوك نفس الطريـــق الـــذي سلكته أوروبا منذ عصر النهضة ألا وهو التحرر من قيد الدين (وإذا كانت أوروبا قد تحررت من قيد الدين الذي لم يكن هو الموحى به، فإن المسلمين قد ورثوا دينا قيما ما تزال مصادره تعلو فوق كل شبهة تغيير أو اضطراب).

لقد جاء انطلاق الأوروبيين نتيجة معاداتهم للدين الذي كان قـــد دخلتـــه دخائل ورد فعل لاضطهاد الكنيسة وهو أمر لم يتفق للإسلام الذي دعا إلى العلـــم وفتح له الأبواب.

ومن هنا فإن مفاهيم الفلسفة الغربية كلها وضعت بقصد هدم الدين فـــهي مناقضة للإسلام إذ تنطلق أساسا من الإلحاد وأغلب مذاهـــب الفلســـفة الغربيـــة الحديثة مادية ومناقضة للفطرة والعلم التجريبي وتسير في اتجاه معـــاكس لرســـالة السماء.

٥- بين الفلسفـــة والعـــلـــم

هناك محاولة خطيرة ترمي إلى التمويه على الشباب المسلم بأن الفلسفة هي من العلم بحيث يقبل نظرياتها على أنها حقائق علميـــة ، ولقـــد وصـــل العلمـــاء التجريبيون منذ زمن بعيد إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى وهناك كتاب مشهور باللغة العربية عنوانه (الله يتجلى في عصر العلم) ولكن الفلسفة المادية ودعاتهـــا العـــرب يحاولون خداع المسلمين عن مفاهيمهم الإباحية والملحدة حول أوهام الفلاســـفة وأهوائهم بدعوى أنها من العلم وهي ليست كذلك .

هذا الالتباس الذي يوجده خصوم الإسلام وأعداء الدين الحق بين الفلســـفة والعلم يجب أن يكون واضحا أمامنا نحن المسلمين والادعاء مثلا بأن كل تطـــور وجديد خير من سابقه نظرية باطلة أو الادعاء بأن (الأخلاق نسبية فمـــا يصلـــح لعصر لا يصلح لعصر آخر) نظرية باطلة ، فليس التطور دائما نحـــو الأفضـــل أو الأحسن وليس كل جديد حسنا ولا كل ماض سيئا أما القيم الأخلاقية فهي ثابتة ولا تتغير في جوهرها وتصلح لكل زمان ومكان وهي عندنا جزء من الدين، ومن الخطأ الربط بين القيم والعصر، وهناك فارق بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية فإذا كانت الأولى تخضع لمقاييس مادية محدودة فإن العلوم الإنسانية الـــتي تتصـــل بالإنسان وعواطفه ورغباته لا يمكن أن تخضع للمقاييس المادية، ومن هنـــا فـــإن المسلمين يقفون موقف الحذر من العلوم الإنسانية الغربية كـــالنفس والأخـــلاق والاجتماع .

فالعلوم النفسية والاجتماعية والأخلاقية الغربية كلها تقوم علـــى الفلســـفة المادية ولا تؤمن بوجود جانب روحي نفسي أو معنوي يحسب حســـابه وتـــأخذ الإنسان من حيث هو حيوان ناطق خاضع للمفاهيم المادية وحدها .

بل إن معظم العلوم الاجتماعية الغربية ترى أن الإنسان ليس بشـــرا ســـويا كرمه الله كما يؤمن به المسلمون، وترى (هوبز وفرويد ودارون وسارترومار كس) كلهم يحتقرون الإنسان فيقول هوبز إن البشر ذئاب وأن الحيـــاة البشريـــة غابـــة للحيوانات المفترسة ويرى دارون أن البشر في صراع يقوم على البقـــاء للأصلـــح والفناء للضعيف ويرى فرويد أن الآخر هو العدو وأن على كل إنسان في نظره أن يواجه ثلاثة أعداء : المرض والمصاعب والبيئة والآخرين من بني الإنسان أما نيتشة فيقسم الناس إلى سادة وعبيد ويؤكد أن للسادة (السوبر بشر) الحق كل الحـــق في استباحة الضعفاء والتنكيل والتعذيب والقسوة بهم وقـــد أدان نيتشـــة الأخـــلاق الاجتماعية الفاسدة التي تعني بالضعفاء .

وكل هذه المفاهيم المسمومة لا يقرها الإسلام الـــذي يدعـــو إلى الرحمـــة بالضعفاء ويجعل لهم حقا معلوما في مال الأغنياء ، ولا يقر الإسلام قيام المجتمـــــع على صراع ويقرر أن الإخاء البشري هو قانون العلاقة بين الناس علـــى أســـاس الرحمة والعدل .

ومع الأسف فإن التغريبيين يحاولون غرس هذا الفكر الشائن الخاطئ الـــذى يطرح على المسلمين كبديل للنظام الإسلامي ويدعى بعض المســـتشرقين كذبـــا وزورا إنه الفكر الذي يضمن التقدم والقوة ويقضي على التخلف مع أنه هو الذي يخرب العلاقات بين البشر وهم في سبيل التضليل يحاولون أن ينسبوا بعض مفكري الإسلام إلى هذه المذاهب الهدامة الضالة فيقولون أن الوجودية كانت عند أبن عربي والمادية الجدلية عند ابن خلدون والاشتراكية عند أبي ذر والمادية عند ابن رشد .

وهذه كلها دعاوي كاذبة فلا يمكن أن يتطابق لاختلاف الدلالات والمفاهيم وبينما يصدر المفكرون المسلمون عن الإسلام كعقيدة موجودة عالمية إنسانية خالدة

، وعن القرآن كدستور خالد يصدر هؤلاء عن الوثنيات القديمة في الفكر اليوناني والمجوسي والباطني .

فالمسلمون يؤمنون : بالألوهية والتوحيد والنبوة والبعث والغيب والجزاء (ويرون أن كل من يخالف هذه المفاهيم أو يعارضها غير معقول) ويؤمنون بأخلاقية المجتمعات والأفراد (المسئولية الفردية) ولا يقرون مفهوم التطور المطلق أو الأخلاق النسبية، ويؤمنون بالمفهوم المتكامل الجامع (الثوابت والمتغيرات) ويرفضون كل ما يهاجم الماضي الصحيح والقديم الأصيل لأنه هجوم على الدين أساسا وأن المسلمين متعاهدون على الارتباط مع تراثهم وقيمهم ولغتهم وعقيدتهم منذ أربع عشر قرنا حتى اليوم .

وهم مع ذلك يؤمنون بالانفتاح السليم والحرية المنضبطة التي لاتترعهم من جذورهم ولا تحطم وجودهم ولا تقضي على تميزهم الذاتي وخصوصيتهم التي بناها الإسلام .

******

٦ - *الإسلام والفلسفة*

جاء الإسلام ليقدم للبشرية الإجابات الصحيحة لما كان يشغل الفكر البشري وما كان ويحاول الإجابة عنه عن طريق الفلسفة .{**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون**} جاء الإسلام ليقدم منهجا ربانيا لما وراء الواقع ، منهجا كاملا (الميتافيزيقا) ومن هنا فقد كانت محاولات ربط الفلسفة القديمة بالإسلام محاولة فاشلة ومضللة في نفس الوقت.

وبعد نزول القرآن أصبحت محاولات العودة إلى الفلسفة وإلى مناهج الفكر الباطني القديم هي محاولة مضلله وقد انتهت تمامـــا . لقـــد خلـــط (المشـــاؤون الإسلاميون) الفارابي والكندي وابن سيناء وابن طفيل وابن رشد والرازي وابــــن مسكوية والجبلي والشبلي ، والسهروري والحلاج مع تيارات الفلسفة اليونانيـــة والتصوف الفلسفي والفكر الباطني خلطا كان بعيد الأثر في اضطراب منطلق الفكر الإسلامي وإن كان مصححوا المفاهيم لم يلبثوا أن كشفوا عن الحقيقة (الاشعري، الشافعي، الغزالي، ابن تيميه) فإن هذا الإصرار على إعادة إحياء هذا الفكر الوثني المادي الذي يسمى في الغرب (علم الأصنام) من أخطر المحـــاولات الـــتي يجـــري إحياؤها وبعثها بأسلوب متجدد من خلال الحداثة البينونية والتفكيكية والشعر الحر وقصيدة النثر كل هذا يعني إحياء الفكر المادي والإباحي .

ولقد كان من أخطر هذه المحاولات إعادة تدريس مادة الفلسفة في كتـــابي الفلسفة والمنطق لطلاب الشهادة الثانوية للدكتور زكي نجيب محمود زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة التي حفلت بعقائد وافدة مضللة كانت خطـــرا شديـــدا علـــى المجتمعات الإسلامية عندما ترجـــمت وغاية ما تقدمه هذه الفلسفات إنكار مـــا وراء المحسوس والذي يترتب عليه إنكار حقائق الوجود الكبرى وأولها وجـــود الله تبارك وتعالى فهل يصح في منطق العقل والعلم أن تكون الحواس وحدهـــا هـــي الحكم في قضية الإيمان بالغيب وهل نعتبر كل مالا يقع تحت الحس غير موجود .

إن الإجابة بمنطق العلم الحديث (لا) فهناك مثلا من الأصوات مالا تسمعه الأذن وهذا من نعمة الله علينا وإلا كان لضربات القلب ضجيج لا ينقطع علـــى أسماعنا وكوننا لا نحس بها ليس معناه أنها ليست موجودة وبالمثل باقي علم الغيب الذي لو قدر وكشف لنا بعضه لصعق الإنسان لأن طاقة حواسه لا تقوى علـــى استقباله كما حدث لموسى عليه السلام وحتى المادة المحسوسة التي لا يؤمن ملاحدة

العصر إلا بها أثبت العلم الحديث أنها ليست إلا طاقة شكلت وفقا لقوانين معينـــه فمن الذي وضع تلك القوانين التي تقف خلف هذه الطاقة .

ويجيب على التساؤل عالم الذرة (أينشتين) الذي يعد أعلم علماء الأرض في الظواهر الكونية حيث قال يوم أن فرغ من تسجيل نظريته الفذة (النسبية) قال:

أن العقل البشري حين يتأمل هذا الخفاء الكوني يدرك لو أن وراءه حكمة هي أحكم ما تكون الحكمة وجمال هو أجمل ما يكون الجمال : إنـــه الله تبـــارك وتعالى . وفي هذا يقول كريس مورسون رئيس أكاديمية العلـــوم بنيويـــورك : إن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم تجعلنا نعتقد بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة ، وبذلك جاء تفجير الذرة محطما لكل الفلسفات المادية حيـــث أصبـــح تخالف حقائق العلم التجريبي الذي أخذ يؤمن بعالم الغيب ووجود الخالق القـــادر القائم وراء هذا الكون يديره ويدبره وأصبح الفلاسفة الماديون يعرفون هذه الحقيقة ولكنهم سائرون في غيهم يضلون الناس ويسخرون من وجود الله تبارك وتعالى .

-٢-

عندما ترجمت الفلسفة اليونانية نشأ جيل من المشائين الإســـلاميين الذيـــن إحتضنوا هذا الفكر واخذوا يربطون بينه وبين المفاهيم الإسلامية في محاولة لخلـــق تصور فلسفي للإسلام مستمد من مفاهيم أرسطو وأفلاطون وقد تصدر هذا التيار وكان على رأسه :" أبن سينا – الفارابي – وابن رشد"

ولقد كان مجتمعنا الإسلامي يعيش في مجتمع لا يعتمد على الفلسفة وإنمـــا يعتمد على عقيدة راسخة تسمح وتتسع لجميع المسائل الفرعيـــة (كمـــا تقـــول الدكتورة فوقية حسين) فالفلسفة وافدة علينا قديما وحديثا وهي من واقع بعيد عنا وهي بالنسبة لوافدنا لا تعني شيئا وتحتاج إلى تقييم، وقد وجه الفكـــر الإســـلامي

الأنظار إلى الواقع منذ نزول الوحي وكان لهذا لفكر موقف واضح من الفلسفة والدين والعلم . وقد خرجت العلوم عن الفلسفة على أساس أن ما هو علم بالمعنى الحديث له سمات معينه على رأسها الواقعية والتضمين بينما هي لا تتسم بالشمول والعمومية ولا تعني بالواقع.

وقد كان الفكر اليوناني مرفوضا من الفكر الإسلامي وقد قضى عليه ابن تيميه في كتابة (نقد المنطق) والرد على المنطقيين ثم عاد مرة أخرى في صورة المقررات الدراسية التي يدرسها الطلاب بالمدارس والجامعات فما زال أرسطو متربعا على العقول على الرغم من أنه لم تعد له هذه المكانة في تراثه .وشبابنا يتأثرون بهيلمان أرسطو القوى القائم على تبجيل النظر وإسقاط العمل ، أضف إلى ذلك المذاهب الفكرية شرقية وغربية والتي تقدم إلينا وتعرض علينا بهدف تغيير العقول وعقول شبابنا تقبل هذا التشكيك لأنها خاوية أصلا عن أي حصانة فكرية، وجموع شبابنا اليوم تماثل جموع العوام وقت ظهور الفلسفة قديما لأنهم في حالة انهيار ربما لا جدوى فيه .

والنقص يكمن في ضرورة تحقيق حالة من الصقل الذهني من خلال تدريس العلوم الإسلامية وهذا لا يعني غض النظر عن المذاهب الوافده بل يجب التعرف عليها ولكن مع التهيؤ الكامل لتحليلها وتقييمها .

إن الفكر الإسلامي وجه الأنظار إلى الواقع منذ نزول الوحي ومن يتدبر القرآن الكريم يتبين هذا المفهوم، والآيات في هذا المعنى متعددة والشريعة الإسلامية تحتوي على مبادئ لم تتوافر فيما سبقها من مذاهب مثل اقتران النظر بالعمل .

ومبدأ الاهتمام بالناحية الاقتصادية والعلاقات بين الأفراد والشعوب وما يهدي إليه الفرد من آراء أملا في تحقيق الاطمئنان العقلي والقلبي يوفق إليه الإنسان بتوفيق من الله تبارك وتعالى من خلال البديل الرباني .

رفض مفكرو الإسلام تلك النظريات التي قدمها الفكر اليوناني والمنطق اليوناني الذي قام على خصائص اللغة اليونانية وهي تخالف مقتضيات لغة العرب ولاشك أن أهم أسباب نفور العلماء المسلمين من الفكر اليوناني بوصفه المنطق العلمي الحديث هو توجيه القرآن الكريم لهم والسنة النبوية إلى طلب حسن النظر والانطلاق في التفكير في الواقع الموضوعي وليس في مجرد التخيل والتصور . وقد برز ذلك منذ فجر النهضة الإسلامية في حين ظلت المجتمعات الأوربية خاضعة للمنطق الأرسطي كما فهمه رجال الكنيسة في بداية العصور الحديثة ولا تزال حادثة الاغتيال الأليمة لمؤلف كتاب (كل ما قاله أرسطو وهم وضلال) وهو بطرس ريموس ترمز للتعصب المذهبي وممارسة إخضاع العقل إلى الوجدان حيث يمكن تلخيص ذلك المنهج في الجملة الآتية (آمن ثم كفر) في حين تقتضى طبيعة المنهج في ظل الفكر الإسلامي عكس ذلك (فكر ثم آمن) (عن عبد الله الاوصيف)

وإذا واصلنا بحث النظريات التي قدمها الفكر اليوناني لم نجد إلا مفاهيم مضللة .

٧- المسلمون والفكر الهليني

أولا : نظرية الهلينية (٣٢٣ ق.م - ٣٠ ق.م)

الهلينية تيار ثقافي وحضاري له سمات محددة في الفلسفة والمعمار والفنون والدين قد دأب مفكرو الغرب على ربط الهلينية بالوثنية في مقابل الترعة العبرانية الأولى التي وصفوها بالحسية التلقائية والثانية بالعقلانية.

الأولى : دمرها برميثوس سارق نار الآلهة (رمز العقل والخلق).

والثانية : رمزها أيوب الذي يكفر عن ذنوب لم يقدمها.

ويرى المؤرخون المحدثون أن الهلينية أنتجت تراثا عقلانيا أصبح سندا للدين المسيحي ثم أداة للفلسفات الدينية كلها التي لا وتقل عن تراث الهلينية الحسي أو التلقائي.

فهي- أي الهلينية - التي نظمت الفلسفة في الحقيقة وقسمتها إلى منطق وأخلاق وطبيعة، وهي التي جعلت الأخلاق أعظم موضوعات الفكر الإنساني وجعلت السعادة الإنسانية هدفا للتفلسف.

ومن هنا فإن المدارس الأربعة العظمى للفلسفة الهلينية تضم ثلاث مدارس يمكن أن تسمى دينية :

(الأكاديمية - الرواقية - مدرسة المشائين)

مدرسة واحدة حسية بالمعنى الوثني (الابيقورية) على الرغم من صراع الشك الأكاديمي من اليقين العقلي الذي سعى إليه سقراط واتباعة من الرواقين فإن الهلينيه الإسكندرية هم الذين أصلحوا بين الاتجاهين وقتلوا الروح الهلينية فى القرنين الآخرين قبل الميلاد ومهدوا لانتصار المسيحية فيما بعد وحضاريا انتشر التأثير الهليني شرقا وجنوبا ليشمل كل إمبراطورية الإسكندر حتى وصل فارس والهند.

النظريات التي قدمها الفكر الهليبي

هذه النظريات عرض لها مفكرو الإسلام وكشفوا زيفها

أولا : نظرية قدم المادة

هذه النظرية لاتبقي أي أساس حقيقي للإلهيات، فهي تنكر تماماً خالق الخلق ومبدعه وبعدها لن يبقى هناك مجال لله تبارك وتعالى من حيث كونه المحرك الأول.

وقد أنهى القانون الثاني للحرارة الديناميكية تماما وإلى الأبد نظرية قدم المادة.

ثانيا : حل لغز الكائنات عن طريق العقل فشلت محاولة الفلاسفة في حل هذا اللغز، ومن هنا تحولت الفلسفة للعمل على التشكيك فقط و لم تتمكن من الوصول بالإنسان إلى العقيدة الثابتة، فالعلوم تعطي حدا معينا من الحقيقة ثم تكون بالله تبارك وتعالى والغيب هو الذي يكمل الطريق وقد أكتشف العلم أن الإنسان لا يمكن أن يصل بالأسلوب العلمي إلى العلم الجزئي فقط وتدل نظرية الجحور السوداء على أن الإنسان لا يشاهد من المادة إلا ثلاثة في المائة فقط أما الباقي فلا يمكن أن يشاهده الإنسان مما يدل على وجود مساحة ضخمة للغيب.

ثالثا : أثبتت العلوم أن هناك عقلا ما راء هذه الكائنات هذا العقل هو الذي قام بخلقها وهو مدبرها. والكائنات التي أكتشفها العلم لا تعمل في فراغ كما أنها منظمة تماما وبدقة مذهلة.

رابعا : قصد الشرك والتوحيد إن أهم نقاط الخلاف بين الإسلام والأديان الأخرى يتمثل في قضية الشرك والتوحيد. وقد أثبتت القرارات أن الكائنات ليست فقط واحدة من ناحية خضوعها كلها لقانون كلي واحد، بل إن تخيل

مادمًا في النهاية يثبت أنها من هذه الناحية واحدة. (أي الذرة أو الموجات الكهربائية)

خامسا : أثبتت الأبحاث أن الإنسان يحتاج إلى وسيلة أخرى غير العلم، لفهم عالم الحقائق بالإضافة إلى ما تملك من علوم حسية.

سادسا : أثبت العلم أن القانون الإلهي يفوق القانون الوضعي فيما يخص العلاقات الإنسانية وعلى سبيل المثال جعل الرجال قوامين على النساء بينما أكد القانون الوضعي عكس الأمر (المساواة) إلا أنه ثبت بطريقة علمية خالصه أن المرأة أضعف من حيث الخلقة وأن الرجل هو الجانب الأقوى.

سابعا : مسألة القدم أهم أساس وضع عليه فلاسفة العصر معارضتهم للدين هو مسألة القدم بمعنى أن الكائنات موجودة من الأزل فإذا كانت موجودة فما هي ضرورة الإيمان بالخالق إلا أنه أن البحث العلمي الحديث أثبت أن علم العالم محدود وبدأ الإنسان يعتمد على نظرية الارتقاء أو أن العمر المحدود للأرض لا يمكن أن يكون كافيا لخلق الإنسان الحالي طبقا لنظرية الارتقاء في الخلق.

ثامنا : قدم الإسلام نظرية الشورى في السياسة

وقد سيطرت قديما فكرة الملكية الوراثية على العقول.

تاسعا : أعلن الإسلام أن للصدقة حقا في كسب الإنسان القوي ولهذا صدر قانون الزكاة.

عاشرا : عصر العلم هو عصر الإسلام وأن صراع العلم هو مع المسيحية حتى وصل إلى قضية الإلحاد والواقع أن عصر العلم لم يبدأ في أوربا بل بدأ في الأندلس وصقلية في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ولم يوجد أي صدام من أي نوع في ذلك الوقت بين العلم والدين، والعلم كان يتطور

ليخدم الدين. والمعروف أنه حين قام الأتراك بإخراج العلماء البيزنطيين من الآستانة في القرن الخامس عشر فهاجروا إلى إيطاليا انتقلت أبحاث علـــوم الطبيعة من العلم الإسلامي إلى أوربا واتخذ العلم وجها جديدا. و لم يصطدم العلم بأي شكل مع الدين في بغداد وقرطبة بينما اعتبروا العلم في إيطاليـــا وفرنسا عدوا للدين.

ولقد قدم الغرب عشرات النظريات من خلال مفهومه القائم على الفلسفة المادية وسرعان ما سقطت لأنها عارضت الفطرة وطبيعة النفس الإنسانية وغلـــب عليها الهوى والظن والاستعلاء بالعلم

****

٨- تأصيل العلوم وأسلمة مفهوم الطبيعة

في مفهومنا الإسلامي أننا نؤمن بأن العلوم التجريبية علـــوم قائمـــة علـــى التجربة والعقل والحواس، وأنها تختلف في هذا عن العلوم الإنسانية القائمة علـــى الفلسفة المادية.

ولكن العلوم التجريبية الغربية تقوم على الفلسفة المادية أيضا فهي لا تعترف بوجود الله الواحد الأحد خالق كل شئ وفي المناهج التعليمية في البلاد العربية تقدم مفاهيم علمانية لا تعترف بالخلق الذي جاء به القرآن واعترفت به الكتب المقدسة وتضع المناهج العلمية (الطبيعة) في مقابل الله تبارك وتعالى، وعلا علوا كبيرا.

ففي المناهج العلمية المقررة في المدارس العربية الإسلامية مفاهيم تتحدث عن الطبيعة لا تعكس أية قيمة إسلامية بل على العكس من ذلك فإن الأسلوب العلماني المعادي للإسلام هو الأسلوب المتبع في تدريب رجال التعليم والذي يحجب تمامـــا المبدأ الإسلامي الأساسى للعلم وهو أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق ظواهـــر

الكون كافة. فالله تبارك وتعالى هو مصدر الإلهام لكل مسلم ويجب ألا يكون تقرير الطفل لعظمة الله وجبروته من خلال مادة العلوم فقط بل يجب أن يكون تصويره لله تبارك وتعالى من خلال الإعداد الجيد الذي يؤدي به إلى تقدير قدرة الله حيث يجب التركيز على مفهوم أساسى هو :

أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وخلق الحيوان وأن الإنسان يختلف اختلافا كاملا عن الحيوان كما يتعلم في الوقت ذاته أن الله هو الخالق.

ومع الأسف فإن الإنسان قد وضع مع فصيلة الحيوانات وفقا لنظرية دارون المعروفة بنظرية التطور.

حيث يجب أن يفصل ما بين الإنسان والحيوان حتى يعرف المتلقي أن الإنسان يختلف اختلافا تاما عن الحيوانات وعندما نذكر الأشياء المادية يجب أن تضاف عبارة (خلق الله المادة وصنع الإنسان منها الأشياء) وأن توضع قاعدة أساسية هي وهب الله الإنسان القوة وهو يستخدمها ليحرك الأشياء. كما خلق الله (تبارك وتعالى) الحيوانات للإنسان والحيوانات تنقل الأشياء للإنسان. وعند الحديث عن الرياح والأمطار والسحب تتقدم ذلك عبارة (أن الله هو الذي يسير العالم فالرياح والأمطار والسحب تغير الطقس بأمره).

وهكذا يجب تغيير مفاهيم العلوم ومعطياتها لتتفق مع روح الإسلام ومتطلباته. فإذا كان الحديث عن (البروتوبلازم) يجب أن يبدأ بالقول بأن الله تبارك وتعالى قد اختار مادة (البروتوبلازم) لتنتقل الحياة بواسطتها فالبروتوبلازم في حد ذاته يستطيع أن يمد الكائن بالحياة.

كذلك خلق الله تبارك وتعالى الإنسان و لم يكن وجود الإنسان نتيجة التطور والارتقاء ويجب على علماء الأحياء المسلمين أن يحاولوا التوصل إلى الأساس الذي يبرز الإنسان باعتباره كائناً متميزا من الناحية البيولوجية بشكل

يختلف عن بقية المخلوقات. وعلينا أن نوسع آفاق تفكير طلابنا حتى يـــهتدوا إلى الأسباب الفعلية بدلا من الأسباب الظاهرة.

****

أما بالنسبة لمادة الكيمياء

فإنه يجب الإيمان بالله تبارك وتعالى وأن يزرع علـــم الكيميـــاء في قلوبهـــم وعقولهم هذا الإيمان وتلك العقيدة فمشيئة الله تبارك وتعالى هي السبب الحقيقـــي وراء وجود هذا الكون كما أن أوامره تعالى هي السبب الأول والأخـــير لكـــل الظواهر الطبيعية.

ولا يكفي أن نعلم أولادنا أن الماء مركب كيمائي يتكون من الأوكسجين والهدروجين بل يجب أيضا أن نعلمهم أن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي أمـــد هذه العناصر بخصائص مكوناتها حتى يكون ذلك العنصر القيم المعروف باسم الماء لاحتراق الهدروجين بكل سهولة في وجود الأوكسجين ويعد هذا مثـــالا علـــى خضوع المادة لإرادة الله سبحانه وتعالى.

فالله هو الذي من علينا بالعقل الذي نستعين به في تسخير خواص المادة لمـــا ينفعنا "

العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية تقوم على مفهوم الفلسفة المادية أمـــا العلوم الكونية فتقوم على الادعاء بأزلية المادة والطاقة ثم أزلية الكون وانتفاء الخلق ونسبة كل شئ جهلا إلى الطبيعة أو رد الخلق ظلما إلى الصدفة.

وأكبر الخطأ محاولة تفسير التدرج وعمران الأرض على أنها عمليـــة ماديـــة تلقائية بحتة.

والحقيقة أن هذا الكون الذي نحيا فيه قد وجد بتدبير مسبق وحكمة بالغـــة كما أنه لا يمكن أن يستمر في وجوده هذا لآلاف الملايين من السنين إلا برعايـــة خالقه وهذا كله يتطلب منا ضرورة تأصيل العلوم والمناهج الإســـلامية العلميـــة والإنسانية "أساس أسلمة المعرفة : أن يكون الوحي مصدر أساسي مـــن مصـــادر المعرفة ولابد من إقامة الإطار العقدي ونظام القيم الذي يوفره الإســـلام ليكـــون مرجعنا الذي نرجع إليه.ولابد من إقامة أخلاقية العلم فى الإسلام.

إن أسلمة المعرفة هي إعادة صياغته صياغة منهجية للمعارف وقواعدهـــا وقوانينها يمثل (الوحي) فيها المصدر الأساسي.

ولابد من إعادة الارتباط بين المعرفة والقيم الإلهية ورد الاعتبـــار للوحـــي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهي للإنســـان لتمكينه من مهمته في الخلافة والعمران. وأسلمة المعرفة تبدو ضرورة عالمية تقتضيها عمليات المراجعات لإعادة توظيف العلوم ضمن إطار منهجي معرفي مهتد بهدايـــة الله تبارك وتعالى الذي علم الإنسان ما لم يعلم. إن اسلمة المعرفة توصلنا إلى الفهم الصحيح للعلم والتجريب.

فالله تبارك وتعالى هو الذي سخر كل هذه الأشياء للإنسان وجعلها طوع بنانه يستخدمها بالأسلوب الذي يراه. وهذه المـــواد الكيماويـــة مـــن العنـــاصر

والمركبات والنظائر المشعة بعضها مرئي وبعضها غير مرئي ولكنها جميعا في خدمة الإنسان سخرها لصالحه وفقا لمشيئة الله وقدرته فكل عناصر المادة لها من الصفات والخصائص ما خصها الله تبارك وتعالى به من خلال قدراته الخلاقة وبديع صنعه.

*****

لقد أدى استعمار الغرب للعالم الإسلامي إلى أن أخذت صفوة المجتمـــع في تقليد الحضارة الغربية والأخذ بأطراف منها لكن النتيجة كانت مؤسفة في جميـــع الأحوال، حيث لم يبلغ معظم الطلاب المسلمين في تحصيل العلوم العربية مســتوى زملائهم الغربيين، بل إنهم من ناحية أخرى فقدوا أصول حضارتهم الإسلامية ذاتها فصاروا موزعين بين حضارتين تمزقانهم كل ممزق يتجاذبهم فصاروا من المستهلكين للتكنولوجيا التي خيبت ظنهم لأنهم لم يتقنوها فلاموها.

ولاشك في أن الدعوة إلى جعل العلم إسلاميا دعوة إيجابية حيـــث أنهـــا لا تستهدف نبذ النمط الغربي جانبا وإنما تهدف إلى تحقيق التربية الإسلامية والإصلاح الجامعي. والواقع أن المدارس والجامعات في كافة الدول الإســـلامية تعـــاني أدواء مستفحلة لأن التدريس فيها لا يزال خاضعا خضوعا كبيرا للتقليد دون انتقـــاء أو هو يقوم على التقليد الذي لا يسمح بالنقد.

إن العلوم لا يمكن أن تصير إسلامية إلا إذا أبرزت على الصعيـــد العملـــي إنجازات رفيعة المستوى للعلماء المسلمين الذين يؤمنون بالإســـلام ويطبقونـــه في أقوالهم وأفعالهم وإلا إذا قدر المجتمع هؤلاء العلماء حق قدرهم. أن حلم توحيـــد العلم لا يمكن أن يغني عن التخصص المطلوب في مختلف فروع العلم.

ومجمل القول أن مصطلح العلم الإسلامي يقصد به العلم الذي تسيطر عليه الروح الإسلامية بممارسة علماء مسلمين له جريا على القواعد المنهجية للعلم.

٩- تأصيل العلوم الاجتماعية

نشأت العلوم الاجتماعية في دائرتين :

الدائرة الأولى : في أحضان الفلسفة المادية

الدائرة الثانية : الذين قاموا بها هم اليهود فى أحضان الصهيونية والتلمـــود وبروتوكولات صهيون

علم الاجتماع والأخلاق من دوركايم إلى ليفي بريل

علم النفس : فرويد

الوجودية : من كيرجراد إلى سارتر

من الثابت إلى المتحرك من أرسطو إلى هيجل

نظرية التطور من دارون إلى أوجست كونت

تأصيل العلوم الاجتماعية

ما يزال تأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية هو أكبر أهـــداف الصحـــوة الإسلامية حيث يرى المسلمون أن العلوم في المجتمعات الغربية مستقلة اســـتقلالا تماما غير ملتزم بالقيم الأخلاقية وفقا للصيحة المعروفة في الفن والأدب (الفن للفن) فالعلوم تمارس لديهم وكأنها طقوس دينية مقدسة، إن عبارة (الإخلاص خـــارج العلوم) يمكن أن تكون اليوم عقيدة عالم الطبيعة الغربي المسيحي المؤمن بالعلوم إيمانا مطلقا فهو لا يؤمن بالدين وإنما بالعلم، إن تعريفه لمعنى لفظة الجلالة (الله) تبـــارك وتعالى ستصطدم في كل الأحوال بثغرات وعقبات أما تعريفه للإنسان فسينتهي إلى اعتباره آلة رخيصة مبتذلة وذلك بوصفه نما اجتماعيا وخطرا محققا على المســـيرة التكنولوجية والواقع الحقيقي أن الدين يعتبر في عصر العلوم لطبيعية اليوم صـــورة متواترة للتخلف العقلي وعجز الإنسان عن حل مشكلاته أو التغلب عليها، لقـــد

أراد (نيتشه) أن يحجب الإله فباءت محاولته بالفشل وكان لزاما أن يفشـــل، أمـــا علماء الإيمان فقد تعمدوا قتل الإيمان به وقد كان لهم ما قصدوا إليه قصدا، ولكن الأمر لم يستمر فقد كشفت حقائق الإيمان بالله تبارك وتعالى وجوده، أما الفلسفة المادية فلا تزال ملحدة. على أن العلوم الطبيعية التجريبية الوضعية (الـــتي أقصـــت الدين وزحمته) لم تستطع بحال أن تملأ مكانه الشاغر خاصة من حيث مغزى الدين وجدواه ووصفه للمعايير الخلقية.

أن العلوم الطبيعية في واد والدين في واد آخر كلاهما يتعامل مـــن موقعـــين بعيدين كما لو كانا على كوكبين مختلفين.

والواقع أن العلم أثقل الإنسان المعاصر في ميدان العقائد بالشكوك والريبـــة وافقده الطمأنينة واليقين وأورثه التقديس الأعمى لرصيد البيانـــات والأرقـــام وتسجيلها وخزنها ودفع به إلى أزمة مستمرة في البحث عن ذاته وليس المســـلمون وحدهم هم الفئة الوحيدة التي تستنكر هذا التطور غير السوي للعلـــوم الطبيعيـــة باعتبارها بديلا رديئا عن الدين.

ولكن المعرفة لم تلبث أن غلبت من جديد في إثباتها أن الدين لا يمكـــن أن ينتهي وأنه من الضروري أن يبقى وأن فكرة انقضاء اجل الدين كـــانت فكـــرة محدودة الأفق.

ولقد أدى ذلك إلى اندحار الدارونية وزوال ســـيطرة ســـيجموند فرويـــد وكارل ماركس، والطبيعة القديمة ومازال علماء الطبيعة يتراجعون ويصبحون أشد تواضعا يوما بعد يوم بعد ما تبين لهم أن كل ما يطلق عليه لفظة قوانين الطبيعـــة ليس إلا تصورا لقيم تغريبية وأن العالم ليس كما كان يظن أنه آلة تعمـــل وفقـــا لمفهوم العلية.

أن العلم اليوم يحاول أن يتحرر من قيود الاستعلاء والغرور القديم وهكذا يجرى التحول نحو الإيمان بالغيب (الذي هو الدين والوحي) دون أن يتناقض ذلك مع العلم وذلك مقدمة لأن يخضع العلم لمفاهيم الدين الحق. وهكذا تتراجع قضايا العلوم الطبيعية الحديثة القائمة على الفلسفة المادية والتي تتعـــارض مـــع مفـــاهيم الإسلام وينكشف كل يوم فسادها وعجزها عن أن تقدم للبشرية عطاء الـــروح وأشواق النفس. فالإسلام يضع العلم بمفهوم الطبيعة في إطار التكامل الإســـلامي الجامع بين القيم أساسا.

أما العلوم الإنسانية والاجتماعية فهى تصدر أساسا عن الفلســـفة الماديـــة المنهارة

علم اجتماع إسلامي

هذا هو منطلق البدائل الإسلامية المتصلة بالمنهج الإسلامي الذي بزغ فجره مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وهو " التأصيل الإسلامي للفكر المعـــاصر والخروج من التبعية فما تزال معركتنا الرئيسية والكبرى مع تحرير القيم وتصحيـــح المفاهيم في مواجهة الحملة الضخمة التي تزداد كل يوم اتساعا وتشمـــل القـــوى الغربية الإلحادية والباطنية والإباحية في مخططها الموزع بين العلمانية والماركســـية والقومية والفكر الصهيوني المتداخل في مجالات الاجتماع والنفس والأخلاق.

فإن هذه التصورات التي أطلق عليها زيفا وبهتانا اسم العلوم قـــد بـــرزت وتطورت في غيبة الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي فضلا عـــن أنهـــا لم تســـتمد منظوماتها من الفكر الإنساني الأصيل الذي قدمته الأديان وفي خاتمتها الإسلام ولا تستمد مقوماتها أيضا من العلوم التجريبية وإنما تعتمد أساسا على جـــدار منـــهار ساقط هو (الفلسفة المادية).

فقد قدم الفكر الغربي (في محيط الاستشراق والتعريب) في(أفـــق الفكـــر الإسلامي) أفكارا جاهزة وآليات متعددة لتهميش الدين كوحي وطرحه كظاهرة وجاء الفصل بين العقل والوحي من ناحية وبين العلم والأخلاق من ناحية أخرى هو جوهر الخلاف بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي.

ونتيجة الصراع التاريخي بين الكنسية كمرجعية مقدسة والعقل الغربي الذي حطم كل قيود الضوابط والحدود التي أقامتها الأديان، أن نشأت أفكار مســـمومة أهمها : أن الوجود ينحصر في الإنسان الذي قد أصبح غير محتاج إلى معطيات غيبية ومن ثم فإن الإنسان سيد الكون (بينما هو في الإسلام سيدا تحت حكم الله تبارك وتعالى) ومن ثم فإن الإنسان حيوان اجتماعي يحمل بين جنبيه نفسا تتحكم فيها مجموعة من الغرائز.

أمام هذا التصور المادي الصرف يبرز التصور الإسلامي ليعلن أن الإنســـان والكون يبتدئ كلاهما من الله تبارك وتعالى وينتهي إليه سبحانه وأن الطبيعة تخضع لسنن مضطرده وأن الوصول إلى الحقيقة يعتمد على العقل والوحي معا.

****

ومن هنا فإن العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية : ترتبط بنمط حضاري استعماري يهدف إلى (تغريب) العقل المسلم وقد كانت المستعمرات حقلا خصيبا لتنمية هذه (التصورات لا العلوم)، حفاظا على الوجود الاستعماري ومن هنـــا كان اختلاف الغرب حول هذه المسماة بالعلوم الإنسانية والاجتماعيـــة وتـــردد العلماء بين قبولها وعدم قبولها ضمن تصنيفات العلوم الأخرى الطبيعية واختلفـــوا حول علميتها.

وكان في مقدمة أوجه الخلاف : الشك في أن التطور الاجتماعي مثل التطور البيولوجي.

وهكذا خضعت العلوم الاجتماعية لسياسة التوجيه الغربي وأصبحت أداة من أدوات إبقاء النفوذ والسيطرة الغربية على العقل المسلم ومن هنا كان لابد من إيجاد (البديل الإسلامي).

هذا البديل ينطلق من الدعوة الأصيلة إلى (العودة إلى المنابع) والتصور الإسلامي الأصيل الذي قدمه القرآن الكريم والسنة المطهرة وما به ويجرى في طريقه من التراث الإسلامي.

(مع الاحتراس من التراث الباطنى المتصل بالفلسفة اليونانية والتصوف الفلسفي والحلول والاتحاد ووثنيات الفرس والغنوصيه الشرقية)

ويبدأ علم الاجتماع الإسلامي من منطلق التراث الإسلامي الأصيل ودراسة الوضع الاجتماعي للعرب بوصفهم حملة لواء الإسلام الأول إلى سائر أنحاء الأرض.

والتراث العربي الذي سيعود إليه علماء الاجتماع الغربي - كما يقول أحد الباحثين الذين اعتمدنا عليه في هذا البحث - هو التراث الذي خلفه "العلماء" المسلمين الذين لم يكن لهم صلة بالقومية بالمعنى الوافد المعاصر.

و لم يكن هذا التراث الاجتماعى مستقلا فكرا أو منهجا عن التأثر الإسلامي (جهود الجاحظ والغزالي والتوحيدي وابن خلدون).

وقد تأكد البحث أن الرؤية القومية للتراث إنما جاءت رؤى علمانية انتقائية وليست حضارية (ما يسمى بالروئة الثورية والتعددية للتراث)، ولقد كان التصور القومى عرقيا شيفوفيا وليس عقائديا لأنه يضع الدين ضمن العادات وينظر إليه لا هوئية (هى نظرة تختلف عن نظرة الإسلام بوصفة منهج حياة جامع) وهكذا

عجزت التصورات القومية الممتدة من تجربة الغرب عن أن تكون أســـاس لمنـــهج علمي اجتماعي أصيل فهي نزعة قومية وليست اتجاها مذهبيا ومن هنـــا جـــاءت حظوة تأصيل علم الاجتماع وأسلمة علم الاجتماع وليس معنى ذلك أن العلـــوم الإنسانية كافرة والإسلام يسعى إلى أسلمتها ولكن المعنى هو إنها قاصرة من حيث تصورها للإنسان بصورة حيوان وبكونه يعيش على أدواته الماديـــة دون تقديـــر للجوانب الحقيقية المحجوبة وهي النفس والروح والوجدان وما يتصـــل بهـــا مـــن مفاهيم الغيب والوحي والألوهية والنبوة وما يرتبط بالإنسان نفسه من المســـئولية الفردية والالتزام الأخلاقي.

١٠ – انهيار النظام الغربي وعجزه عن العطاء

يقوم النظام الاجتماعي في الغرب على محورين : الليبرالية والاشتراكية وكلاهما امتداد للتقسيم القديم حول الفردية والجماعية التي تصارعت عليها الأجيال المختلفة أو الأقطار المختلفة، والدعوات المختلفة. وهي دعوة ترمي إلى تقسيم العالم إلى شطرين : شطر يعلي من شأن الحرية الفردية ويدخل في إطار الليبرالية والرأسمالية بدعوى الحرية وشطر يعلي من شأن سيطرة الجماعة وانصهار الفردية فيها تحت أسماء الاشتراكية أو الماركسية بدعوى العدالة الاجتماعية والحق أن كلا النظامين لم يحقق ما دعا إليه سواء من الحرية أو العدالة الاجتماعية.

ولقد فشلت الاشتراكية وعجز نظامها الاجتماعي والاقتصادي أن يحقق سلاما وأمنا فسقطت في بلادها، وكانت تجربتها فاشلة في جميع البلاد التي حاولت تطبيقها وخدعت بالكلمات اللامعة وبدعوى الخروج من سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي.

وقبل أن يعلن النظام الماركسي فشله وهزيمته كان الليبرالية الرأسمالية قد سقطت في عديد من الأزمات والصراعات وليس صحيح أن سقوط الشيوعية هو مقدمة لانتصار الليبرالية لأن كليهما يشطر القضية فيعلي من شأن جانب ويخفض الجانب الآخر.

ولقد كان الإسلام منذ أربعة عشر قرنا قد جاء ليحرر البشرية من هذه المعادلة الخاسرة، ذلك أن المجتمع الصالح لابد أن يكون مزيجا من العنصرين على النحو الذي يقدمه الإسلام والذي عرفته البشرية مطبقا اكثر من ألف عام قبل أن يقع المسلمون في أخطاء الانحراف والتحلل حيث أخذت المغريات تصرفهم عن التمسك بمنهجهم الأصيل.

لقد ذهبت الليبرالية إلى السيطرة الكاملة على الموارد والثروات بأسلوب يعلي من شأن الفردية واستهلاك الموارد العامة دون النظر إلى الاحتياجات الأساسية للمواطنين الفقراء في الداخل دون اعتبار إلا بزيادة غنى أصحاب الثروات الضخمة وتحلل المجتمع بسقوطه في مختلف أنواع الفساد والانهيار الخلقي.

مع تنامي قدرة أصحاب المصالح المالية الكبرى فى السيطرة على السياسة الاقتصادية إلى حد هدد العملية الديمقراطية ووصل هذا الحد إلى ذروته في اليابان والولايات المتحدة وإيطاليا.

لقد كانت هذه الثروات الضخمة قد تكونت في خلال القرنين الماضيين نتيجة سيطرة دول أوربا على منابع الخير في إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية حين وضعت أوربا يدها على البلاد الإفريقية والآسيوية بالاستعمار ونهب الثروات ونقل المواد الخام إلى مصانعها ثم إعادة صنعاتها لبيعها مره أخرى في بلاد أفريقيا وآسيا حتى أن سوكارنو وصف مدى النهب الذي حققته هولندا بأنه يمثل سورا من الذهب يمتد من إندونيسيا إلى هولندا و لم تتوقف الدول الكبرى عن نهب المواد بل إنها سيطرت على مصادر الفكر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وحرمت هذه البلاد من امتلاك إرادتها أو تطبيق مناهجها وشريعتها وعقائدها ووضعتها تحت سيطرة التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافي.

ولكن النظام الاقتصادي الغربي لم يعد اليوم قادرا على تحقيق أي هدف صالح للأمم الواقعة تحت السيطرة والتي تختلف مع أصحاب النفوذ من ناحية العقيدة وموقفها من الربا والتحلل الخلقي والقيم كما أنه يحول بين المسلمين وبين التصرف في ثرواتهم على النحو النافع لهم وهذا أمر لا يمكن أن يستمر طويلا ولابد أن يعود المسلمون إلى امتلاك إرادتهم وإقامة مجتمعهم الرباني.

١١ - التحرر من تبعية الفلسفة المادية

مادة الفلسفة التي تدرس في مدارسنا وجامعاتنا تقدم تصورا للفكر الغـــربي منذ أيام اليونان والرومان في مراحلها المختلفة حتى وصلت إلى الفلسفة الحديثة التي هي الفلسفة المادية مستمدة من الوثنية القديمة. ولا تدرس مفـــاهيم الإســـلام في دائرة هذا التصور ألا على أنها مرحلة صغيرة تلقي فيها العرب فلسفات اليونــــان وحفظوها حتى أعادها الفكر الغربي الحديث إليه مرة أخرى أما مفهوم الإســـلام للحكمة التي شكلها علماؤه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية فلا يعرض له إلا عرضا يسيرا كأنما لم يكن لها وجود وأثر.

ولقد استطاع علماء المسلمين في العصر الحديث تصحيح هذه الخطة الظالمة فكشف الشيخ مصطفى عبد الرازق عن أن الفلسفة الإسلامية تبدأ مـــن الإمـــام الشافعي وكتابه (أصول الفقه) فالشافعي وليس أرسطو هو معلم المسلمين واليـــوم يصرخ العلمانيون عندما وجدوا مفاهيم الفلسفة المادية ينكشف فسادها واضطرابها ذلك أنهم يعلمون أن هذه الفلسفة هى منطلقهم إلى السيطرة على العقل الإسلامي ودفعه إلى العلمانية واعتناق مفاهيم الليبرالية والماركسية والخوض في هذا الـــتراث المضطرب كله.

ومن هنا فقد دعا علماء الإسلام إلى تنقية مادة الفلسفة مـــن التصـــورات الغربية والتعليقات التي كتبها المشاءون من فلاسفة المسلمين جريـــا وراء التصـــور اليوناني (أمثال ابن سيناء والفارابي وابن رشد)

حيث إن هذه التعليقات التي يعاد نشرها اليوم إنمـــا تهـــدف إلى زحزحـــة الشباب المسلم عن الهوية الإسلامية. فنحن مطالبون بنظرية نقدية عربية إســـلامية وذلك بوصفنا مجتمعا عربيا إسلاميا يسعى جاهدا في طريق النمو ويريد أن يحـــدد المعالم الفكرية والمبادئ النظرية لشخصيته القومية - على حد تعبير أحد البـــاحثين

بطريقة مستقلة تحميه من الوقوع أسيرا في شباك الفكر الأجنبي وسمات النظرة النقدية الغربية:.

السمة الأولى : النظر إلى المذاهب الفلسفية في ارتباطها بظروف المجتمع الذي نشأت فيه ويترتب على ذلك أن يصبح لكل مجتمع فلسفته الخاصة ونظرياته الذاتية النابعة من صميم أوضاعه الداخلية وظروفه الاجتماعية، وتعتمد نظرتنا على رفض الحلول الغربية والمذاهب الاجتماعية للمشكلة الفلسفية لأنها ثمار تربة اجتماعية أجنبية وليست ثمارا لبيئة عربية قومية.

ويدعونا هذا إلى البحث عن حلول تكون نابعة من واقعنا العربي وديننا الإسلامي فنحن لنا تقاليدنا وظروفنا وتاريخنا وعقيدتنا السماوية التي نتمسك بها ونعتز بها والتي يجبرنا على عدم نقل كل نظم الآخرين أو اقتباس شئ من نظرياتهم ومذاهبهم فإن كل مجتمع يختلف عن غيره ولابد أن تنبع حضارته من ضميره الذاتي وتاريخه الطويل.

السمة الثانية : رفض الحلول الأجنبية والبحث عن حلول عربية للمشكلات الفلسفية كما نرفض الحلول الأخرى التي لا تتلائم مع تراثنا واقعنا وظروفنا الخاصة. ويجب أن نعتقد أن حلول المشكلات الفلسفية لا تصلح لكل زمان ومكان أو تتوافق مع ظروف كل المجتمعات والذين ينادون بذلك يروجون لنوع جديد من السيطرة الفكرية الأجنبية وذلك لينفذوا من خلالها إلى المجتمعات الإسلامية ليقضوا على شخصيتها ومن وجهة النظر العربية الإسلامية فهى لا تقبل كل المذاهب والفلسفات الأجنبية على علاتها وكذلك لا ترفضها برمتها بل تقبل ما يتوافق مع مفهومها الأصيل : مفهوم التوحيد مع سمة الوسطية والاعتدال وجامعا بين الروح والمادة والدنيا والآخرة والفرد والمجتمع.

١٢ - سقــوط نظــريـة مالتـــوس

كانت نظرية مالتوس في حقيقتها خطة متآمرة من خطط الغزو الاجتماعي لأنها ربطت نفسها بتحديد النسل حين أعلنت أن الموارد في الطبيعة لـــن تكفـــي البشرية غير أن فائض الغذاء الذي يشهده العالم في السنوات الأخيرة قد دحـــض نظرية مالتوس وقوض الأساس المادي لنظريته، إن الذين يروجون لخطـــر الجـــوع والانفجار السكاني إنما يبررون تضخم الموارد التي تستهلكها الشعـــوب الغنيـــة، وسوء التوزيع هو مصدرها وإنما ترمي النظرية في أساسها إلى ترويع الدول الفقيرة وإجبارها على الخضوع للسياسة الغربية حتى تستطيع إشباع أبنائها.

إن هذه النظرية قد تجاهلت حقيقة أساسية أقرها القرآن الكريم { أن خالق الأرض قد قدر فيها أقواتها} ولكن وزراء الزراعة في كثير من أنحاء العالم أعلنوا عن الوفرة وتلاشت فكرة المجاعة، وأصبحت نظرية : أن الجنس البشري يتكـــاثر بسرعة بحيث يتم استنزاف الموارد الطبيعية بسبب ذلك، أصبح هذا الفكر موضـــع شك إن لم نقل أنه قد سقط، لقد أصبح العالم اليوم قادرا على إنتاج ما يحتاجه بل وأصبح فائض الغذاء - لا ندرته - هو المشكلة.

ولقد تبين : أن السبب الرئيسي للأزمات هو سوء التوزيع، أنهم يدعون إلى تنفيرنا من المولود الجديد لما أسموه بخطر ازدياد السكان مع أن هذا المولود الجديد يستطيع إن توفرت له الفرص المناسبة أن يطعم نفسه ومن حوله.

إن الغرب لا يزال ينظر إلى الدول النامية على أنها أفواه جائعة على الـــدول المتقدمة أن تعمل على إطعامها وهذه النظرة هي امتداد للنظرة الاستعمارية الـــتي كانت تعتبر أن الشعوب المختلفة هي عبء الرجل الأبيض وهم في الحقيقة يرغبون في الإبقاء على قوانا محجمة ليسهل عليهم أن يفعلوا ما يشـــاءون بنـــا وبثرواتنـــا ويصادروها، لقد استطاعت دول كثيرة اليوم إطعـــام نفســـها أمثـــال الصـــين

وبنجلاديش والهند، و لم يعد العالم مقسما بين حفنة من الأغنياء وحفنة من الجياع فقد اكتفى العدد الأكبر من الجياع ذاتيا، ولقد زاد فائض الغذاء وسقطت دعوات الشؤم.

****

١٣ – *فساد التصور الفرويدي للنفس الإنسانية*

إن ظاهرة سقوط الأيدلوجيات وتداعي المدارس الاجتماعيـــة والإنســـانية أصبح واضحا فقد تراجعت الدارونية والفرويدية والماركسية والعلمانية وتكشفت حقائق كثيرة تثبت أن هذه المذاهب لم تكن علوما ولكنها كانت وجهات نظـــــر عقلية عرضة للخطأ والصواب وإنها لم تكن علوما مستقلة للبشرية كلـــــها وإنمـــا كانت وجهات نظر للفكر الغربي في مرحلة انفصاله عن الديـــــن وردود أفعـــال لتحديات مواجهة. ومن هنا فقد عجزت عن العطاء الحقيقي، وسقطت تماما حين نقلت إلى مجتمعات أخرى وخاصة المجتمعات الإسلامية التي تحمل منهج جامعـــــا ربانيا مرنا قادرا على تعديل متغيرات المجتمعات وتحولات الحضارة يقول ايزنيـــك عالم النفس الأشهر :

(إن الجديد الذي جاء به فرويد يخلو من الصواب والصائب الذي قال به لم يكن جديدا)

ويثبت (ايزنيك) : أن منهج أو أسلوب التداعي للأفكار الذي زعم فرويـــد أنه ابتكره كوسيلة للعلاج النفسي يجعل المعالج يطلق العنان لذكرياته وأفكاره دون

تدقيق أو مسلسل منطقي لم يكن من ابتكاره وإنما كان من ابتكار أخر هو (سيرفي أسس جالتون) قبل فرويد بأكثر من ربع قرن.

وقد ثبت أن فرويد قد سرق منه فكرته الأساسية عـــن ارتبـــاط دوافـــع الإنسان ورغباته وتصرفاته بدوافع الغريزة الباطنية وغير الواعية. وقد ذهب بعـــض الناس إلى أن تفسيرات فرويد التي تعتبر العقل الباطن معبرا عن رغبات مكبوتـــة لا يستطيع العقل الواعي تحقيقها أو البوح بها، هذا لم يكن مـــن وجهـــة نظـــره إلا تعبيرات عن الغريزة الجنسية والحيوانية في الإنسان. وقد فسرها (بافلوف) على إنها نشاط ذهني للمخ لا يختلف عن نشاطه في اليقظة وأنها محصلة أفكـــار وإحـــداث الماضي والحاضر وقد يكون مصدرها المنبهات الصادرة عـــن الأعضـــاء الباطنيـــة للجسم كامتلاء الأمعاء أو صعوبة التنفس. ويرفض العلماء الماديون والوجوديـــون والعلمانيون فكرة الأحلام الصادقة الصادرة عن نشاط الروح خارج الجسد أثنـــاء النوم، كما رفضوا أي علاقة لها بالأخبار المستقبلية وقالوا عنها إنها أفكار أسطورية بدائية تسببت في نشأة الأفكار الدينية في العالم الآخر لدى الشعوب البدائية القديمة وغاية القول في (الفرويديه) أنها قطاع من الفلسفة المادية التي هي مصدر العلـــوم الإنسانية والاجتماعية (النفس والأخلاق والاجتماع) ولدى المسلمين فى هذا كله مفهوم أكثر نضجا وأكثر سماحة وأكثر مرونة فهو يقيم الأحلام على ثلاث مناهج : منها ما سببه أهواء النفس ومنها ما هو نتيجة لاضطراب المعدة ومنها ما هو قادم من خارج الجسد من الروح وهذه هي الأحلام الصادقة. وتقول الكاتبة الإسلامية مايسة عبد الرحمن : إن لفرويد مشكلة نفسية خاصة مع والديه جعلته أختلق فكرة عقدة أوديب ونظرية تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة، هـــذا كمـــا أن أبحاثـــه اقتصرت على العينات المريضة والشاذة التي تتردد على عيادته ثم عممـــها علـــى الجنس البشري كله لكي يدفع عن الجنس اليهودي ما عرف عنـــه مـــن خســـة

الأخلاق مما دفع العالم كله إلى تحقيرهم وطردهم وإبادتهم فأراد أن يقول للعالم كله انتم جميعا متطبعون بصفات وضيعة ولكنهم يكونها فمرضهم وعلاجهم هو حرية التعبير عنها وعلى الرغم من عدم منطقية فلسفته وتعسفه الجلي في تفسيراته مما أثار سخط تلاميذه أنفسهم واتخاذهم منه منحى مخالفا إلا إن الدعاية الصهيونية قامت بنشر أفكاره والترويج لها واعتبرته رائدا لمدرسة التحليل النفسي.

وقضى سلامة موسى زهرة حياته خلال أكثر من أربعين عاما ينشر أفكار فرويد ويدافع عنه ويتحدث عنه كقديس لقد آمن به بعض العلمانين وتجاهلوا أن الإنسان روح وجسد،. ولقد وضح منذ وقت بعيد الخلاف العميق بين وجهة النظر التي قدمها الإسلام عن النفس والأحلام وبين وجهة النظر الغربية التي تعتمد على مفهوم فرويد (الذي يطلق عليه علم التحليل النفسي اليهودي). ويعتقد هومان أن كتابات فرويد بعثت من جديد جو المأساة في تفكير الإنسان المعاصر وعلى الرغم من أن التحليل النفسي يرمي إلى تحسين حال المريض فإن (فرويد) كان أميل إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل فهو يصرح بعدم وجود الدليل الكافي على ضرورة انهاء العلاج بالتحليل أما رأيه في قصور الإنسان دون الوصول إلى الكمال فلم يستمده من المسيحية بل من دارون فتطور الإنسان ابتداء من الحيوان ذي الخلية الواحدة هو الذي قضى عليه بالموت. وقد استعار فرويد من المأساة اليونانية المواقف والتشبيهات للتحدث عما يعتري النمو النفسي من عقبات والصراع بين إله الحب و إله الموت و.. مما ينتهى بانتصار الموت فى النهاية (بمفهوم عقدة أوديب).

والعلماء ينكرون على فرويد نظرته الضيقة إلى مفهوم الإعلاء لأن فرويد ينكر الاستغلال الروحي ويعد الحالات النفسية العليا كالإلهام الشعري والحب الصوفي مجرد تحويلات دافقة للغريزة الجنسية. وهكذا يفرض فرويد على الفكر

الغربي مفهوم اليونان والفكر اليهودى الذي يحتقر الجويتم ويرفض مفهوم المسيحية ويحاربه بشدة.

١٤-تهافت نظرية الأحلام الفرويدية

يزعم فرويد أن الأحلام هي الطريق الملكي لفهم الشخصية الإنسـانية وأن الحلم المشوه يمكن للمعبر تجميله والناقص يمكن تكميله، والذي لا معنى له إثباتـه وتفسيره.

وانتشرت نظرية الأحلام الفرويدية انتشارا واسعا حتى إن المحللين النفسيين يتخذونها وسيلة عامة في علاج المرضى النفسيين والعصابيين ويسـتخدم هـؤلاء المحللون النفسيون نفس الطرق والوسائل التي وصفها فرويد في مؤلفاته وعلاجاته.

ويزعم فرويد أن الشخصية الإنسانية لا يمكن فهمها شعوريا أو ظاهريـا حيث أن الشعور الظاهري لا يعبر عن حقيقة الإنسان حيث أن الإنسان شعوريـا يرتدي قناعا يخفي به لا شعوره أو باطنه ومن ثم فإن من الصعـب اسـتكشاف حقيقته، ولذلك يستوجب أن ينفذ إلى لا شعوره ومعرفته عن طريـق اسـتخدام الوسائل الآتية: فلتات اللسان، زلات القلم، التنويم المغناطيسي، التداعـي الحـر والتداعي المقيد، الإسقاط،، تفسير الأحلام.

وبهذه الطرق المحدودة يزعم فرويد وأصحابه إمكان التعرف على الشخصية ومن ثم معالجة أمراضها وأشفاءها ويصف فرويد (اللاشعور) وصفا جامعا بتخيله مخزن الأفكار ومصنع الأحداث وأنه يجمع كل شئ داخله فكل شئ في اللاشعور ولاشيء خارجه.

ولكن نظرية تفسير الأحلام التي يعتمد عليها فرويد لا تؤدي في الحقيقـــة إلى أي نتائج صادقة في معرفة الشخصية ومن ثم علاجها.

وإذا وضعنا نظرية الأحلام هذه في المنظار الإسلامي لوجدنا عمقها وتهافتها وبعدها عن سواء السبيل.

إن الله تبارك وتعالى قد ذكر في آياته البينات على لسان العزيز { **يأيـــها الملأ إفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** } ومن هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن هناك فرقا شاســعا بـــين الرؤيا الصادقة وبين الأحلام وهي الأباطيل. فالرؤيا لها تفسير كما فى رؤيا يوسف ورؤيا إبراهيم عليهما السلام وكان لها تأويل ثبت صدقه وصحته أمـــا أضغـــاث الأحلام فلا تأويل لها ولا تفسير، تصديقا لحديث عائشة رضي الله عنــــها عـــن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن { **الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**} وأن الأحلام تنقسم إلى سبعة أقسام كما أجمع العلماء المسلمون مثـــل أبـــن ســـيرين والنابلسي وابن شاهين وهي :

أماني النفس، الحلم الموجب للاغتسال، تحاســـين الشيطـــان، الذكريـــات القديمة، أو الرجع، أفعال السحرة، الحلم الشيطاني، اختلاق الأمزجة.

وهذه الأحلام أو الأباطيل لا تفسير لها ولا تأويل ولا يعول عليها ويرى ابن سيرين والنابلسي وغيرهما من علماء المسلمين، أن السبب في ذلك أن الحلم عبارة عن أضغاث وتحاسين وتخاويف شيطانية ولا يعقل أن يأتي الله (تبارك وتعـــالى) إلى النائم فيخيفه أو يرعبه ويحلل له حراما ويحرم له حلالا أو يهول له الأمر أو ويجعل له الخير شرا والشر خيرا.

لذلك فإنه يتوجب على النائم الذي يرى رؤيا أن يضعها على ميزان الشريعة فإن واكبت الرؤيا الشرعية فلا جناح عليه يعبرها.

ومن هذا يتضح لنا أن نظرية الأحلام لا تصدق أبدا في التفسير والتـــأويل والعلاج، لأنها تخلط بين الرؤيا الحقة والحلم الشيطاني وتجعلها من أصول واحـــدة ومادام الغرض الذي وضعته نظرية الأحلام الفرويدية كاذبا فإن النتــائج تكــون بالضرورة كاذبة.

١٥ – *نظرية التحليل النفسي وشخصية فرويد اليهودية*

تقول السيدة مايسة عبد الرحمن : إن لفرويد مشكلة نفسية خاصة مـــع والديه جعلته اختلق (عقدة أوديب) ونظرية تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة.
هذا وقد انصبت أبحاثه واقتصرت على العينات المريضة والشاذة التي تتردد علـــى عيادته ثم عممها على الجنس البشري كله لكي يدفع عن الجنس اليهودي ما عرف عنه من خسة الأخلاق مما دفع العالم كله إلى تحقيرهم وطردهم وإبادتهم، فأراد أن يقول أن العالم كله مصاب بصفات وضيعة ولكنهم يكبتونها فمزقتهم وعلاجـــهم هو حرية التعبير عنها وبالرغم من لوم تابعية وتعسفه الجلي في تفسيراته ممـــا أثـــار سخط تلاميذه أنفسهم واتخاذهم منحى مخالفا إلا أن الدعاية الصهيونية قامت بنشر أفكاره والترويج لها واعتبرته رائدا لمدرسة التحليل النفسي.
أما بافلوف فكان تحقيقه الأساسى في بحوث الحيوانات لإثبات العلاقة بين الجهاز العصبي والسلوك ثم عمم استنتاجه على الإنسان !.

(٢)

وتتحدث السيدة مايسة عبد الرحمن في بحثها المستفيض عن اختلاف مفهوم علماء الطبيعة الماديين ومعتقدات الفلاسفة ومن رأي الأديان السماوية فيها.

وقد ذهب بعض الناس إلى ترديد تفسيرات فرويد التي فسرها بأنها تقيد العقل الباطن عن رغبات مكبوتة لا يستطيع العقل الواعي تحقيقها أو البوح بها وكانت كلها من وجهة نظره ما هي إلا تعبيرات عن الغريزة الجنسية في الحيوان والإنسان ونشرها (بافلوف) على إنها نشاط ذهني للمخ لا يختلف عن نشاطه في اليقظة وإنها محصلة أفكار وأحداث الماضي والحاضر، وقد يكون مصدرها المنبهات الصادرة عن الأعضاء الداخلية للجسم كامتلاء الأمعاء أو صعوبة التنفس وباختصار يرفض المحدثون الوجوديون ومنهم العلمانيون فكرة الأحلام الصادقة الصادرة عن نشاط الروح خارج الجسد في أثناء النوم كما يرفضون أي علاقة لها بالأخبار المستقبلية وقالوا عنها إنها أفكار أسطورية بدائية تسببت في نشأة الأفكار البدائية في العالم الآخر لدى الشعوب البدائية القديمة.

٢- فرويد والمأساة

يدعي أتباع فرويد أن جو المأساة هو جو الصراع النفسي بين الإنسان والقدر مع انتصار الأخير وهو يتمثل أحسن تمثيل في مسرحيات ايسكيلوس، وسوفكليس ولور بيدس في أثينا في القرن الخامس قبل المسيح وقد قضت المسيحية على الأدب المأساوي لأن عذاب المسيح (بدعوى الصلب التي لا يقرها الإسلام) قد كفل الخلاص واتى بالغفران وكلما لاحت في المسيحية بوادر المأساة عدت خروجا على الدين كالزندقة المانويه التي تنكر انتصار المسيح أي انتصار مبدأ الخير على مبدأ الشر. أو كالزندقة التي تنكر الخطيئة الأولى من القصص التي تدور حوارالها في جو المأساة (الأخوة كرمازوف لدوستوفسكي) ولا يتفق جوها بين القصصيين ومولي ديك للكاتب الأمريكي وهو فان بلغيل، كذا مع الجو الفكري للقرن التاسع عشر وهو جو انتصار النزعات العقلية والعلمية والإيمان المتفائل

باطراد تقدم الإنسانية ويعتقد (همان) أن كتابات فرويد بعث من جديد جو (المأساة) في تفكير الإنسان المعاصر وعلى الرغم من أن التحليل النفسي يرمي إلى تحسن حال المرضى فان فرويد كان أميل إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل فهو يصرح بعدم وجود الدليل الكافي للحكم على ضرورة إنهاء العلاج بالتحليل. أما رأيه في قصور الإنسان دون الوصول إلى الكمال فلم يستمده من المسيحية بل من دارون وتطور الإنسان ابتداء من الحيوان ذو الخلية الواحدة هو الذي قضى علية بالموت.

وقد استعار فرويد من المأساة اليونانية المواقف والتشبيهات للتحدث عما يعتري النمو النفسي من عقبات عقدة أوديب والصراع بين إله الحب وإله الموت والتصور بانتصار الموت على الحياة.

والواقع أن كل هذه اللمحات من الفكر النفسي المادي لا تعطي الباحث الإسلامي إلا أوضاعا مضطربة ومفاهيم فاسدة لأنها في الأساس تسن قاعدتها من مصدر مضلل لا يمكن أن يوصل الباحث إلى الحقائق وأخطر ما يفسد نظرية فرويد هو تجاهله أن الإنسان روح وجسد وهو المفهوم الذي تقوم عليه الفلسفة المادية في كل جوانبها سواء في النفس أو الأخلاق أو الاجتماع على طريقة العلمانية مضافا إليها تقديم مفاهيم التوراة والتلمود والماسونية والبروتوكولات التي تعد كلها الأساس الذي قام عليه هذا الفكر الذي قدمه المفكرون اليهود في كل المجالات وخاصة في علم النفس (فرويد) والاجتماع (دوركايم) والاقتصاد (ماركس) التي تحاول كلها فرض هذه المفاهيم على الفكر الغربي القائم أساسا على الفلسفة المادية.

وحول مفاهيم فرويد فإن فرويد ينكر الاستقلال الروحي ويعد الحالات النفسية العليا كالإلهام الشعري والحب الصوفي مجرد تحويلات وأقنعة للغريزة الجنسية.

ويقول المحلل النفسي (ايزبك) :

إن الجديد الذي جاء به فرويد لم يكن جديدا ويثبت ايزبيك أن منهج أو أسلوب التداعي للأفكار الذي زعم فرويد انه مبتكره كوسيلة للعـــلاج النفســـي يجعل المعالج يطلق العنان لذكرياته وأفكاره دون توفيق أو مسلسل منطقي و لم يكن من أفكاره وإنما كان من أفكار (سيرفي استش جالتون) قبل فرويد بأكثر من ربـــع قرن.ويثبت (جيليز) إن فرويد سرق منه فكرته الأساسية عـــن ارتبـــاط دوافـــع الإنسان واضطراباته وتصرفاته بدوافع الغريزة الباطنية وغير الواعية.

١٦ – *نظرية الصدفة والإيمان بالغيب*

هل للصدفة دور في عملية الخلق سواء للإنسان أم الحيوان أم النبات يقـــول دكتور طبيب : السيد فهمي الشناوي هل يمكن أن تتجمع بالصدفة خلايـــا مـــع بعضها بعضا لتكون إنسانا أو حتى بعوضة !

علماء الرياضة – أي الحساب – وهو أدق العلوم طبعـــا – يقولـــون إن الصدفة لا الاحتمال إذا وجدت فإنه يجب اعتباره صفرا لأنك لو قسمت عـــددا صحيحا ولو ابسط عدد وهو واحد على صفر فإن الناتج هو صفر لأنك تستطيع أن تفتت هذا الواحد إلى ما لانهاية.

يضع تشا لزجاري للصدفة قانونا يسميه قانون الصدفة هو أن ترتيب إي شئ يمكن أن يحدث مصادفة مرة من ٤٨٩ مسبوقة بنتيجة صفر على اليمين مـــن عدد المرات وهذا عدد حسابي تستحيل قراءته أول الخطوة الثانية بعد ذلـــك : أي بعد أن تفرض جدلا أن المستحيل حدث، ما مدى حدوث فائدة من عملية الصدفة هذه، إن الذين يقولون بالصدفة هم ناس فكرهم ملغي أو مغيب أو مريض.

لو أخذنا إنسانا مهما صغر حجمه أو سنه فإننا سنجد أن في المخ نفســـه ثلاثة عشر مليار خلية. وهناك مليارات أخرى في الأحشاء والعضلات والعظـــام والدم الخ فما هو إذن احتمال رص وترتيب هذه الخلايا مع بعضها بعضا حتى لـــو أنها أجسام ميته لا روح فيها على الإطلاق. إن معنى الصدفة يتنافى تماما مع العقيدة الإسلامية فهو إشراك بالله وقد يكون إلحادا أو على الأقل جهلا بقدر الله تعالى.

إن الصدفة في أكثر الفروض براءة هي تعبير عن جهل الإنسان فقط والإيمان بصدفة يعني إنكار دور الله تبارك وتعالى ويكون ذلك جهلا وعدم إعمال للتأمل، ويجب أذن النظر إلى الشيوعية والرأسمالية والوجودية والتواكل على إنها فكـــر (لا إسلامي) ومخالفة للإسلام في أبسط صور الإيمان.

أما ما يحققه أهل هذه المذاهب حاليا من تقدم فإنما هي مدينـــة وليســـت حضارة فالمدنية هي استخدام المادة من سيارة إلى ثلاجة إلى صـــاروخ إلى نظـــام إداري للحكم، بينما الحضارة هي روح وفلسفة ومعتقد وتوجيه للفكر ونظـــر إلى الحقيقة وراء القشرة الظاهرية.

وهذه المذاهب الحالية أشبه بمن ينظر تحت قدميه فقط فقد يـــرى جيـــدا ولكنه لا ينظر إلى مستقبله الذي يحمل له الفناء ويطويه النسيان بينما الإســـلام لا ينظر إلى موقع قدميه فقط وإنما ينظر إلى الأمام دائما وإلى المدى البعيـــد، إلى مـــا لانهاية وإلى الدوام إلى الأبد.

فالمؤسسات القائمة على المادية بصورتيها (شيوعية ورأسمالية) قصيرة العمر جدا فها هي النازية والفاشية لم تعمر عقدا من الزمان وهاهي بريطانيـــا العظمـــى وفرنسا تخرجان من الحرب العالمية الأولى والثانية منتصرتين لينحدرا إلى الخلف تبعية وخضوعا لروسيا وأمريكا وهاهي ذي روسيا تخرج للعالم بالنظام الشيوعي فتكفر به الصين بعد أن آمنت وتكفر به ويخرج عنه سرا وعلنا أهل روســـيا وغيرهـــا.

وهاهي ذي أمريكا تحقق أقصى استفادة من المادة زراعيا وصناعيا وربويا فتندحـــر في فيتنام ثم في جنوب لبنان وهاهي ذي الحرب لا تكف يوما والفســـاد الخلقـــي بكافة صوره لا ينقطع دقيقة منذ سيطرت هذه الأنظمة. ومع ذلك فإن كل مـــا حققه الغرب من تقدم نتيجة حسن استخدامه للمادة إنما يعود إلى منافسة للإسلام ومحاولة التسابق من بعد غزو الإسلام لأوربا فقد استفاد من الإسلام بعضـــا مـــن روح الإيمان بما يتفرع عنها من إحسان ومساواة وعدل وديمقراطيـــة، يكفـــي أن نعرف مثلا أنه حسب المقاييس المادية الصرفة وفي ظل العلمانية الخالصة لا يمكـــن للعقل الأوربي المعاصر أن يؤمن إطلاقا بتواجد طفـــل دون أب ولـــو لا يقـــدس الإسلام بنصوص قرآنية خلق سيدنا عيسى لكانت الحضارة الأوربية المعاصرة تنسى تماما أن هناك سيدنا عيسى.

لقد نقلت أوربا عن الإسلام مظاهر إيمانية دون أن تحـــس، وخاصـــة في الشورى التي أسموها اسما يونانيا (الديمقراطية) و لم يكن الإقطاع الأوربي يعرفـــــها قبلا، ونقلت النظام الأسرى بعد أن كان الجنس عندهم مطلقا ولازال. إن هـــذا التقدم إنما هو تقدم نسبي فقط وبسبب تأخر المسلمين، كما يتســـابق شخصـــان فيخرج أحدهما من السباق وبالتالي يحقق الآخر فوزا واضحا.

لقد كان خروج المسلمين من السباق الدولي حادثا دراميا للإنسانية كلها إن هذا التقدم الأوربي المعاصر هو تقدم نسبي نتيجة الاندحار الذي حققه المسلمون وليس نتيجة قوة ذاتية وحضارة واقعة داخل المجتمع الأوربي فما هو سبب تخلـــف المسلمين هذا الذي أضاع منهم أوربا الشرقية وأمريكا سببه : أنهم آمنوا بوجـــود الصدفة. هذا الاعتقاد بالصدفة كان جديدا على فكرهم بعد أن دخلـــوا أوربـــا واختلطوا بأهلها وتزاوجوا منهم وسمحوا بتواجد أقليات أوربية غير إسلامية داخل كيان الدول الأموية في الأندلس والدولة العثمانية في أوربا الشرقية، ثم انقلبت هذه

الأقليات على المجتمع المسلم حتى نصرته أو طردته، لقد دخل الاعتقاد بوجود الصدفة في الذهن العربي بعد أن ضعف إيمانه الإسلامي فأصبح لا يفرق بين الغيبيات والصدفة، وانتقل من الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالصدفة، والفارق بين الاثنين هو الفارق بين لا ونعم وهو الفارق بين الإيمان والكفر.

فالإيمان بالغيب قائم على التأمل في وجود أي شئ مخلوق لابد أن ينتهي بأنه {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك } لأن الإنسان غير قادر على مجرد التجميع وغير قادر على خلق خلية واحدة فإذن هناك إله وراء هذه العملية : عملية الخلق.

والإيمان بالخالق يستتبعه الإيمان بالغيب واليوم الآخر وعدم المجادلة في أي فروض يفرضها في عبادته من صلاة إلى زكاة إلى حج إلى غير ذلك هذا هو الإيمان منتهى حصيلة التأمل والتفكير السليم.

ولكن الصدفة عكس ذلك تماما لأن من يؤمن بالصدفة يعتبر الصدفة هي التي أوجدت المخلوق وبالتالي لا وجود للخالق.

هذا الخلط بين الغيب والصدفة كان أول الخيط الذي أدى إلى تأخير المسلمين وهذا التأخر هو الذي أظهر التقدم النسبي لأوربا فالإيمان بالغيب هو قمة الإيمان بوجود اله يوصلنا إلى هذا الإيمان بعد التأمل، وإذا آمنا خضعنا وسلمنا لهذا الإله، أما الصدفة فمعناها العكس تماما، لا إله وأن كل شئ يتواجد ذاتيا بغير خالق والصدفة كما رأينا ما هي إلا الجهل، والإيمان كما رأينا ما هو إلا التأمل واستخدام العقل في البحث عن الحقيقة : أي في البحث حتى نعرف الله.

أن الخط الفاصل بين الغيب والصدفة يجب توضيحه تماما في عقل كل طفل مسلم حتى نبدأ نهضة إسلامية جديدة لأنه يوم يبهت هذا الخط الفاصل اختلطت الأمور على أبنائنا في القرون القليلة الماضية وبدا انحدار المسلمين، عندما بهت الخط الفاصل بين الغيب الايماني وبين الصدفة الكافرة خلطوا بين التوكل على الله

والتواكل على الصدف والحظ والنصيب و(المقدر) فالتوكل هو بذل الجـــــهد إلى أقصى مداه حتى إذا كل الإنسان وتعب أتاه مدد الله، أما التواكل فهو العكس هو عدم بذل الجهد واعتمادا على انه (صدفة) سوق تحدث أو أن واسطة سوف تخدمه وقد أبتدع المتكاسلون ليس لها أصل وهي القدر أو الإرادة الإلهية وقد حسم عمر بن الخطاب الموضوع عندما تكاسل أحدهم من الخروج مــــن منطقـــة موبــوءة بالطاعون إلى منطقة أخرى بحجة أن الله قد قدر علية التواجـــد في المنطقـــة الأولى فقال عمر { **نحن نفر من قدر الله إلى قدر الله** } وهذا منتهى استخدام الجـــــهد العقلي فالواقع أن الإيمان هو منتهى استخدام العقل وأن الكفر هو الجهل وتــــبرير هذا الجهل، إذا اعتقدنا بوجود محاربة العقل، وبخاصة العقل المسلم لفكرة الصدفة باعتبارها هي الجهل نكون قد تغلبنا على المذاهب الوضعية سواء شيوعية المادة أو فردية المادة رأسماليا ونحفز أنفسنا على التفوق على كلا المذهبين.

إن نقطة البدء في الخروج على النظام وعلى العدل وأول خيــــط الأجـــرام بمختلف صوره هو الإيمان بالصدفة والتذرع بها وإشاعتها بين النـــاس وان عصــــر النهضة الأوروبية لم يبدأ إلا بعد أن ظهر ما يسمونه (مذهب الشك الديكارتي) هذا الشك هو لفظ يقصد به أعمال العقل والفكر وعدم التسليم بالصدفة وإنمـــا البحث عن الحقيقة، وهذا الذي وصل إليه ديكارت ليس اختراعا وإنما هو نقل عن المسلمين في المجال العقلي أو ما يسمونه التأمل وهو صفة حتمية للإيمان. إذن فمن أوجب واجبات تربية أبناء المسلمين الآن هو تفهم الطفل آيات الله المخلوقــــة في الإنسان وفي الكون وتوجيه الطفل إلى الإيمان بالله بعد التأمل وتحذير الطفل مــــن التواكل أو الركون إلى الصدفة لأنها مدخل فساد كثير.

يقول الدكتور احمد عبد الرحمن : إن الفلسفة النسبية هي السند الفكري الأخير والمرجع النهائي لكل التيارات المناوئة لمبدأ (الثبات الإسلامي) في العقيدة والشريعة والأخلاق والنظم.

(وصفية أو منطقية أو ماركسية أو وجودية أو برجماتية) فالنسبية تزعم أن الحقائق العملية والقيم الأخلاقية والمبادئ التشريعية والنظم الاجتماعية والسياسية كلها تتبدل وتتغير بتغير الزمان والمكان فما كان حقا بالأمس لابد أن ينقلب باطلا اليوم أو غدا وما كان عدلا لدى اليونان قبل قرون من الزمان يستحيل أن يظل كذلك إلى اليوم، لا فرق في ذلك بين قانون وضعي وشريعة دينية وبهذا التصور الشامل للفلسفة النسبية يقرر أنصار التجديد أن الشعر المقفى واللغة الفصحى والعمارة الإسلامية والشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية الخ كانت صالحة لعصر النبوة والراشدين ولكنها لا يمكن أن تصلح لنا اليوم ولا مفر أمامنا من أحد أمرين:

(١) إما نقل نظائرها الأوربية العصرية وإما التخلف عن العصر والفناء تبعا لذلك.

وهذه هي الحقيقة التي أطلت من كلام الدكتور نور فرحات يخوف الأستاذ طارق البشري من إمتدادات النسبية إلى ثوابت الإسلام.

ولقد ولدت النسبية في حجر السوفسطائين الذين صاغوها في العبارة المشهورة (الإنسان معيار كل شئ) بمعنى أنه هو الذي يحدد الحقائق العلمية والقيم الخلقية وبوسعه أن(يعد لها) أو يلغيها أو يستبدل غيرها بها وقد تصدى لهم سقراط.

مدافعا عن موضوعية الحقيقة والقيمة واستقلالها عن إرادة الإنسان وشهواته.

وقد انبعثت هذه الفكرة مرة أخرى في الفكر الفلسفي الأوربي الحديث ولعل نيتشه أول من عبر عنها بأسلوبه الخطابي الزاعق وتبنتها المذاهب الفلسفية المادية الأوربية. وفي الفكر الإسلامي لقيت ترحيبا من أنصار التجديد الذين نشطوا في الترويج لها بوصفها البوابة الفكرية الواسعة للنقل من أوربا.

ويقول أحد الباحثين : لقد تحول المشتغلون بالفلسفة في البلاد الإسلامية إلى وكلاء حضاريين ممثلين لمذاهب غريبة عن بيئتنا، ومعظم المشتغلين في حقل الفلسفة من العرب يقوم بدور الشارح للفلسفة السابقة أو الحاضرة.وهي فلسفة معادية للتاريخ وليس من همها إلا احتواء الشباب الناقصي الثقافة الدينية واستقطابهم حول مفاهيم خادعة تقوم على التحرر والانطلاق والوقوع في الآثام والإباحيات.

بينما يتميز الإسلام والفكر الإسلامي بالتوافق بين الجانب المادي والجانب الروحي في حياة الإنسان بحيث لا يطغي أحدهما على الآخر.

ودعوى الفلسفة المادية برفض الدين يقوم على القول بأنه يعارض العلم والتقدم وهذه مفاهيم قاصرة على دين الغرب، أما الإسلام فإنه يحتضن العلم ويفسح الطريق للتقدم الجامع لعنصريه المادي والروحي.

وقد تحول الإلحاد المعاصر إلى فلسفة واعتقاد وهو يجمع أنصاره في جمعيات ومؤسسات ويؤدي إلى تدهور الأخلاق وتفشي الإباحية.

أما الإسلام فإنه يجمع بين الدين والعلم ولا يجعل بينهما تناقضا وأخطر ما تدعو إليه الفلسفة المادية الاعتقاد بأن المادة هي البديل عن الله (جل جلاله) وانه فيما وراء المادة لا يوجد شئ قط، فهي تنكر الوحي والغيب والدين عامة والبديل عن الدين هو عبادة التقدم المادي وإنشاء أخلاق بشرية لا تتعدى نطاق المنفعة العلمية ومقاييسها في الخير والشر. وتركز على النجاح المادي (المادة والمعدة) ولذائذ الجنس.

أما نحن المسلمون فإننا نؤمن بالله تبارك وتعالى الواحد الأحد مالك الملـــك ونؤمن بكتب الله ورسله واليوم الآخر ونؤمن بأن الإسلام توجيه رباني فهو رسالة جميع الأنبياء والرسل من الخالق الأعظم إلى خلقه والتوحيد هو حجر الزاوية الذي يحرر الإنسان من عبادة الإنسان.

ولا يفصل الإسلام بين الحياة الروحية والحياة الدنيوية، والتوجيـــه الربـــاني يؤدي إلى التوازن والتكامل والصراط المستقيم وهو يحرم بين المادية المفرطة وبـــين الرهبانية المتطرفة في نفس الوقت وما تزال الحرب قائمه منذ الأزل إلى يومنا هـــذا بين الحق والباطل وسيظل الإسلام يواجه ويقارع مؤامـــرات البـــاطل وتحديـــات المضللين كاشفا عن فساد كل الأيدلوجيا ت، والنظريات التي لا تقر الإيمان بـــالله تبارك وتعالى حتى يتحقق الحق وتنكشف الظلومات **{ سنريهم آياتنا في الآفـــاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}**

١٨- *نظرية الجحور السوداء*

فشلت الفلسفة الأوربية بعد حوارالها الطويلة المتعددة والمتضاربة في الوصول إلى كنه الحقيقة حول الكون والعا لم والحياة والموت ومن ثم تراجعـــت الفلســـفة وأخذت تعمل على التشكيك فقط و لم تتمكن من الوصول بالإنسانية إلى العقيدة الثابتة.

فالعلوم لا تعطي إلا حداً معيناً من الحقيقة ثم يكون الإيمان بالله والغيب هو الذي يكمل الطريق وقد اكتشف العلم أن الإنسان يمكن أن يصـــل بالأســـلوب العلمي إلى العلم الجزئي فقط.

وتدل نظرية الجحور السوداء على أن الإنسان لا يشاهد من المادة إلا ثلاثة في المائة فقط، أما الباقي فلا يمكن أن يشاهده الإنسان مما يدل على وجود مساحة

ضخمة للغيب. هذا ما وصل إليه العلماء على النحو الذي قدمه الباحث الذي ننقل عنه هذه المعلومات.

وقد أثبتت العلوم أن هناك عقلا وقوه كبيرة وراء هذه الكائنات، هذا العقل هو الذي قام بخلقها وهو مدبرها والكائنات التي اكتشفها العلم لا تعمل في فراغ كما إنها منظمة تماما وبدقة مذهلة كما أثبتت الأبحاث أن الإنسان يحتاج إلى وسيلة أخرى غير العلم لفهم عالم الحقائق بالإضافة إلى ما يملك من علوم حسية كذلك فقد أثبت العلم أن القانون الإلهي يفوق القانون الوضعي فيما يخص العلاقات الإنسانية.

وعلى سبيل المثال جعل الإسلام الرجال قوامين على النساء بينما أكد القانون الوضعي عكس الأمر ودعا إلى والمساواة إلا أنه ثبت بطريقة علمية خالصة أن المرأة أضعف من حيث الخلقة وأن الرجل هو الجنس الأقوى ومن أهم القضايا التي يركز عليها فلاسفة العصر معارضتهم للدين هو مسألة القدم، أي أن الكائنات موجودة منذ الأزل فإذا كانت موجودة فما هي ضرورة الإيمان بالخالق (جل شأنه) إلا أن البحث العلمي الحديث أثبت أن عمر العالم محدود وعندما اعتمد الإنسان على نظرية الارتقاء أيقن أن العمر المحدود للأرض لا يمكن أن يكون كافيا لخلق الإنسان الحالي طبقا لنظرية الارتقاء في الخلق.

ولقد بلغ الغرور بعلماء الفلسفة أنهم ظنوا أنهم قادرون على اكتشاف القوانين التي تتحكم في الكون لمعرفة أسراره ظنا منهم انهم قادرون على فك طلاسمها ولكنهم وصلوا إلى دائرة (مفرغه) وعادوا مع دورانها إلي نقطة البدأ حيث ينحني جبروت العقل أمام الأسرار اللانهائية فاعترفوا جميعا بعجزهم عن التحدي والمواجهة أو بالإيمان الضبابي المقنع، أو الواضح بلا أقنعة. ومن ذلك سان سيمون الذي رجع من جولته الفلسفية إلى ما وصل إليه اينشتين حيث يقول إن هناك إلها

يدبر الكون دون تدخل. وهكذا انحنى سان سيمون في النهاية بعد أن كان أول من هاجم الدين في شبابه وعاد ليعلن أن الدين والعلم كليهما ضـــروري وأعـــترف بضرورة العقيدة وأصالتها في الإنسان. وقد رد الغزالى على الفلاســفة وقـــال إن الفلاسفة أرادوا أن يزنوا كل شئ عن طريق العقل وأن يوفقـــوا بـــين الحكمـــة والشريعة فكان الدين في يدهم اله خادم للفلسفة حتى انفضح أمرهم وبالغوا فيما أرادوه واصبحوا خطرا على الدين والأخلاق وكان من خطرهم على الدين أنهـــم اعتقدوا في أنفسهم التميز على أترابهم ونظرائـــهم فرفضـــوا وظـــائف الإســـلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده وكان مصدر كفرهم زعمهم أنهم سمعوا بأسماء هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وارســـطو وأمثـــالهم وأطلعوا على مبالغة إتباعهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ودقـــة علومـــهم الهندسية والمنطقية ومكانتهم، فهم على رزانة عقولهم وفضلهم منكرون للشرائـــع والنحل يعتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة أما خطـــر الفلاســـفة علـــى الأخلاق فيرجع إلى أنهم أهملوا الشريعة فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك إنهم أدركوا حقيقة النبوة وعلموا أن صاحبها يرجع إلى الحكمة والمصلحة وأن المقصود من تعبداتهم ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات فإذا ترفع الإنسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف وكشف عنه الغطاء وكانت عناية الإمام الغزالي من نقد أراء الفلاسفة إيجابية فهو لم يهدم البناء الـــذي أقامـــه الفلاسفة على أساس العقل إلا لينشئ صرحا جديدا على أساس الجمع بين العقـــل والقلب وبين عالمي الغيب والشهادة

١٩- نظرية الأخلاق

يعد مصطلح (الأخلاق) من أخطر المصطلحات التي وقع فيها الالتباس بين مفهومها في الفكر الغربي والفكر الإسلامي فهناك خلاف واسع وتناقض كبير بين الموضوعين فهي في الغرب مرتبطة بالعصر وبالبيئة وليس فيها شئ ثابت ولكنها تمثل في الحقيقة مفهوم التقاليد التي هي بمثابة عادات يشكلها المجتمع نفسه بينما هي في الإسلام جزء من العقيدة ولها أصول ثابتة ومقومات قائمة لا تتخلف ولا تختلف مهما تعددت البيئات أو العصور حيث يقيم الإسلام منهجه الأخلاقي على (الالتزام الأخلاقي) ويمنح البشر الحرية في أن يختاروا بين السير قدما في طريق الأخلاق أو التراجع والنكوص، ومهمة الأخلاق تنصب على تأديب النفس وتعويدها النظام والطاعة كما تضمن السيطرة على الشهوات وتنظيم الإرادة في السعي وراء مثل أعلى وهذا يتطلب جهودا متجددة يقوم بها الأفراد والجماعات داخل (دائرة الأخلاق) والإنسان مكلف وهو كائن قابل للكمال وقد هداه الله تبارك وتعالى النجدين وله القدرة على الاختيار دون إرغام ولذلك فهو قادر على مقاومة كل الشرور وتجنبها ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى.

وقد قدم القرآن الكريم والسنة الكريمة منهجا كاملا جامعا غير أن علماء المسلمين لم يغنوا بتفصيله وتحليله إبان العصور التي تشكلت فيها مناهج العلوم حيث غلبت بعض المفاهيم المترجمة من الفلسفة اليونانية. وقسم الدكتور محمد يوسف مرسي في كتابة (تاريخ الأخلاق) الأخلاق الإسلامية إلى عناصر ثلاثة:

(١) النزعة الدينية والأخلاق العملية ممثلة في (أدب الدنيا والدين للماوردي)

(٢) النزعة الدينية الصوفية مشوبة بالنظر الفلسفي (الإمام أبو حامد الغزالي)

(٣) الأخلاق الفلسفية كما تجدها عند الكندي والفارابي

وكان من رأي الدكتور محمد يوسف موسى (وهو من تلاميذ المستشرقين والمتأثرين بالمفاهيم الفلسفية والوافدة) أن القرآن والحديث لا يكونـــان مذهبـــا أخلاقيا وأن ما فيهما لا يعدو أن يكون طائفة لها قيمتها من المواعظ والحكم تدل على الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أما الدكتور (احمد فؤاد الأهوانى) فقد اعترف بأن في القرآن فلسفة وأخلاقا وتشريعا وقصصا كأغلب الكتب الســـماوية وأن الجانب الخلقي في القرآن عملي يصف ألوان السلوك الواجب إتباعها وأن هذا السلوك العملي يستمد كيانه من قواعد نظرية نستطيع استخلاصها.

وأشار الباحثون المتأثرون بالفكر الهليني إلى أن الأخلاق عند إخوان الصفـــا كسبية لا نظرية وان الصبيان الذين تربوا على الشجاعة والفروســـية وأصحـــاب السلاح تطبعوا بأخلاقهم. وأن إخوان الصفا اعتنقوا مذهب الكسب في الأخلاق لأنه يخدمهم في نشر عقيدتهم التي يريدون تغليبها على الأمصار ولو قالوا بـــالفطرة ما كان هناك جدوى في نشر مذهب جديد.وقد وصفت بعض الأبحاث كتابـــات الإمام الغزالي بأنها متأثرة بالمفاهيم الهلينية و لم يتوقف الأمر عند الدكتـــور محمـــد يوسف موسى في تبعيته للفكر الهليني بل إن دراسة الدكتور بيصار عـــن العقيـــدة والأخلاق تحمل أفكار أفلاطون وارسطو ومسكويه في معظم الأبواب. غـــــير أن مفهوم الأخلاق وهو دعامة من دعامات الإسلام قد أصابه اضطراب كبير عند ما ترجمت النظريات الحديثة التي كانت أشد خطرا من مفاهيم اليونان القديمة ومن هنا فقد جاءت دراسة الدكتور محمد عبد الله دراز بمثابة موقف حاسم كشف حقيقة مفهوم الإسلام للأخلاق فى تصور كامل مستمد من القرآن الكريم، كذلك فقد واجه المفكرون المسلمون مفاهيم النظرية الغربية الحديثة في الأخـــلاق وكشفـــوا مخالفتها ومعارضتها لمفهوم الإسلام.

وفي بحث مستفيض للدكتور احمد عبد الرحمن إبراهيم يتحدث كما اتفــــق عليه معظم الباحثين من أن الكندي والفارابي وإخوان والصفا وابن ومسكويه وابن سينا وابن ماجه وابن الطفيل وابن عربي أقاموا مذاهبهم في الأخلاق على أســــاس من ا لفلسفة التي ثقفوها من اليونان معلنين وغير مستخفين وان هـــذا الأســـاس الأجنبي هو الذي حجب أنظار المسلمين عن فهم القرآن كما يقـــول (إقبـــال) ولذلك لم يبرز مفهوم القرآن للأخلاق في هذه الدراسات ولمـــا جـــاء الصوفيـــة وعرضوا للأخلاق كان مفهومهم غير كـــامل وان كـــان أقـــرب إلى مفـــهوم الإسلام.وقد أفلت المحاسبي والقشيري من تأثير الفلسفة اليونانية وسطوتها واقتربـــا من روح الأخلاق الإسلامية ويبدو أن تأثيرات رهبانية تسربت إلى مفاهيم الزهـــد والإخلاص والصمت عندهما فكانت لها آثار ضارة تمثلت في تشددهما البعيد الذي يتنافى مع يسر الإسلام واعتباره لطاقات الإنسان المحدودة.

فالغزالي في ابرز مؤلفاته في علم الأخلاق- كتاب (مـــيزان العمـــل) - ولا يخلو الأحياء منها - اخطر مناقص الغزالي وهو اعتماده على نظرية النفس لـــدى أفلاطون وتقسيماته لقواها وللفضائل تبعا لذلك ثم قبوله المطلق لنظريـــة الوســـط الأرسطية فكلام الغزالي حسب تعبير (ابن تيميه) برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة ففيه فلسفة مشوبة بالإسلام وإسلام مشوب بالفلسفة (وذلك في محاولة الغــــزالي التوفيق بين أفلاطون ونظرية النفس والفضائل وبين فضائل القرآن).

فقد اعتقد في نظرية ارسطو القائلة بالوسط الارسطي وهو /المبدأ / القـــائل بأن الفضيلة وسط بين رزيلتين (ميزان العمل ص ٢٣٤) تعسف في تأويل آيـــات القرآن الكريم لكي يحملها على التوافق معه (فأستقم كما أمرت) مثلا تفسر عنده بمعنى طلب الوسط من الأطراف وعلى الرغم من إدراك الغزالي للتعـــدد الواســـع

للفضائل الإسلامية وتجاوز عددها للتقسيم الرباعي الافلاطوني الضيق فإنه تمسك بذلك التقسيم بشدة.

ويقول زكي مبارك وبعض مفكري المسيحية إن الغزالي تأثر بالنصرانية وإنه تأثر بالآداب السلبية التي دعا إليها الإنجيل.

ويقول محمد يوسف موسى : إن الإمام الغزالي حاول أن يطبع ما أخذه من اليونان والمسيحية بطابع إسلامي صوفي وانه بتلك المحاولة كان أقرب إلى روح الإسلام من الفلاسفة العرب (النشاز).وتأثر في مفهوم الأخلاق بالفلسفة اليونانية فردد نظريات أفلاطون وارسطو ونقل الضرر إلى الذين نقلوا عنه من الفقهاء.

ولقد بقى تراث الحديث النبوي طوال القرون دون أن يجد من يدرسه ويستخلص منه المبادئ العامة لنظام الأخلاق الإسلامي بدلا من الأخذ من اليونان أو التوفيق بين أخلاق الإسلام وتلك المذاهب الأجنبية.

ولقد نقلت الفلسفة الأخلاقية اليونانية جاهزة إلى المحيط الثقافي الإسلامي العربي قبل أن يتبلور علم أخلاقي إسلامي أصيل فحجبت أنظار المفكرين المسلمين وخاصة الفلاسفة عن المضامين الأخلاقية في القرآن والسنة كما أشار إقبال إلى ذلك.

ولكي ندحض فكرة الوسط نقول إن القرآن لم يحدد حدودا عليا للفضيلة بحيث تعتبر كل من يتجاوزها مسرفا وعلى العكس كان النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يتحرى وسطا في كرمة وإنفاقه فالمال كله لله عز وجل وبذله جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عباده لانه يشق عليهم فهو ينهى عن الواجبات والفضائل الأشد وجوبا في سبيل الاستزادة بالأقل وجوبا وإعمالا بمبدأ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وليس هذا وسطا وإنما هو توازن خلقي أو تناسق خلقي.

فلما جاء العصر الحديث وظهرت الفلسفة المادية صاغت للأخلاق نظرية جديدة بالغة الخطر فقد رفض ماركس وهيجل (ثبات الأخلاق) واعتبروها إنعكاسا للبناء الاقتصادي فهو الذي يحدد الخير والشر، ولهذا كان (صراع الطبقات) هو المعين الذي تستنبط منه المذاهب الأخلاقية لان الأخلاق تعكس مصالح الطبقة الحاكمة أما انجلز فقد رفض أي مذهب خلقي مهما كان شأنه بوصفه القانون الخلقي الدائم النهائي الذي لا يتغير أبدا بحجة أن عالم الأخلاق له مبادئة الدائمة التي تسمو على التاريخ وعلى الخلاف بين الأمم ويقول أن النظريات الخلقية هي النتاج للتطور الخلقي الذي بلغه المجتمع فالأخلاق أخلاق الطبقات فأصحاب الأخلاق هم ألعوبة في أيدي ذوي النفوذ. وقد كان التمرد على القيم الأخلاقية هو مصدر التشاؤم الذي فرضته الفلسفة الوجودية المعاصرة.ولقد تبين أن اللذة أو المنفعة ليست هي وحدها الخير الأقصى ولكنها التقوى.

وبالجملة فإن الغرب رفض مفهوم الأخلاق (التي جاء بها الدين الحق) وغاب عن الغرب أن العلم والأخلاق وجهان متلازمان بالضرورة للبناء الحضاري لأن العلم بلا أخلاق تحويل لقدرة الإنسان نحو الشر والباطل. ولقد أخذ الغربيون علوم المسلمين وتركوا أخلاقهم وأخذ المسلمون أخلاق الغربيين وتركوا علومهم. ولقد كان من أخطر مفاهيم الأخلاق الغربية نظرية النسبية التي تقرر عدم ثبوت القيم إلى الدرجة التي تقول هل سيأتي الزمن الذي يعتقد فيه إن الصدق رذيلة وان الشهامة شرا وان الشجاعة سوء وان العفة جريمة وفي مجال العقائد : هل سيأتي اليوم الذي لا نقول فيه بوحدانية الله تعالى ولقد أخذ دوركايم يعمل بمعاول هدامة في كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية وأخذ تلميذه الأكبر اليهودي ليفي بريل ينهج نهجه ويسير علي طريقته.

ولقد كان من أخطر ما وصل إليه الفكر الغربي في العصر الحديث ما أطلق عليه (الثورة على الأخلاق) وذلك نتيجة التنكير للأصل الديني والعقـــدي الـــذي يرتبط بالأخلاق وفي محاولة لفصل الأخلاق عن الثوابت والضوابط. ومن ذلـــك الدعوى إلى الكشف والى أن لا يخجل الإنسان من تعريه أعضائه التناسلية ومـــن العري في الميادين ومن ندوات العراة وغيرها من الأمور المتصلة بـــإطلاق الجنـــس والإباحة على النحو الذي وضعته الوجودية في إطار المسموح به كل هذا يختلـــف تماما مع مفهوم الإسلام.

كذلك ألغى الإسلام مفهوم أخلاق السادة وأخلاق العبيد الـــتي أورثـــها أرسطو وأفلاطون للحضارات التي دمرها الظلم، فالناس كلـــهم لأدم وآدم مـــن تراب. كذلك فقد كشف الإسلام عن زيف فلسفة الرواقين الأخلاقية الذين قالوا إنه من المستحيل الفصل بين الفضائل والرذائل لأن الإنسان مركـــب مـــن روح وجسم فله شهوات تدعو إلى الرذيلة وله غايات روحية سامية، وأعطى الإســـلام للإنسان كل أشواق النفس في إطار ضوابط عامة فلم يحرمه من شيء من الرغبات والشهوات مادامت في إطار الحل الذي أحله الله تبارك وتعالى وهكذا اختلفـــت مفاهيم الإسلام الأخلاقية عن الفلسفة الأخلاقية الغربية وتميزت بمعالمها الخاصـــة المستقاة من القرآن والسنة والقائمة على حتمية إقران الإيمان بالعمل الصالح فالإيمان في الإسلام هو الذي يحدد العمل والاعتقاد هو الذي ينظم السلوك والربـــط بـــين الأخلاق والعمل على الهما متلازمان متكاملان. وجملة القول أن الإسلام لا يقـــر الرهبانية ولا يقر إعلاء الإنسان إلى حد تقديس جسده أو جماله ولا ينظر إليه نظرة الاحتقار أو يصفه بالحيوانية ويجمع بين الروح والمادة والقلب والعقـــل والدنيـــا والآخرة. وعلى مدى التاريخ الإسلامي ظهر المصلحون والذين نقـــدوا أخـــلاق العصر وجلوا العقلية الإسلامية مما علاها من صدأ الأوهام والخرافات.

ظهر الحارث المحاسبي (ظاهرة الحسد) والحكيم الترمذي (مواجـــه الشـــر) والجاحظ (ظاهرة البخل) والماوردي (أدب العالم والمتعلم) ابن حــــزم (التجربـــة الأخلاقية) ابن الجوزي (نقد أخلاق العصر) وكل هذا يكذب دعاوى الغرب من أن الفكر الإسلامي خال من نظرية مستقلة عن الأخلاق. كما أن ما يوجه مــــن اتهام من أن مفكري الإسلام اقتصروا على الناحية النظرية العقلية و لم يســـــتطيعوا معالجة المسائل التي فرضتها عليهم الحياة الواقعية من اجتماعية وسياسية، فإن هذا لا ينطبق إلا على المشتغلين بالفلسفة اليونانية (ابن سينا والكندي والفارابي). ولكن التاريخ الفكري للحضارة الإسلامية يثبت أن طائفة مــــن المصلحـــين الدينيـــين والاجتماعين كانت لهم فلسفة تناولت جوانب الحياة العملية في مجتمعاتهم وقدمت تصورا شاملا للاصلاح. وبالجملة فإنه على مدى التاريخ الإسلامي كان للمسلمين مفهومهم الخاص المتميز للأخلاق وثوابتها وارتباطها بالعقيدة.

٢٠- التطــــور

نظرية التطور من أخطر النظريات التي استغلها النفوذ الغربي والاســـتعماري لإحداث بلبلة حول مفاهيم القرآن والإسلام والأديان المنزلـــة في مســـألة خلـــق الإنسان وذلك منذ أعلن دارون -وقبل مائة سنة- أن الإنسان جاء مـــن ســـلالة الحيوان وكان دارون قد درس علم البيولوجيا وتوصل إلى هذا المفهوم من خـــلال الشك في وجود حلقة مفقودة. وكانت هذه النظرية قاصرة على مجـــال العلـــوم البيولوجية ولكن قوى لها أهداف خاصة بتدمير الإنسان تدخلت فأحدثت تغـــيرا وذلك حين قال هربرت سبنسر إن التطور شمل المجتمع كله وانه لا يوجد هنـــاك ثوابت وكان الغرب قد أقام قاعدة الثبات التي قال بها أرسطو من قبـــل، ثم تغـــير الموقف من الثبات المطلق إلى التطور المطلق. وكان دارون لا أدريا وكانت اللأدرية

مبدأه الديني فهو لم ينكر وجود الله تبارك وتعلى ولكنه لم يكن يعتقد في تدخـــل الإدارة الإلهية في حوادث الحياة اليومية. وكان هدف نظرية دارون مـــن الذيــن أذاعوا بها ووسعوا دائرتها هو تحطيم مفهوم الدين جملة ومفهوم الكنيسة في الغرب والتقليل من أهمية الكتب المقدسة، والتشكيك في قدرة الله تبارك وتعالى وذلـــك بالقول بأن نظام الطبيعة ليس من صنع أحد وهذا هو أول مبادئ الإلحاد وكـــان أخطر ما قال به دارون هو عدم قدرته على الوصول إلى استقلال الأجناس بعضها عن بعض واستقلال الإنسان عن باقي الأجناس وذلك ما أثبتته الحفريات بعد ذلك حيث ظهرت عظام الإنسان الراقده فى الأرض منذ أكثر من ملايين السنين وهـــو مستقيم القامة يمشي على رجلين.والآن وبعد مائة عام من ظهور هـــذه النظريـــة واستخدام القوى الاستعمارية والصهيونية لها ظهرت حقائق كثيرة سواء من عا لم البيولوجيا نفسه أم من الحفريات التي ظهرت والتي تسجل فردية الخلق الإنســـاني واستقلاليته وكان في مقدمة ذلك كتاب الدكتـــور موريـــس بوكـــاي (أصـــل الإنسان). هذا فضلا عن القضايا الكثيرة التي رفعها أولياء الأمور في عدد من بلدان الولايات المتحدة لمنع تدريس هذه المادة لأبنائهم وقد حكم فيها لصالح الآباء حيث جاء في الحكم القضائي بأن نظرية النشوء والارتقاء ليست من الحقائق العلمية وإنما من قبيل الاحتمالات الفرضية فقط وأن المدرسة ملزمة بتقدير هذه الحقيقة. ومـــن هنا فنحن في حاجة ضرورية إلى وضع مقررات أساسية في هذا المجال تلـــتزم بهـــا بلادنا ومدارسنا تتفق مع ثوابت ديننا، كذلك فقد أثبت الدكتور موريس بوكاي أن القصص التي وردت في الكتاب المقدس غير واقعية وتتنافى مع الحقائق العلميـــة بينما لم يتدخل القرآن في تفاصيل تؤرخ لبداية الوجود الإنساني على الأرض كما أنه لم يعن بتدوين القوانين العلمية التي يمكن أن يطبقها الإنسان في فترات متغـــايرة من تاريخه ليؤكد بها تفوقه. ولكن القرآن ذكر خلق الإنسان في أحسن صورة.

منذ عمل دارون على تحطيم نظرية الثبات في الخلق التي كانت ســــائدة في عصر اليونان والتي تقول إن كل نوع من الكائنات خلق على حـــدة وفي صـــورة مستقلة وأخذ يؤكد أن الأنواع ليست من أصول ثابتة وأن الأنواع التي تنتمي إلى فصيلة واحدة أو جنس واحد قد انحدرت مباشرة من أنواع أقدم منها.

وهناك مقولة : أن النظام الذي نراه في الطبيعة ليس نتيجة قوه عليا خارجية ولكنه نتيجة للتوافق أو التكيف بين أعضاء الكائن الداخلية وبين ظروف البيئة التي يعيش فيها ومن رأي دارون أن الكائن في تطور خلقي على مدار الزمان. وأن هذا التطور قد يحدث تحولا من الأجناس إلى أجناس أخرى وهذه الفكرة هـــي الـــتي جرأت أحد تلاميذه أن يقول بانحدار الإنسان من سلالات القرود. (وهذه الفكرة تخالف ما جاء في الكتب المقدسة عن الخلق كما تخالف ما كشفت عنه الحفريات من ظهور الإنسان في صورة استقامة القامة). وقد كان هدف نظرية دارون تحطيم الكنيسة والتقليل من أهمية الكتب المقدسة كما يقول بوكـــاى. وكـــان دارون لا أدريا وكان اللاادرية مبدأه الديني فهو لم ينكر وجود الله تبارك وتعلى ولكنــــه لم يكن يعتقد في تدخل الإرادة الإلهية في حوادث الحياة اليومية. وقد طرحت مفاهيم دارون في أفق الفكر الإسلامي فزلزلت المفهوم الديني الصحيح عند الشباب المسلم وتأثر بها كبار الكتاب كما أوردها لطفي السيد في كتابه (قصة حياتى) ونسى هذا الجيل الآية الكريمة "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" وقد أثبتت الأبحـــاث أن نظرية دارون كانت ناقصة وأن الإنسان لم ينحدر من ســـلالة أدنى و لم يتمكـــن دارون وغيره من ربط جميع حلقات الخلق في الكائن الحي الواحد. ولقـــد عمـــد

أصحاب مذاهب الفلسفة المادية إلى احتضان هذه النظرية في محاولة لتدمير النفس الإنسانية.

كما ثبت أن القصص التي وردت في الكتاب المقدس غير واقعية وتتنافر مع الحقائق العلمية بينما لم يتدخل القرآن الكريم في تفاصيل تؤرخ لبداية الوجود الإنساني على الأرض. كما أنه لم يعن بتدوين القوانين العلمية التي يمكن أن يطبقها الإنسان في فترات متغايرة من تاريخه ليؤكد بها تفوقه ولكن القرآن ذكر خلق الإنسان في أحسن صورة.

(١)

وقد وسع الفكر الغربي مفهوم التطور البيولوجي فامتد إلى التطور الاجتماعي والثقافي منذ القرن الثامن عشر بدراسة علوم الأحياء (البيولوجيا) من ناحية والتاريخ من ناحية أخرى والفلك من ناحية ثالثة وقد أدى تطور علم الأحياء إلى سيادة هذا المفهوم وسيطرته بشكل كامل تقريبا على كل مناهج ومنظومات الفكر الغربي ومنه إلى الفكر العالمي في كل تخصصاته دون استثناء حتى أربعينات القرن العشرين حينما بدأت تطورات منهجية أخرى تحل محله مثل البنيوية والتكاملية وفكرة الانتشار. والآن لا تكاد تتمسك بمفهوم التطور إلا المدارس الفكرية ذات الأصول القديمة في القرن الماضي وخاصة المتأثرة بكل من الماركسية والدارونية. وقد ارتبط مفهوم التطور عندهم بفكرة مبدأ النشوء والارتقاء الذي يستبعد أن يكون الأحياء من نبات وحيوان أو المجتمعات واللغات كانت على الدوام بنفس صورها الحالية وإنما يتمسك بفكرة إنها نشأت في صورة بدائية بالغة البساطة من خلال عمليات معقدة بيولوجية أو تاريخية اجتماعية أو كليهما إلى أن

حققت كل منها ارتقاؤها المنظور من خلال عمليات تعديل وتصحيح مستمرة لحضانتها الوراثية المنقولة من أسلافنا وقد أخضعها (لامارك) بعد دارون بربع قرن لأسلوب الكائن الحي في ممارسة نشاطه وتلبيته للاحتياجات والظروف البيئية وتغيراتها وتكيف الكائن الحي معها بينما أخضعها دارون بالنسبة للأحياء لفكرة الانتخاب الطبيعي. ومازال أسلوب دارون يساعد على إشاعة الاهتمام بمفهوم التطور من خلال محاولته لتفسير كيفية حدوثه لفكرة الصراع الأبدي بين الكائنات وبينها وبين بيئاتها من اجل إتمام الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح كما دعمت الماركسية هذا المفهوم بفكرتها عن الجدل اللانهائي بين المتناقضات المادية وأنغرس المفهوم نفسه في الثقافة الغربية ذات الإحساس الدرامي العميق الموروث (صراع الأضداد في الحياة والدراما والكون)

وذات الإحساس بالتفوق الحاسم مع الحضارات المتنافسة

(٢)

وقد كشف البحث العلمي الصحيح المجرد الذي لم يخضع للتيارات التي أحدثها دعاة العنصرية أو تدمير الإنسان عن عدة حقائق تكشف فساد نظرية دارون وعجزها عن العطاء الحقيقي.

١-ثبت فساد القول بالنشوء والارتقاء على النحو الداروني.

٢-أعلن دارون أن نظريته ناقصة أساسا.

٣-اصدر الحكم القضائي في أمريكا بأن نظرية النشوء والارتقاء ليست من الحقائق العلمية وإنها من قبيل الاحتمالات الفرضية فقط وأن المدرسة ملزمة بتقرير هذه الحقيقة وتعليم الطلاب نظرية الخلق التي جاءت بها الكتب المقدسة.

٤–كانت نظرية التطور تتعلق بالبيولوجيا ثم حولها بعض الفلاسفة وفى مقدمتهم إلى الاجتماع الاجتماعي.

٥–النظرية الدارونية ثبت خطأها فقد كشفت الحفريات عن أن الإنسان جنس مستقل منذ عشرات الآلاف من السنين وانه لم يكن متصلا بأجناس أخرى.

٦– يرجع الصراع الذي ساد فكر الحضارة الغربية إلى الدارونية التي جعلت الصراع سببا أوحد للتقدم والتطور كما جعلته عاما في الظواهر بعوالم النباتات والحيوان والإنسان والجماد.

٧– تبني هيحل مفهوم التطور دونما حدود مما أدى إلى إسقاط الثبات ومن باب أولى إسقاط القداسة عن كل الموروثات والمأثروات.

٢٢– الدعوات الهدامة

عندما ترجمت الفلسفة اليونانية في العصر الأول واجهها علماء المسلمين وكشفوا زيفها ودحضوا أكاذيبها ومفترياتها.وتجاوز المسلمون آثار هذه المؤامرة المدمرة في عناصرها المختلفة الفلسفة والتصوف الفلسفي والاعتزال ودعوات الإباحيات والمجون وما ترتب عليها من فرق ومؤامرات. وارتفعت كلمة الحق على ألسنة الذين كوتهم المحنة : من الإمام الشافعي إلى الإمام ابن حنبل ومن الغزالي إلى ابن تيميه إلى غيرهم كثيرون وسارت الحياة الفكرية الإسلامية على طريق أهل السنة والجماعة وتحررت من أثار الاستعلاء والاعتزال أو التصوف حتى جاءت مؤامرة التغريب والغزو الثقافي التي حمل لواءها الاستشراق وأتباعه من المتصدرين في مجال الأدب العربي والفكر والثقافة على اعتبار أن ما يدعون إليه لا صلة له بالدين (بمفهوم الغرب) بينما هو بمفهوم الإسلام متصل لا ينفصل. فظهرت

دعوات إحياء الدعوات والفرق والقضايا تحت عنوان الاعتزال الجديد وانبعــــاث الفلسفة المادية التي ترجمت في عصر المأمون، بدعوى أن الفكر الإسلامي نشـــأ في أحضان الفلسفة الغربية ومن هنا كانت تلك من كبرى القضايا التي يجب أن تركز عليها الجهود لتحريرها والكشف عن زيفها. وأبرز محاذيرها هو المغالاة في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الوحي (والدين – أو النقل) وإعطاء العقل وأحكامه اعتبار فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تبارك وتعالى والذهاب إلى تفسير الإسلام – في عقيدته وأصوله – تفسيرا عقلانيا ماديا دون أي اعتبـــار لـــدلالات اللغة وأصول الدين ومناهيم النصوص وعمل المسلمين وإجماعهم.

والذهاب إلى تفسير الوحي والدين والنبوات والعقيدة والمعجزات والقــــدر على مقتضى المفاهيم العقلية البشرية المحدودة والكشوفـــات العلميـــة المحسوســـة والنظريات الغربية المادية وقد صحب ذلك دعوة تنادي بما يسمى تجديد الأفكـــار والمفاهيم الإسلامية بما يساير العصر :(عصر التنوير والمدنية والتقدم العلمي) وبمـــا يتفق مع مقررات العقل البشري. ومن أجل دعم هذا الاتجاه الخطير كان لابد من البحث في التراث الزائف المنسوب إلى الإسلام وهو تراث الفرق الضالة: القرامطة والمانويه، وما تركه المعتزلة وإخوان الصفا في محاولة لتحكيـــم العقـــل في الديـــن والمعاني الروحية والمعنوية، وما يتصل بالوحي والغيب ويمتد هذا الاتجاه إلى الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة وعن الدولة على النحو الذي يـــروج لـــه القوميـــون والحزبيون والاشتراكيون والرأسماليون والعلمانيون. ولاشك في إن أخطر ما في هذا الاتجاه المدمر المحطم : هو محاولة إعطاء العقل وأحكامه حق النظــــر في العقيـــدة وأصول الدين كليا وجزئيا. ومن هنا بدأت تظهر كتابات وأطروحات ورســـائل تقوم على إحياء هذه الفرق الضالة والدعوات الهدامة وتمجيدها ووصفـــها بأنهـــا دعوات إلى الحرية والعدل – كما وصف طه حسين القرامطة– ويرمـــي هـــؤلاء

الهدامين إلى إكبار العقلو وتقديمه على النص في من لا مجال للرأي فيه وإخضـــاع الثاني للأول وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها. ويصل الأمـــر إلى رفــع شعار الحرية الفكرية وأن كان على حساب العقيدة الإلهية.

وكما تتلمذ دعاة الفرق القديمة على اليهود والنصارى واليونان والمجـــوس والوثنيين (أمثال بن سينا والفارابي) فإن دعاة هذا التيار تتلمذوا على المســـتشرقين الغربيين ورثة الفكر اليهودي والنصراني والوثني واليوناني.

كل هذا الخطر كما صوره العالم الجليل صاحب البحث يدفعنا إلى اليقظـــة والحذر مما نقرأ مما كتب الدكتور طه حسين والأستاذ احمد أمين في فجر الإسلام والدكتور محمد غلاب وزهدي جار الله، وفاروق الدملوجي ومحجوب بنى ميلاد. فهم بين من مجد المعتزلة وبين مجد إخوان الصفا وعملـــوا علـــى إحيـــاء النحـــل والمذاهب المتطرفة بين المسلمين وتمجيدها والدعوة إلى تفســـير القـــرآن والســـنة وتأويلها عقلانيا دون اعتبار تأويل السلف والصحابة ودون التقيد بالمصطلحـــات الشرعية والقواعد الأصولية ودلالات اللغة للقرآن والسنة والـــتروع إلى الرمـــوز والمجازات والتفسيرات الفلسفية الصوفية.

وقد عمد هؤلاء وإتباعهم في الطبقات التالية لهم مـــن تلاميذهـــم وكـــان أكثرهم من الماركسيين في البلاد العربية الذين أشادوا بالقرامطة والحلولية وإخوان الصفا، أما الفرقة التي حظيت بالتأييد الفائق فهى المعتزلة وكان أخطـــر دعواهـــم (التأويل لنصوص القرآن تبعا لما يقتضيه العقل إذا تعارض العقل والنقل) وهو قول مرفوض تماما ولا يقره المفهوم الأصيل للإسلام: تلك مفاهيم الدعوات الهدامة : العلمانيون والاشتراكيون والثوريون الخ وشعاراتهم حرية الفكر، التجديد، التطور، التقدم، التنوير، المعاصرة، الثورة، التحرر

الباب الرابع

أسلمة المعارف والعلوم والمفاهيم

(١) العودة إلى المنابع

(٢)حول أسلمه المعارف والعلوم والمناهج

(٣)حقائق الإسلام وأخطاء ركام التراث الوثني القديم

(٤)تحرير مناهج الفكر الإسلامي من التبعية

(٥)تعريب العلوم

(٦)حماية الهوية الإسلامية

(٧)المسلمون والتجريب

(٨)الشورى والديمقراطية

- خاتمة : حقائق تضيء الطريق أمام تحرير المصطلحات

العودة إلى المنابع

لابد من العودة إلي المنابع الأصيلة للإسلام وذلك بأن نحرر الفكر الإسلامي من الاعتزال وعلم الكلام والتصوف الفلسفي.

وأن تلتمس عقيدة التوحيد الخالصة النقية المبرأة من كل مفاهيم دخيلة سواء أكانت من الفلسفات اليونانية أو الغنوصية أو مفاهيم الباطنية أو المادية أو النرفانا أو غيرها.

وأن نستمد مفاهيمنا وقيمنا من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن خـــــلال مفهوم أهل السنة والجماعة.

ولا تخدعنا الكلمات البراقة التي ينشرها أصحاب المذاهب والأهواء ولقـــــد قدم لنا الإسلام منهجا جامعا ، لبناء الفرد السليم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة والحكومة المسلمة.

من خلال التوحيد الخالص والالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية والإيمـــــان بالإلوهية والنبوة والوحي والغيب والبعث والجزاء، من منطق صريح نقي سمح.

وما يزال القرآن الكريم هو دعامة الحياة الاجتماعية والفكرية الإسلامية وما تزال السنة ترسم لنا تطبيق المنهج على النحو الذي نلتمسه في شمائل رســـــول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفاته

١ – " كان خلقه القرآن "

ويجب أن تكون قضيتنا الأولى التحرر من التبعية والولاء لأي فكـــر وافـــد ولقد جرب المسلمون خلال أكثر من ألف سنة التماس منـــاهج الغـــرب ســـواء الليبرالية أو الماركسية وفشلت التجربة فشلاً ذريعاً وكلفت المسلمين كثيراً.

وكان أخطر ما أحدثته أنها تركت لهم ثلمة في كيانهم استطاع أصحابها السيطرة على فلسطين وبيت المقدس كرأس جسر لإقامة سلطة مسيطرة في قلب الأمة الإسلامية.

وجاء ذلك حين غفلنا عن حماية ثغورنا والمرابطة في معاقلنا والله تعالى يقول في ذلك

{ ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة}

ونحن مسئولون اليوم عن استعادة ما فقدمنا ، وأن نتقدم لاستخلاصه بالأجساد المتراصة.

يجب أن يتخلص المسلمون سريعا من التبعية لمذاهب ضالة كالعلمانية والماركسية والقومية والإقليمية وأن يلتمسوا وحدتهم الإسلامية الجامعة القادرة على العطاء.

ولابد من بناء قاعدة الأساس قبل الانفتاح على الأمم وفكرها من الضرودي تصحيح مفاهيم التاريخ والتراث والتخلص من نفوذ القوانين الوضعية والأنظمة السياسية الغربية وخاصة نظم التعليم والتربية والثقافة وأسلمتها فقد عمد النفوذ الغربي على إخراج القرآن والإسلام من هذا البناء الثقافي وتفريعه من من روح الإيمان بالله تبارك وتعالى ومنهج التكامل والترابط بين القيم وأخلاقية وأسلوب الحياة.

ولقد عمد النفوذ الأجنبي أول ما عمد إلى هدم ثلاث دعائم في كيان الأمة الإسلامية :

(١) حجب الشريعة الإسلامية عن نظام الحكم.

(٢)تغيير نظام الاقتصاد بفرض الربا.

(٣)تغيير مناهج التربية والتعليم

فلابد من العودة إلى المنابع من جديد إيمانا بأن النهضة تنبعث من داخل الإسلام وأن الجسم الإسلامي لا يقبل العنصر الغريب وأن المذاهب الوافدة جميعاً قد سقطت في بلادها فضلا عن عدم حاجة الأمة الإسلامية إليها لأنها تملك أشرف منهج : المنهج الرباني القادر على العطاء

لقد كان المشروع الحضاري الذي قدمه النفوذ الأجنبي خادعاً ومضللاً و لم ينته بنا إلا إلى الأزمة والنكسة والنكبة والهزيمة فلابد من العودة إلى الأصالة والى المنابع.

وأن تلتمس لكل مشاكلنا علاجاً إسلامياً خالصاً لأن كل أمة تستمد النجدة وقت الأزمة من منابعها الأصيلة التي شكلتها أساساً.

ولقد حاول الاستعمار والنفوذ الأجنبي (الغربي والماركسي والصهيوني) خلال أكثر من قرن من الزمان أن يصوغ العقل المسلم على نحو غير إسلامي لتخدمه ويحتويه بسيطرة المفاهيم المادية والإباحية والإلحادية المستمدة من التراث القديم والوثني لليونان والمجوس والغنوص والباطنية ، وإحياء تلك السموم القديمة التي حاربها الإسلام حين ترجمت الفلسفة اليونانية ومن خلال المحاولة التي أجراها حنين بن أسحق بتوجيه من المأمون والتي نتج عنها تلك المحنة الخطيرة : محنة خلق القرآن التي تورط فيها المعتزلة ، والتي تجمع علماء المسلمين الأبرار لمقاومتها.

ونقول إنهم أرادوا إعادة هذه المؤامرة من جديد بانبعاث هذا الفكر بأحياء فرق القرامطة والبابكية والمزدكية وغيرها ممثلة في التصوف الفلسفي وغيره.

وما أحرانا اليوم أن نواجه ذلك كله بقوة وأن نكشف زيفه وأن نعود إلى منابعنا الأصيلة.

٢- حول أسلمه المعارف والعلوم والمناهج

ترمي أسلمه المعرفة إلى تحرير المعرفة مما علق بها من شوائب المادية وأهـــواء التيارات المناقضة للحق ، المنكرة للطيب ، والتخلص من التبعية وتحـــدث تحـــولا تاريخيا في مسيرة الأمة وتوجيه العلوم والمعارف توجها إيجابيا في خدمة الإنســـانية والمجتمع.

إن التماس إسلامية المعرفة هو عودة إلى الأصالة واكتشاف الذات فالإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع يجب أن يكون له توجيـــه في شــــأن المعرفـــة والعلوم لتحريرها من الاغتراب المسيطر على كثير من المناهج الوافدة القائمة أساسا على النظرية المادية والعلمانية والتي تركز على فكرة الفصل بين القيم والانشطارية بين الماضي والحاضر والعصر والتراث والروح والمادة والقلب والعقل.

الهدف : أن تقوم المعرفة الإسلامية بديلا عن مناهج المعرفة العلمانية الماديـــة على أساس ربانية القيم والغايات والنظر في قضايا الحياة والنفس والمجتمع والبيئـــة والطبيعة من خلال الفطرة والوحي ومنابع الدين الحق والنبوة والغيب والتعرف إلى سنن الكون والوجود والمجتمع مع التقدير الكامل لدور العقل ومسئوليته في حدود طاقته وبذلك يقوم منهج المعرفة الجامع ذي الجناحين الذي يجمع مـــن الأصـــول الربانية للمعرفة والقدرات والمعطيات التي أفرزتها الحضارة الإنســـانية وتوجيهـــها الوجهة التي أقامها الإسلام لبناء الفرد المسلم والمجتمع.

وذلك أيمانا بأن العقل المسلم كان قادرا دوما وفي كل المراحل على الجمع بين العنصرين المتكاملين والمكونان للإنسان أساسا ولحياته أيضا (الروح والمادة) وذلك أيضا لتحرير الحضارة الإنسانية من الانحصار فى انشطارية المادية وحدهـــا وتجاهل الجانب الحي من جوانب الإنسان والحياة وهو جانب الوحـــي والغيـــب والمعنويات.

إن إسلامية المعرفة تعني إيجاد " منهج إسلامي قويم وشامل " يلتزم بتوجيه الوحي والنص ولا يعطل دور العقل والاجتهاد وذلك حتى يمكن استعادة الهويـــة الفكرية والثقافية للأمة الإسلامية

يقول الأستاذ مصطفى النيفر : إن أسلمة المعرفة تطرح بديـــلا حضاريــا إسلاميا من أجل المساهمة في مواجهة وعلاج أزمة الحضارة العالمية الســـائدة، إن خطاب النهضة قد ألتقى في معظم الحالات بالتركيز على أن الإســـلام لا يرفــض العلم ولا يعاديه وإنما يأمر بالسعي إليه وقد كان سبيل دعاة النهضة عندنـــا هـــو الأسلوب الذي اتبعه الأوربيون والدليل على ذلك مـــا نســـميه " التعصـــير " أو التحديث قد بدأ في مصر وتونس والمغرب وبإرسال الطلاب إلى أوربـــا لتلقـــي العلوم أو استقدام الخبراء والأساتذة ولا يزال المبدأ قائما.

كانت المسألة مجرد زرع مؤسسات غربية في واقعنا بغض النظر عن تأثيرها حين غابت فكرة البيئة الثقافية المتكاملة ، لذلك انتهت أغلب تجارب التحديـــث إلي:

إما أن تتجمد أو تتكيف المشاريع التحديثية وإما أن يزحف الجديد فينـــهار القديم

ومن هنا كانت محنة الإجهاز على الأصيل بدعوى التحديث وعدم رفـــض المستورد.

وتتركز الأعمال الخاصة بأسلمة المعرفة في ثلاثة محاور أساسية هي :

(١) *أسلمة المعرفة* الدراسات التي تتعلق بأدوات المعرفة ومناهجها (المعرفة في الثقافة الغربية هي المعرفة التجريبية التي تلغي المصادر الأخرى للمعرفـــة مثـــل الوحي والنص) ومن ثم تركزت الجهود باسم العلوم على توضيح مكانة الوحي أو النص كمصدرا للمعرفة وتكاملها مع العقل أو التجريب.

(٢) *أسلمة العلوم* المقصود بها إعادة كتابة العلوم من وجهة نظر إسلامية من حيث إعادة صياغة أو نقد نتائج الأبحاث العلمية وخاصة الإنسانية من منطلق إسلامي.

(٣) *أن يطلق عليه أسم التكنولوجيا* بمعنى توظيف الاختراعات لترسيخ العقيدة أو تسهيل أداء الشعائر بها.

هذه هي الأسلمة المزيفة حيث تتعدد الاتساق لكل ثقافة منهجها المعـــرفي ونظريتها للوجود وبالتالي علومها وفنونها وأخلاقياتها.

*****

إن العمل الصحيح الذي يجب أن يكون واضحا تماما هو التميز الإســــلامي والذاتية الخاصة التي تفرق بين قيم الفكر الإسلامي والفكر الغربي على نحو يحفـــظ أمتنا من التبعية والخلط بين القديم ويحاول الغرب أن يدفع إلى أفق الإسلام مفاهيم مختلطة يجب الحرص دون اعتناقها.

أولا شوائح ترفيه وتسلية مستمرة من الذوق الغربي المختلـــف عـــن الـــذوق الإسلامي والعربي :

تدفق المادة الدرامية المستوردة خاصة من الغرب (سينما وتلفاز) هذه البرامج تعرض في ٩١ بلدا ناميا إسلاميا. وتتضمن أفكارا و سلوكيات تناقض الإســـــلام حيث تحقر الفضيلة وتمجد الرذيلة وتحببها إلى الشعوب وتزينها في القلوب.

ويرجع هذا إلى التبعية الثقافية والإعلام وهي تقوم على اقتباس أفكار مـــــن مسلسلات وأفلام غربية ومعالجتها في صورة عربية دون الانتباه إلى الاختلاف في الأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وتمتد تبيعية الوطن الإسلامي لتكنولوجيا الغرب حيث تعكس هذه التكنولوجيا ظروف وممارسات المجتمع الغربي بينما تتجاهل واقع واحتياجات شعوب العالم الإسلامي.

ثانيا : عالمية الثقافة والحضارة :

تجري في الغرب محاولة خطيرة ترمي لتصور وحدة البشرية تحت لواء الحضارة المادية ومفاهيم العلمانية وهو مالا يمكن أن يكون مهما بدت ظواهره ويتردد هذه الدعوى وراء حكاية تقول إن كوكبنا يبدو كالكرة التي تنكمش ويتقلص حجمها باستمرار في نفس الوقت الذي تتمدد المسافات وتتسع داخلها بمعنى أننا ننتمي كلنا إلى كوكب واحد حيث تتقارب أحداث الكرة الأرضية كلها ولكنها تبقى في نفس الوقت متميزة بطابع خاص لكل أمة أو عقيدة ومن هنا يجب أن نتحفظ في قبول نظرية الانفتاح على العصر وما تزال الديمقراطية الغربية تمثل نظاما له طابعه وقيمه ينفتح فيه نطاق الحرية والأخلاق والجنس.

كل هذا يدعونا نحن للمحافظة على الهوية وحماية الخصوصية القائمة على التراث الماضي والقيم الأخلاقية التي هي من الثوابت التي لا تتغير مع تغير الأزمنة والبيئات.

٣- حقائق الإسلام وأخطاء ركام التراث الوثني القديم

جاء الإسلام لتصحيح ركام التراث الوثني والباطني والمادي وإعادة البشرية إلى التوحيد الخالص المبرأ من التعدد و الإلحاد وقد أتجه علماء الإسلام إلى تحقيق هذا الهدف لتحرير المسلمين من تبعية الفلسفات المادية.

ومن هنا كان تعقيبهم على الكتب المترجمة في العلوم إلى اللغة العربية بهدف تصفيتها مما بها من شوائب وتحريرها مما ورد فيها من عبارات خاطئة تتعارض مع

أصول العقيدة الإسلامية ويرمي هذا الاتجاه إلى التأكيد على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والعمل على تطهير الكتابات العلمية من أي إشارة يمكن أن تشكك في حق ذات الله تبارك وتعالى من غير مساس بالمنهج العلمي أو حجر على العقل البشري.

ومن يطلع على ركام الفكر البشري المتجمع عبر قرون طويلة من الانحراف والضلال والضياع يؤكد أهمية دعوة القرآن والسنة في تحديدها الأسس الكلية في مجال العلوم السلوكية والإدارية لأنها تقوم في الأصل على قاعدة أخلاقية ثابتة.

والأخلاق لا يمكن أن يكون صناعة بشرية لأنها من صلب الدين والإنسانية محتاجة فيها إلى بيان كامل من الله تبارك وتعالى مثلها مثل العقيدة والعبادة والمعاملات وبذلك يتحرر العلم الإسلامي من التبعية والاحتواء وتؤدي هذه الدعوة إلى تحقيق عدة أهداف وإرساء قاعدة عريضة للعلم :

أولا : التأكيد على قيمة العلم في الإسلام والإقرار بأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة لأن الإسلام يطالب العقل البشري بالنظر في هذا الكون والتأمل في بديع صنع الله فيه ليتعرف بذلك على خالقه وعلى شئ من صفاته كما يستخلص عددا من السنن الكونية التي تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض وعمارة الحياة فيها.

ثانيا : إبراز عظمة الكون وروعة مافية من مخلوقات (من الجماد والأحياء والطاقات والظواهر) والتأكيد على أن هذا الكون الشاسع الاتساع المحكم البناء الدقيق الحركة لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه كما لا يمكن أن يكون قد نتج بمحض الصدفة بل لابد له من خالق عظيم قد أوجده بعلمه وحكمه وقدرته وتدبيره وهو الذي يرعاه بعنايته ورعايته ويكلأه برحمته.

فالاحتمالات الرياضية للصدفة في نشأة الكون معدومة فعلا مما يجزم بأن الكون الذي نحن فيه لا يمكن أن يكون قد وجد إلا بتدبير مسبق وحكما بالغة كما انه لا يمكن أن يستمر وجوده الآلاف الملايين من السنين.

ثالثـــا : التأكيد على أن هذا الكون المتناهي الاتساع مبني على نفس النظام من أصغر وحداته إلى أكبر مجموعاته كما أن مكوناته على تباين أشكالهـــا وهيئاتها يمكن ردها إلى لبنات أربع هي (المـــادة - الطاقـــة - المكـــان - الزمان).

وقد توصل العلم إلى أن المادة على خلاف صورها ترد في أصلها إلى غـــاز الهيدروجين وأن الطاقة بمختلف أنواعها بما فيها (الجاذبية) لابد أن تلتقـــي في شكل واحد للطاقة.

كما أثبت العلم أن المادة والطاقة شئ سواء وأن المكـــان والزمـــان شـــئ متواصل وكذلك تتحلل مركبات الكون المعلوم لنا إلى شئ واحد لا نعرف كنهه تتساوى فيه المادة والطاقة ويتواصل الزمان والمكان وهـــذا الشـــيء الواحد يؤكد لنا وحدة الخالق العظيم تبارك وتعالى.

رابعـــا : التأكيد على أن هذا الكون ليس أزليا فقد كانت له في الأصل بداية يحاول العلم التجريبي حسابها كما أنه لا يمكن أن يكون أبديا فكـــل مالـــه بداية لابد وأن تكون له في يوم من الأيام نهاية.

والعلوم الكونية بمختلف شعابها تؤكد على هذه الحقيقة.

خـــامســـا : التأكيد على أن العلم في جوهره هو محاولة جادة للوصـــول إلى الحقيقة وعلى ذلك لابد لكل مشتغل به من التسلح بصفات الأمانة والدقة والرغبة الصادقة في التوصل إلى معرفة الحق كذلك لابد من الـــتأكيد على أن البحث العلمي المتميز بالإخلاص والتجرد هو نوع من الجـــهاد الـــذي

يؤجر عليه الإنسان. " هذا النص منقول عن باحث مسلم من علماء التجريب "

هذا ويقرر بعض الباحثين أن مفهوم العلم مرتبط أولا بالمنهج التجريبي وينطبق على العلوم الطبيعية بالدرجة الأولى وهو محدود ومؤقت ومائل إلى إعادة النظر باستمرار.

وقد أتخذ علماء الغرب مفاهيم العلم الإسلامي بعد أن فتحت أمامهم أبواب جامعات الأندلس فأنتقل منها العلم الإسلامي إلى أوربا وكانت قضيتهم الكبرى هي مواجهة الكنيسة التي حرمت عليهم مفاهيم التجريب الإسلامي ، ومنهم من واجه افتراضات علماء اليونان وبدأ ثوثيوكوس عام ١٥٤٣ طريق العلم الحديث حين افترض أن بطليموس على خطأ وأن الشمس لا الأرض هي مركز الكون وقد إصدار البابا قرارا بتكفيره لأنه خالف ما نصت عليه الكتب المقدسة من أن الأرض هي مركز الكون ونشطت محاكم التفتيش في أعقاب كتاب (كوبر نكوس) وزملائه ثم جاء بروند ليجوب أفاق أوربا بحماس ناري لهذه القضية.

وأكد كويتكوس أن الطريق إلى الله إنما يكون بالاتحاد بحركة الأجرام السماوية في كمالها المطلق لأن هذا الكون كل واحد، وجاء دور علماء المسلمين في تصحيح أخطاء علماء الغرب حول حقائق الإسلام حين قام ابن ا لهيثم في القرن الخامس في مصر فألف كتاب سماه (الشكوك على بطليموس) وتحدث فيه عن طبيعة البحث العلمي طارحا رأيا يعد من أنضج الآراء العلمية فقد قال إن العا لم الكبير له أخطاؤه لأن الطبيعة الإنسانية لا تبلغ الكمال ومن ثم فالخطأ جائز مع كبار العلماء ولذلك يجب ألا تأخذ آراؤهم كقضايا مسلمة دون فحصها أو بحثها.

وكشف أبن الهيثم عن تناقض كبير بين الأسس والفروض التي أستند إليـــها بطليموس في هيئاته الفكرية وأنتهي إلى أن هيئة بطليموس الفلكية أو نظريته في هيئة العالم باطلة وطالب بالسعي نحو اكتشاف نظرية صحيحة لا يوجد فيها تناقض.

وجرى التساؤل هل العلم محايد أم أن العلوم منحـــازة وقـــد تـــأكد أن العلـــوم الاجتماعية منحازة وقد كانت العلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليـــهود) علوم منحازة فإن كلا العلمين يخدم الأيدلوجية التلمودية.

ونرى الماركسيون يهاجمون العلوم الاجتماعية وعلـــم النفـــس الرأسمـــالي والعكس يحدث أيضا.

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم على عمل مستقل بل هـــو في خدمـــة هدف ، كذلك منهج العلوم التجريبية نفسه فهو في الدول الرأسمالية يخدم هدف الرأسمالية وفي الدول الشيوعية يخدم هدف الشيوعية فالعلم أيضا منحاز.

ولقد مضى الوقت الذي كان يطلق فيه على نظريات الفلاسفة علما وعلى ما يتعلق بالإنسان علما بمعنى أنه يخضع للمادة وتكشف أن العلـــوم الإنســـانية لا يمكن أن تخضع لمناهج المادة ومشروع القنبلة الذريـــة في أمريكـــا وتفجيرهـــا في هيروشيما ونجازاكي يبرهن على عدم حياد العلم وعلـــى انحيـــازه وأن وجهـــة المجتمعات هي التي تتحكم في توظيف العلم الغربي وهي التي تفرض أوليات البحث وإذا كان هذا في الغرب فإن في روسيا العلم أكثر تبعية للمذهب الماركسي وخدمة له.

حاجتنا إلى نظرية نقدية عربية للمواد الفلسفية وذلك بوصفنا مجتمعا عربيا إسلاميا يسعى جاهدا في طريق النمو ويريد أن يحدد المعالم الفكرية والمبادئ النظرية لشخصيته القومية بطريقة مستقلة تحميه من الوقوع أسيرا في شباك الفكر الأجنبي وسمات النظرة النقدية العربية هي :

السمة الأولى : النظر إلى المذاهب الفلسفية في ارتباط بظروف نشأتها لأن الفلسفة بكل مذاهبها نتاج لظروف المجتمع الذي نشأت فيه ويترتب على ذلك أن يصبح لكل مجتمع فلسفته الخاصة ونظرياته الذاتية النابعة من صميم أحداثه الداخلية وظروفه الاجتماعية وتعتمد نظريتنا على رفض الحلول الغربية والمذاهب الاجتماعية للمشكلة الفلسفية لأنها ثمار لتربة اجتماعية أجنبية وليست ثمارا لبيئة عربية قومية.
ويقتضينا هذا أن نبحث عن حلول أخرى تكون نابعة من صميم واقعنا العربي وديننا الإسلامي فنحن لنا تقاليدنا وظروفنا وتاريخنا وقوميتنا وعقيدتنا السماوية التي نتمسك بها ونعتز بها والتي تجبرنا على عدم نقل كل نظم الآخرين أو اقتباس شئ من نظرياتهم ومذاهبهم فإن كل مجتمع يختلف عن غيره ولابد أن تنبع حضارته من ضميره الذاتي وتاريخه الطويل.

السمة الثانية : رفض الحلول الأجنبية والبحث عن حلول عربية إسلامية للمشكلات الفلسفية ونرفض الحلول الأخرى التي لاتتلائم مع تراثنا وواقعنا وظروفنا الخاصة ومن الخطأ الاعتقاد بأن حلول المشكلات الفلسفية هى حلول مطلقة تصلح لكل زمان ومكان ومتوافقة مع ظروف كل المجتمعات.
والذين ينادون بذلك يروجون لنوع جديد من السيطرة الفكرية الأجنبية وذلك لينفذوا من خلالها إلى المجتمعات وليقضوا على شخصيتها ومحو هويتها لذلك يجب على الشعوب الآخذة في النمو أن تحدد لنفسها موقفا فكريا مستقلا.

ومن أصول وجهة النظر العربية الإسلامية أنها لا تقبل كل المذاهب الفلسفية والأجنبية على علاتها وكذلك لا ترفضها برمتها بل تقبل فقط مـــا يتوافـــق مـــع ظروف محيطنا العربي الإسلامي.

السمة الثالثة : التوسط والاعتدال سمة الإسلام التوسط والاعتدال الوسط وهو أفضل الطريقين لأنه جمع بين مزايا كل منهما وخير الأمور أوسطها وقد أتخذ الإسلام مذهبا وسطا في تنظيم شئون الدين والحياة وكذلك ما بين الروح والمـــادة فلم يرفع من شأن أحدهما على حساب الآخر وكذلك الحال بخصـــوص الدنيـــا والآخرة والفرد والمجتمع.

مصطلح (فكر)

وردت كلمة فكر على صيغ مختلفة وفي مواضيع كثيرة من القرآن الكـــريم كما وردت كلمات (عقل) ولب ، وكما وردت صيغما صيغها في مواضع كثيرة

(١) التفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.

(٢) النظر في أصول النفس الإنسانية.

(٣) النهي عن التقليد على شاكلة الذين يقدرون الحياة المادية وحدها والنهي عن الكبائر.

والتفكير هو استعمال العمليات المنطقية والعقلية للحصول على المعـــارف سواء كان السلوك حسنا أم سيئا والتفكير هو الرجوع إلى النفس وإلى الكون لسبر أغواره حتى يعيش الإنسان محفوفا بهالة من نور ، هذه العقيدة التي يتمســـك بهـــا المؤمن حتى يحمي نفسه من أن تلعب به رياح التيارات المغرضة والمدسوسة والضالة أو المغضوب عليها وعلى أصحابها.

ويستحيل أن يعيش الإنسان دون نظرة شاملة إلى الكون وللعقيدة فإن مقصدها هو ربط الإنسان لا أن يتمزق الإنسان.

وقد أيقظ الإسلام الفكر الحي ليعمل العقل في كشف معجزة الخلق الكبرى في الإنسان وفي الكون من حوله

والفكر الإنساني في القرآن الكريم له خصائصه القائمة على أساس من

(١) الالتزام الإنساني العام

(٢) الاستجابة لنداء الفطرة والوحي ومن الخطأ أن نستعمل كلمة (أيديولوجية) بدلا من كلمة(عقيدة) أو نستعمل كلمة (التزام) بدلا من كلمة إيمان والعقيدة باب لنوع من الاستقرار في النفس: هذا الاستقرار لا يحظى به الإنسان مالم يقم على العلم ولا ريب في أن الضوابط التي وضعها القرآن على المجتمعات من شأنها أن تنقذ هذا المجتمع من جميع الأخطاء والانحرافات التي شهدها التاريخ الإسلامي.

٥-*تعريب العلوم*

إن تعريب العلوم قد أصبح اليوم وفي مجال أسلمة العلوم والمناهج ضرورة حتمية أساسية لبناء الأساس الذي يمكن المسلمين من إقامة حضارتهم من جديد على قواعد حقيقية.

ولقد عملت قوى التغريب والغزو الفكري طويلا وعلى مدى السنوات الماضية دون تحقيق هذه الغاية النبيلة.

ومن المدهش أن يظل التعليم العلمي والتقني في الجامعات العربية غير معرب بالرغم من أننا نملك أرقى لغة وأسمى بيان يجعل الطالب العربي أقدر على المناقشة بها وأسرع إلى استيعاب هذه العلوم المتقدمة هذا فضلا عن أن اللغة الأجنبية

مازالت تعيق الطالب عن معرفة الكثير من المعلومات في أثنـــاء قيامـــة بترجمتـــها واستيعابها ذهنيا ثم ترجمتها مرة أخرى إلى اللغة الأجنبية مما يوقع الطالب في كثـــير من المشاكل وخاصة إذا لم يكن متمكنا من اللغة الأجنبية حيث تضيع معنى الكلمة المطلوبة وتقل سرعة استيعابه للمصطلحات الأجنبية.

وعلى معارضي التعريب أن يدركوا عدة حقائق :

أولا : ذلك الترابط العضوي بين اللغة والفكر حيث يقرر علم اللغة الحديث حتمية انتماء الإنسان إبداعيا إلى لغته الأم وإن أجاد لغات أخـــرى ويحـــذر مـــن خطورة الازدواجية اللغوية بين لغة الحياة العامة والمحادثات العادية ولغـــة غربيـــة أخرى للتفكير والتعليم والبحث العلمي هذا بالإضافة إلى المسلمات التي تقول إن الطالب يتلقى العلم بشكل أفضل بلغته الأم وأن الأستاذ يوصل العلم بقدرة أكـــبر بلغته الأم كذلك وإن الاثنين يتمكنان تعلما وتعليما مـــن التواصـــل والتفـــاعل والإبداع بدرجة أنجع بتلك اللغة السارية عميقا في عروقهما بعيدا عـــن تشتـــت الذهن وتمزقه بين دفق المعرفة الحديثة وتقاليد اللغة الأجنبية الغربية وبمنأى أيضا عن عقدة الدونية والاستلاب والاغتراب المتمثلة في الارتباط الشرطـــي بـــين نفســـية الطالب وفكره عن المعارف التكنولوجية الحديثة واللغة الغربية على صعيد واحـــد ومن موضوعات الحياة العادية ولغته القومية على صعيد آخر.

هذا ما يقوله دكتور محمد جابر الأنصاري الذي يتساءل أيضا هل تتقدم أمة علميا بلسان غيرها ، إن احتلال اللغة الأجنبية للفكر والوجدان أخطر من احتلال المغتصب للأرض.

ومما يروي في هذا الصدد أن سلامه موسى حاول صرف العرب عن لغتهم القومية ووصفها بألها ضيقة إلى لغات الفاتحين ونعي على اليهود الصهيونيين الهم أحيوا لغتهم القديمة ولكن تجربة إسرائيل كذبت بنبوءة سلامة موسى.

وبالنسبة للتعريب في المغرب يقول الأستاذ المغربي مصطفى بن خلف : إن التعريب لا يعني الانغلاق على النفس وقصور النظر حتى ندور في حدود ضيقة، فالتعريب لا يتعارض مع ضرورة معرفة اللغات الأجنبية.

ويكفي أن نذكر ما قام به أجدادنا من ترجمات ومن بحث في الحضارات القديمة اليونانية والهندية وغيرها مما كان ولاشك يتطلب معرفة دقيقة للغات تلك الحضارات فبدؤوا باستيعاب جميع أصناف المعارف بوساطة اللغات الأجنبية التي كتبت بها ثم قاموا بصياغتها صياغة عربية قبل الابتكار والإبداع واستنبات العلوم العربية وتوطينها ونقل ما سبق العرب من تراث ، أما امتداد العالم الإسلامي من الأندلس إلى وسط آسيا فكان يفرض سلوكا لغويا لا يضر بشيء لغة القرآن الكريم وهي اللغة العربية أما الأوربيون فقد تعلموا بدورهم اللغة العربية لاكتساب العلوم والمعرفة التي وفرها الحضارة العربية الإسلامية وبنوا نهضتهم وخرجوا من ظلمات القرون الوسطى بفضل التفتح على حضارتنا فلولا ابن الهيثم والبيروني وغيرهم لما سمعنا شيئا عن جاليليو وكوبر نركيس وغيرهم.

وفي عالمنا المعاصر أصبحت معرفة اللغات الأجنبية ضرورة ملحة أكثر مما مضى ولكن الأولوية تعطى للغة الوطنية وهي اللغة العربية ثم يأتي تعلم اللغات الأجنبية بالنسبة لمن حقق الواجب الأول فالتفتح شئ والانسلاخ من الشخصية الوطنية شئ آخر.

والتفتح لا يعني استخدام اللغة الأجنبية في البيت وفي المصنع وفي الإدارة وفي الحياة العامة فلنثبت أولا شخصيتنا العربية وبالعمل على التداول باللغة العربية فيما

بيننا وفي جميع المناسبات والقطاعات حيث يطغى استعمال اللغة الأجنبية وبعد تحقيق هذا الهدف يمكننا اللجوء عند الضرورة إلى اللغة الأجنبية بدون عقدة نفسية.

وبالنسبة لتعريب الطب يمكن الاستفادة من التراث الطبي الإسلامي وقد طالبت الجمعية المصرية لعلوم التشريح بالإسراع في تعريب علوم التشريح تمهيدا لتعريب العلوم الطبية بهدف النهوض بمستوى الأطباء والاستفادة من التراث الطبي الإسلامي والمفاهيم التي وضعها علماء المسلمين في ترجمة وتعريب المصطلحات الطبية.

وقد أعلن الدكتور خيري السمره عميد كلية طب القصر العيني أن مهمة تعريب الطب أمانة في أعناق علماء مصر مشيرا إلى أن الإمكانيات العلمية في هذا المجال موجودة ولا ينقصها سوى التنسيق والترابط وقال إن التعريب الطبي بمصر سوف يتبعه تعريبه في جميع الدول العربية.

ويمكن الاستفادة من التجارب التي قامت بها الدول العربية حيث توجد محاولات ناجحة لترجمة بعض المراجع الطبية الأساسية المستخدمة في تدريس الطب والمعتمدة في جامعات بريطانيا وأهمها أكسفورد.

والواقع أن تجربة تعريب الطب بدأت في سوريا منذ ١٩٢٠ ومضت بنجاح وحققت رصيدا كبيرا في هذا المجال.

ولكن قوى التغريب والغزو الثقافي ما تزال تحاول الوقوف في وجه الأصالة والتماس العرب والمسلمين لتحقيق هويتهم.

٦-حمايـــة الهويـــة الإسلاميـــة

لقد أصبح من المقرر أن يضع المفكرون المسلمون قضيـــة حمايـــة الهويـــة الإسلامية على رأس قيمهم ومفاهيمهم في مواجهة محاولة هيمنة المفاهيم الغربيـــة التي أصبحت تقدم لنا على أنها النموذج الذي ينبغي لكل البشـــر أن يتبعـــوه وإلا فسيكونون خارج سباق التاريخ.

يقول الدكتور طه العلواني : لقد بدأ الفكر الغربي والثقافة الغربية المعـــاصرة يبسطان ظلالهما على كل شئ بشكل كاد يلغي ثقافات الأمم وفكرهم ، وسيظل يبطل مفاهيمهم ويضعف من شأن مصادر رؤيتهم وأمعن في ذلك - كله - تحت ستار العلمية والموضوعية ومنح علومه الاجتماعية الإنسانية ومفاهيمه- الخاصة - صفة العالمية والإطلاق والشمول.

والحقيقة أن عالمية الغرب لتعني سوى تمركزه حول ذاته واستلاب موروثات الآخرين من كل مقوماتهم الحضارية خلافا لعالميـــة الإســـلام ذات الاســـتيعاب الحضاري والمتكافئ لكل الشعوب في حين أن الغرب عبر مركزيته -وليس عالميته - قد أشاع مقولة أن العلم لادين له ولا وطن وشعار (العلم للعلم) و(الفن للفن) وغير ذلك من أجل أن يدفع الأمم الأخرى إلى التنازل عن فكرها وثقافتها، وذلك لأن حضارة الغربي وثقافته تقوم على نوع من الثنائيات المتقابلة التي لا تسمح لهـــا طبيعتها بالإبقاء على ثقافة وحضارة أخرى فإن لم يكن فإن المقابل هـــو تطويـــع الثقافات ثقافة الغرب ومن خلال هذا الإطلاق المزعوم ، حاول الغرب أن يضـــع ثقافته وفكره ومفاهيمه الأممية ليحصل كل خارج على مفاهيمه وأفكـــاره وقيـــم ثقافته وأطر حضارته خارجا على الإجماع البشري شاذا عـــن قواعـــد الحضـــارة والعمران بالطريقة التي يفهمها الغرب وبذلك أغرق العالم بمفاهيمـــــه الحضاريـــة والثقافية وملأ العقول والقلوب بها حتى أستسلم العالم كله لها.

فمفاهيمه في العلم والجهل والموضوعية واللا موضوعية والتقدم والتخلف والتنمية والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان هي المفاهيم السائدة التي لم تترك مجالا لسيادة غيرها فكأنه قد أخضع العالم لنظام ثقافي دولي كل مقدراته بين يديه قبل أن يخضعه لنظام دولي جديد يكون هو سيده المفضل.

إن العقل الغربي اليوم يحاول أن يراجع مقولاته تلك ولكنه حتى في عمليات نقده ومراجعاته متحيز لمنطلقاته الغربية.

وعلى العلماء المسلمين أن يطلعوا على مراجعات الغرب ليكون لها أثرها في إعادة بناء انساق معرفية متنوعة في إطار وحدة الحق والحقيقة ووحدة الخلق والخالق وإعادة الارتباط بين المعرفة والقيم الإلهية ورد الاعتبار للوحي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة ، وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهي للإنسان لتمكينه من مهمته في الخلافة والعمران وليست أمرا مسروقا من بروثيموس بروميثيوس، هنا تبدوا أسلمة المعرفة ضرورة عالمية تقتضيها عمليات المراجعات والإصلاح الفكري والثقافي على مستوى عالمي إنساني لفك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري وإلا حالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف العلوم ضمن إطار منهجي معرفي مهتد بهداية الله (تبارك وتعالى) الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم فأسلمة المعرفة لا تعبر عن خلاف في وجهات النظر بيننا وبين الغربيين حول مباحث علمية معينة في معارف الاجتماع والإنسان كما أنها لا تعبر عن مجرد وضع إطار فيه عبارات دينية موشاة بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية ملائمة لموضوعات العلوم بل هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للمعارف وقواعدها وقوانينها يمثل الوحي فيها المصدر الأساسي.

كما أن المتخوفين من أسلمة العلوم الظانين بها ظن السوء المتوهمين بأنها تمثل عملية بسط السلطان الديني على كل شئ مخطئون فهي لا تمثل هذا بحال ، كما

أنها ليست محاولة لسحب الرداء الإسلامي على هذه الموضوعات والمنجزات الحضارية واستلابها واحتوائها لتتحول إلى ميدان من ميادين الفتاوى الفقهية بل هي تعبير عن دور إسلامي رائد ينقل الفكر الإسلامي من مجال البحث عن الموافقات والمقارنات إلى صميم المأزق الحضاري الذي تتخبط البشرية فيه الآن." أ.هـ

٧- *المسلمون والتجريب*

ما تزال معطيات الإسلام للعلم التجريبي والحضارة موضع تشكيك من كثير من أقلام التغريبيين والمستشرقين والعلمانيين بدعوى أن المسلمين نقلوا ما كان في الحضارات القديمة وحفظوا هذا حتى استفاد منه العصر الحديث.

وهذه مقولة باطلة : يقول الدكتور ماهر عبد القادر : ليس صحيحا على الإطلاق أننا اكتفينا بنقل ما في الحضارات القديمة فلم نكن مستودعا لذاكرة الغرب تحفظ له تراثه كوديعة استودعها عند نهضته والحقيقة أننا أسهمنا في العقل الحضاري وكان لنا دورنا في دفع العلم خطوات إلى الأمام.

وكان للعرب (يقصد المسلمون) نظريات علمية أكتشفها العرب ومنهجا استخدموه.

وكان المنهج العلمي المتعارف عليه في البحث العلمي هو " القياس الارسطي" الذي ساد منذ عصر أرسطو حتى عهد النهضة الأوربية ، وكان العرب أكثر دقة إزاء هذا المنهج حيث جمعوا ما بين هذه النظرية ونظرية أخرى هي : النظرية الحسية أو ما نسميه بالاستقراء فعرفوا (الملاحظة - والتجربة -والمشاهدة) وهذه الوسائل لها دور واضح جدا في علوم كثيرة كالفلك والطب والنبات والحيوان.

(٢) و لم يقف الأمر عن ذلك فقد نبه علماء العـــرب إلى أخطـــاء البصـــر وأخطاء أوهام الحس (قبل ديكارت) وهو ما جعلهم يكملون المشاهدة الحســـية بشيء آخر سموه (الاعتبار) أي التجربة والتجربة والملاحظة شئ عرفـــه الأطبـــاء العرب والكيميائيون العرب كابن حيان والرازي وغيرهما.

(٣) وقد أضيف إلى هذا في مرحلة تالية بعد جديد وتطور جديـــد هـــو : المنظور الرياضي وكيفية تحويل الملاحظات الكيفية إلى أرقام وتلك خطوة مهمـــة جدا لتطوير العلم وانطلق منها بعد ذلك العالم الأوربي الشهير : فرنسيس بيكون. وقد فصل كتاب الرازي الشهير (الحاوي) هذا المنهج وأشار بعمق إلى الملاحظـــة والتجربة في البحث العلمي.

وفي هذا المجال يبرز دور علماء المســـلمين في تصحيـــح أخطـــاء العلمـــاء السابقين، كما يبرز من بعد كثيرا من فضل علماء المسلمين الذي نسبه إلى نفســـه بعض علماء الغرب.

فقد كنا نعلم أن ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغـــرى فقـــط ولكن الدراسات الجادة والمنصفة أكدت أنه هو أي ابن النفيس هو أيضا مكتشف الدورة الدموية الكبرى وذلك من خلال دراسة وفحص كتابات ابن النفيس.

وكانت نظرية جالينوس هي التي استخدمها ابن سينا أما ابن النفيس فـــرأى أنها لا تتسق وما يحدث في الواقع ومعنى ذلك انه رأي ومارس وشـــرح الجســـد البشري ووجد خللا (أزمة) بين ما هو نظري وبين ما هو عملي ووجد انســـياق ابن سينا وراء جالينوس يخفي بعض الحقائق لذلك كانت ثورته العلمية لتصحيـــح هذا الخلل.

ولقد كان لاكتشاف (ابن النفيس) أثره في تقدم علـــم الطـــب بســـبب اكتشافه.

أما ابن الهيثم وحديثه عن الضوء فقد نقل إلى العالم الغربي فتحا كبيرا تلقفه (نيوتن) ووصل إلى نفس النتائج التي وصل إليها ابن الهيثم من قبل.

وهذا يؤكد خطأ مقولة أن العقلية العربية الإسلامية عقلية ميتافيزيقية تغلب الغيب على الحاضر وإنما هي فترة أصيبت العقلية العربية فيها بشيء من الجمود بسبب ظروف سياسية أو تاريخية.

أما القول بأن العقلية العربية الإسلامية عقلية غيبية بشكل مطلق فهذا مرفوض تماما.

يقول سجريد هونكه : قبل ستة قرون كانت مكتبة الطب في باريس أصغر مكتبة في الأرض إذا كانت تتكون من كتاب واحد مستعار ، استعاره الملك الفرنسي لويس الحادي عشر مقابل ١٢ ماركا ذهبيا وقد مضى إجادة الخواص ينسخون منه نسخا يرجعون إليها كلما أصابه مرض أو أحس بوعكة ولا يزال طلبة كلية الطب الجديدة في شارع سان جرمان دي باريس يرنون في مرورهم نحو مدرجات الكلية إلى تمثال قائم في بهو الكلية وهو التمثال لمؤلف الكتاب المذكور وهو واحد من أكبر أطباء جميع الأمكنة والأزمنة : أنه أبو بكر محمد ذكريا الرازي.

وكان يقال عن أي طبيب ماهر في أوربا إنه روح ابن سينا وهذا حتى القرن السابع عشر ونظريات ابن سينا في الجيولوجيا وكتابه في المعادن بقي المرجع الرئيسي لأوربا حتى القرن الثامن عشر أما كتابه (القانون في الطب) فقد ذكر المؤرخ الفرنسي سيكافي في كتابه لمحة من تاريخ عام مقارن لفلسفات القرون الوسطى انه كان يدرس في جامعة لوفان ببلجيكا حتى عام ١٩٠٩.

يقول سجريه هونكه: إن العرب الذين ازدهرت جامعاتهم منذ القرن التاسع الميلادي هم الذين أمدونا بنموذج الجامعات وتقسيمها إلى الكليات المختلفة ومنهم

تعلمنا إجراء الامتحانات ومنح الشهادات وعنهم أخذنا مناهج التعليـــم وأخـــيرا أخذنا عنهم المحتوى أيضا و لم نتلق منهم الكأس فارغة بل بمحتواها ، تلقيناها مليئة بالراح المعتقة." أ.هـــــ

٨- *الشـــورى والديمقـــراطيــــة*

يقرر الإسلام في شأن مفهوم الشورى والعدل أن البشرية من أصل واحــــد وهي تنقسم إلى قبائل وأمم حتى تتفاهم وتحيا متعارفة.

ويشار على المؤمنين باستشارة بعضهم بعضا في الشئـــون الاجتماعيـــة والا يتخذوا قرارهم بمعزل عن غيرهم.

وأن المفروض على المسلمين أن يتحدوا كأخوة وأن يحلوا المشـــاكل الـــتي تنشب بينهم حلا سلميا.

ويجب أن يكون جوهر الحياة الفردية والاجتماعية في الإســـلام : الإيمـــان والعمل الصالح.

كذلك يدعو الإسلام إلى الأخوة والتعاون على أن يقـــوم كلاهمـــا علـــى الفضيلة وليس على المصالح الأنانية. وعلى المؤمنين إن يحب بعضهم بعضـــــا وأن يعطف بعضهم على بعض وإن يرشد بعضهم بعضا إلى الطريق المستقيم وان يهبوا طوعا جزءا من ثروقم للصالح العام وعلى الحكام والقضاة أن يحكموا بالعدل.

لقد جاء الإسلام سابقا على نشأة الديمقراطية الغربية وأن الإسلام هو الذي أنشأ الديمقراطية للمرة الأولى في تاريخ العالم.

ويرى الباحثون أن الديمقراطية كفكر وضعي وفلسفة دنيوية لا تمد بصرهـــا إلى ما هو ابعد من صلاح دنيا الإنسان بالمقاييس الدنيوية لهذا الصلاح على حـــين

نجد الشورى كفريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة فتعطي الصلاح الدنيوي بعدا دينيا يتمثل في المعيار الديني لهذا الإصلاح.

ويرى الدكتور محمد عمارة أن الجزئية التي تفترق فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية فإنها لا تكاد تعدو الخلاف حول السيادة في التشريع ابتداء ، فالديمقراطية تجعل السيادة في التشريع ابتداء للشعب والأمة أما صراحة وأما في صورة ما سماه بعض مفكريها بالقانون الطبيعي الذي يتمثل في نظرهم : أصول الفطرة الإنسانية.

فالسيادة وكذلك السلطة في الديمقراطية هي للإنسان (– الأمة – الشعب) أما في الشورى الإسلامية فإن السيادة في التشريع ابتداء هي لله تبارك وتعالى تجسدت في الشريعة التي هي (وضع إلهي) وليس إفرازا بشريا ولا طبيعيا.

ما للإنسان في التشريع أول هي سلطة البناء على هذه الشريعة الإلهية والتفصيل لها والتقنين لأصولها والتقريع لكلياتها كذلك لهذا الإنسان سلطة الاجتهاد فيما لم ينزل فيه شرع سماوي شريطة أن تظل السلطة البشرية محكومة بإطار الحلال والحرام الشرعي أي محكومة بإطار فلسفة الإسلام في التشريع.

لذلك كان الله تبارك وتعالى في الرؤية الإسلامية هو الشارع لا الإنسان وكان الإنسان هو الفقيه لا الله ، فأصول الشريعة ومبادئها وثوابتها وفلسفتها إلهية تتمثل فيها حاكمة الله تبارك وتعالى والبناء عليها تفصيلا وتنمية وتطورا وتفريعا واجتهادا للمستجدات ، هو فقه وتقنين تتمثل فيهما سلطات الإنسان المحكومة بحاكمة الله (تبارك وتعالى).

ولهذا التمييز صلة وثيقة بنظرة كل من الحضارتين الغربية والإسلام لحدود تدبير الذات الإلهية وحدود تدبير الإنسان وللعلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى.

ففي النظرة اليونانية القديمة (أرسطو ٣٣٢ ق.م) نجد أن الله جـــل شأنـــه وعلا علوا كبيرا قد خلق العالم ثم تركه يعمل وفق طبائعه وقوانينه دون تدخل أو رعاية إلهية دائمة.

وهذه النظرة لحدود التدبير الإلهي وجدت في العلمانية الغربية وهي تعتمـــد على المبدأ الإنجيلي الذي يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله فتفصل في إطار التدبـــير الإلهي – الذي وقف عند الخلق وبين إطار التدبير الإنساني الذي أعطاه السيادة في تدبير العمران الدنيوي دونما قيود من الحاكمية الإلهية على هذه السيادة والســـلطة البشرية، ذلك لأن الإنسان في هذه النظرية الغربية هو سيد الكون ومن هنا كانت له السيادة في التشريع والسلطة في التنفيذ.

أما في النظرة الإسلامية فإن الله تبارك وتعالى (له الخلق والأمر) تقديـــــر لم يقف فقط عند الخلق وإنما له أيضا الأمر المتمثل في الشريعة التي أنزلها لتكون إطارا ودعا إلى الالتزام بإطارها في هذه الحياة.

ولأن النظرة الإسلامية لمكانة الإنسان في الكون لا تجعل هذا الإنسان سيدا للكون وإنما تراه خليفة عن سيد الكون فلقد رأت هذه الخلافة مركـــزه في أدائـــه لأمانة الاستخلاف وعمارة الأرض ببنود عقد وعهد الاســـتخلاف الـــذي هـــو الشريعة الإلهية أنه الإنسان في النظرة الإسلامية حر قادر مريد يستطيع في حدود انه خليفة عن الله تبارك وتعالى القادر بلا حدود " أ.هـــ

(٢)

ولقد تحدث كثير من الباحثين الإسلاميين عن ركائز المشروع الإســـلامي وهذا نموذج مما وصفه الأستاذ فهمي هويدي على هذا النحو :

(١) أن تبنى دولة مدنية تمثل الأمة مصدر السلطة فيها وهي دولة القانون فيها مصدره الوحي الذي به يعلو فوق أية سلطة أرضية ويخضع لها الحاكم قبل المحكومين.

(٢) الأساس فيه هو المساواة بين الناس حيث الجميع (خلقوا من نفس واحدة) وينتمون إلى جنس الإنسان الذي هو مخلوق الله المكرم المختار

(٣) ومن ثم فالآخر له مكانته وشرعيته حيث كان الإسلام هو الذي بين الاختلاف بين الناس واعتبره بنص القرآن حاصلا لحكمة أوردها الله تبارك وتعالى.

(٤) الإمامة أو الحكم عقد يتم برضاء الناس ولهم إذا ما أخل الحاكم بشروطه أن يراجعوه.

(٥) حق المساءلة واجب شرعي طبقا للتكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٦) الشورى الملزمة هي أداة المشترك في القرار ويقصد بها أي لا ينفرد كائن من كان بأمر المسلمين.

(٧) الهدف النهائي واجب الاعتبار إنما هو إقامة القسط والعدل بين الناس **{ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط}** وعندما توضع هذه الركائز في مواجهة الديمقراطية يلاحظ مايلي:

- أنها تعطي بعدا عقديا للالتزام والتكاليف إذ تظل هذه الممارسات بما يقيم الناس به الدين في الأرض.
- إن الشورى تمثل ركنا في إطار مشروع حضاري متكامل وغاية محدودة هي إقامة القسط والعدل بين الناس

- إن المقابلة لا تصح بين الإسلام والديمقراطية إنمـــا هـــي بـــين الشـــورى والديمقراطية وفي حدود هذه المقابلة فإننا لا نرى اختلافا أساسيا في الآليـــة والمقاصد.

وقد أشار الباحث إلى أن الأستاذ حسن البنا عـــام ١٩٤٨ تكلـــم عـــن (ديمقراطية الإسلام) انطلق فيها من القول العام للفكرة واعتبرهـــا تنطبـــق كـــل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه

وقرر العقاد أن الإسلام هو الذي أنشأ الديمقراطية للمرة الأولى في تـــاريخ العالم، وأن الإسلام يحتمل الديمقراطية بمختلف آلياتها وقيمها شريطة ألا تحل حراما أو تحرم حلالا.

ويقرر الدكتور محمد سليم العوا : إن الشورى في الإسلام ليست قـــاعدة سياسية وإنما قاعدة تشمل الحياة كلها من أول العلاقة بين الـــزوج والزوجـــة في إرضاع الأطفال وفطامهم (إن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) ،(وشاورهم في الأمر) ووصف الجماعة في مكة قبل أن تكون لها دولة بأنها جماعة.

{الذين استجابوا لله وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنـــاهم ينفقون} ووصفهم بالإيمان وبالصلاة والشورى والزكاة فـــالشورى في الإســـلام ليست أمرا سياسيا بل هي قاعدة لتنظيم الحياة، إذا فكل أنواع العلاقات في المجتمع الإسلامي يجب أن تقوم على الشورى.

والشورى عندي ملزمة ينبغي على صاحب القرار أن يستشير قبـــل اتخـــاذ القرار وينبغي على الأقلية أن تنصاع لرأي الأكثرية وينبغي على المجتمع كله أن يدار بطريق المشاورة بين أبنائه في جميع المجالات. " أ.هـــــ

(٣)

يردد كثير من العلمانيين مقولة باطلة هي (أن الديمقراطية المعـــاصرة هـــي الشورى) التي جاء بها الإسلام والمقولة الثانية إن العدل الاجتماعي في الإسلام هو الاشتراكية) ويجري هذا اللغط في دائرة خطيرة هي دائرة تزييف المصطلحات دون تقدير واضح لأبعاد الفوارق بين ارتباط المصطلحات بثقافات الأمم على نحو يجعل لكل ثقافة قيمها ومصطلحاتها ولكل مصطلحات مفاهيمها وتفسيراتها.

فالشورى أساسا أقدم من الديمقراطية ، والشورى منهج رباني جاء ضمـــن شريعة الإسلام بينما تتمثل الديمقراطية في منح بشري غربي وافد غير أن كلا منهما يقدم منهجا يجعل للشعوب حق الاستشارة.

غير أن الشورى الإسلامية تتمثل في أن الشريعة وضع إلهي تختلـــف عـــن المطروحات البشرية يقبله المسلم ويسلم به تسليما كاملا وان كان من حقـــه أن يجعلها مرتبطة بالمتغيرات من حيث ما أعطاه الإسلام من سلطة الاجتهاد فيمـــا لم يترل فيه شرع سماوي في دائرة الحلال والحرام الذي رسمه الإسلام أساسا وهـــذا يختلف عن مفهوم الغرب الذي يعتبر الديمقراطية تعطي السيادة في التشريع للشعب والأمة حيث أن السلطة في الديمقراطية هي للإنسان أما في الإسلام فإن الشارع هو الله تعالى وليس الإنسان حيث تبقى سلطات الإنسانية محكومة بحاكمية الله وحده.

والمعروف أن التشريع الإسلامي مرن واسع الأفـــق قـــابل للمســـتجدات والمتغيرات من فقه وتقنين يتمثل فيها سلطات الإنسان المحكومة بحاكمية الله.

يقول دكتور محمد عمارة : ولهذا التميز صلة وثيقـــة بنظـــرة كـــل مـــن الحضارتين الغربية والإسلامية لحدود تدبير الذات الإلهية وحدود وتدبير الإنســـان وللعلاقة بين الإنسان وبين الله تبارك وتعالى وتختلف هذه النظرة بين المنهجين ففي

الغرب تقوم العلمانية الغربية على المبدأ الإنجيلي الذي يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله فيفصل بين التدبير الإلهي وبين التدبير الإنساني.

حيث يقف التدبير الإلهي في نظرهم عن الخلق أما الإنسان فقـــد أعطـــي السيادة في تدبير العمران الدنيوي، ذلك أن الإنسان في هذه النظرية الغربية هو سيد الكون ومن هنا كانت له السيادة في التشريع والسلطة في التنفيذ.

أما في النظرة الإسلامية فإن الله تبارك وتعالى :[له الخلق والأمر] فتدبيره لا يقف عند الخلق فقط وإنما يمتد إلى الشريعة التي أنزلها لتكون إطارا لها وقـــد دعـــا الإنسان إلى الالتزام بإطارها في هذه الحياة ولأن النظرة الإسلامية لمكانة الإنسان في الكون لا تجعل هذا الإنسان سيدا للكون وإنما خليفة عن سيد الكون.

وإنه قد رسم له وسائل أداء أمانة الاستخلاف وعمـــارة الأرض في عـــهد الاستخلاف الذي هو الشريعة الإلهية ، إنه الإنسان في النظرة الإسلامية : حر قادر طليق مستطيع في حدود أنه خليفة عن الله تبارك وتعالى بلا حدود."

ولما كانت (الديمقراطية) كفكر وضعي وفلسفة دنيوية لا تمد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الإنسان بالمقاييس الدنيوية لهذا الصلاح على حـــين نجـــد (الشورى) كفريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة فتعطي الصـــلاح الدنيوي بعدا دينيا يتمثل في المعيار الديني لهذا الإصلاح.

ويتحدثون في الغرب عن أن الديمقراطية وجدت في عصرنا الحـــالي بـــين عدوين لدودين : هما الاشتراكية والقومية

ويقرر بربراند دوجوفيتل في مؤتمر رودس ١٩٥٨ أي أن مفـــهوم عـــادي وإقليمي للديمقراطية لا يصمد أمام أي اختبار انتقادي وأن حكومة الشعب مـــن أجل الشعب هي في التاريخ أسطورة أكثر منها حقيقة.

أما الإسلام فإنه يقرر في شأن مفهوم الشورى والعدل :

١- أن البشرية من أصل واحد وهي تنقسم إلى قبائل وأمم حتى تتفاهم ونحيا

٢- يشار على المؤمنين باستشارة بعضهم بعضا في الشئـــون الاجتماعيـــة وإلا يتخذوا قرارالهم بمعزل عن غيرهم.

٣- أن المفروض بالمسلمين أن يتحدوا كأخوة وان يحلوا المشاكل التي تنشـــب بينهم حلا سليما.

٤- يجب أن يكون جوهر الحياة الفردية والاجتماعية في الإســـلام : الإيمـــان والعمل الصالح.

٥- يدعو الإسلام إلى الأخوة والتعارف على أن يقوم كلاهما علـــى الفضيلـــة وليس على المصالح الأنانية.

٦- على المؤمنين أن يحب بعضهم بعضا وأن يعطف بعضهم على بعـــض وان يرشد بعضهم بعضا إلى الطريق المستقيم.

٧- أن يهبوا طوعا جزءا من ثرواقم للصالح العام.

٨- على الحكام والقضاة أن يحكموا بالعدل.

٩- على المسلمين أن يطيعوا الله ورسوله والمسئولين منهم.

وبالجملة فإن من محاسن الديمقراطية (أولا) أن نظام الحكم فيها بالاختيار وهذا موجود في الإسلام (ثانيا) ونظام الحكم ليس مورثا للحاكم وهذا أيضـــا في النظام الإسلامي (ثالثا) ويمكن بالديمقراطية مساءلة الحـــاكم وعزلـــه إذا أخطـــأ والقضاء فيها له قداسة وهذا أيضا ما حرص عليه الإسلام فالقضاء لحفظ كيـــان المجتمع من الانهيار (رابعا) نقطة الخلاف الوحيدة بينهما هو إباحة الديمقراطية لمـــا حرم الله تبارك وتعالى.

خاتمة

حقائق تضئ الطريق أمام تحرير المصطلحات

أولا : أن اكثر القواميس العامة والمتداولة حاليا تورد الألفاظ والتعابير الدينية في صيغة نصرانية أي ألها أصلا تستخدم في الدين النصراني و لم يجد المترجمون أمامهم سواها عندما ترجموا فانتشرت هذه الصيغة في ترجمات تفسير القرآن الكريم والحديث وكثير من كتب التعريف بالإسلام ومبادئه.

قال دكتور ايرفنج مترجم تفسير القرآن الكريم والعالم اللغوي الأمريكي: إن التعبيرات الدينية الأوربية تغلب على معانيها الصيغة النصرانية والكاثوليكية بوجه خاص.

فكلمة الزكاة – توضع بمعنى صدقة والصدقة تختلف عن الزكاة في الإسلام ويوجد poor box وهو الصندوق الذي يوضع قرب باب الكنيسة لجمع الصدقات وقد ترجم الزكاة بمعنى العشور tithes التي تدفع إلى الكنيسة.

كذلك فإن كلمة مسلم تترجم في قاموس المورد إلى (محمداني) والإسلام يترجم إلى (محمدايزم) فالمسلمون لا يقولون نحن محمديون ولكن مسلمون

وهناك عدد كبير من الكلمات غلبت عليها الصبغة النصرانية والواقع أن كلمات الغرب ومصطلحاته لا يمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية التي تومئ إليها ولا يمكن نقلها كما تنقل ألفاظ الاختراعات والعلوم.

أن هذه المصطلحات التي تحملها كتابات ابن عربي وغيره ليســـت هـــي مصطلحات الكتاب والسنة والسلف الصالح ولكنها مصطلحات دخيلـــة وافدة لم يعرفها المسلمون في الصدر الأول ، وهذه هي قاعدة التخـــالف بين منهج أهل السنة والجماعة وبين منهج ابـــن عـــربي وابـــن ســـيرين والحلاج.

وإذا كان شباب الإسلام المثقف يحاول أن يستزيد في الاقتناع لما عرضنا له في دراستنا عنهم فإن بين أيدينا من المصادر والمراجع والوثائق ما هـــو كفيل بإقناع النفوس الصافية وتأكيد إيمانها بالحقيقة الأولى.

* * *

يقول الأستاذ حسن الشرقاوي : إن تطبيق المفـــاهيم الغربيـــة وفـــرض مناهجها عسفا على الأمة الإسلامية في مجال العلوم الإنسانية هي عمليـــة غزو فكري يحمل في طياته أضرارا مادية وخلقية بالغة الخطورة

وتكمن خطورة العمل بالمصطلحات الغربية بديلا عن الإسلام وتطبيقها في مجالات العلوم الإنسانية في توجيه الفكر توجيها بعيدا عن القيم الـــتي تتبناها الأمة والمفاهيم التي تمثل ثقافتها ومثلها وأخلاقها.

ولاشك أن مفاهيم الغرب وفلسفاته تنبع من نظره مادية وعلمانية تفصل بين العلم والدين وتستقي أصولها من موقف إلحادي لا يعـــترف بـــالله (تبارك وتعالى ربا وخالقا)

وقد أصبح ترديد هذه المصطلحات بوعي أو بغير وعي أمرا مألوفا لـــدى غالبية المتعلمين ، الأمر الذي يشكل آثارا ضارة تبدو في عمليـــة التـــأثر

بالسلوك الأخلاقي الغربي ومن ثم في إتباع أسلوبهم في التفكير والمنهج والحياة.

ومن الضروري النظر إلى هذه المفاهيم الغربية نظرة الفاحص اللبيب لا نظرة المقلد ، وعلينا أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته في حجمها الطبيعي ونزنها بميزان الإسلام العدل ونقيسها على محك الشريعة الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال مالا يصلح منها بمصطلحات إسلامية أقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن أخلاقياتنا.

ثالثا : يجب أن نثق تماما بعد الأبحاث العديدة التي أجريت أن مقررات الفكر الغربي نسبية وليست مطلقة وخاصة بالغرب وليست عالمية ومتحيزة وليست موضوعية

فعلينا أن نأخذ النافع الذي لا يصطدم وقيم وتعاليم الإسلام ، ذلك أن ما وفد إلينا في القرنين الآخرين أدى إلى نوع من الانفصام شمل معظم المؤسسات الفكرية والتعليم والسياسة والاقتصاد.

رابعا : لا نصدق مقولة الغرب بأن العلم لا وطن له وانه تراث إنساني عام فقد تحولت المفاهيم العلمية التي قدمها الإسلام إلى انصهار كامل في بوتقة الفكر اليوناني الوثني القديم.

وان المصطلحات الغربية الوافدة كلها مرتبطة بالمفهوم المادي ولا تحمل مفهوما جامعا بين المادة والروح شأنها في الإسلام بل إنها تقدم الإبداع المادي على الرقي الأخلاقي.

فالمادة أولا وأخيرا

وتمثل هذه المصطلحات وجهات نظر خاصة للأفكار والمعتقدات قد توافق الحق أو تخالفه فهي لا تؤخذ قضية مسلمة.

خـــامســـــا : أن القواميس الغربية تمثل دورا سيئا في إضـــلال العقـــل العـــربي والمسلم خاصة في مجال العلوم الإنسانية التي تتمايز بهـــا الحضـــارات وتنفرد خصوصية حضارتنا في المعاني والمضامين والمفـــاهيم الروحيـــة والوجدانية والمرتبطة بعالم الغيب والوحي.

ســادســـا : إن المفاهيم الاقتصادية الغربية التي يتبناها ويقبلـــــها اقتصاديونـــا كمسلمات ويبنون عليها سياستهم ، إنها مفاهيم ليست علمية محايدة وليست ميراث الناس جميعا أو صالحة لكل المجتمعات والشعوب كما يزعم واضعوها فهي تحمل في طياتها بصمات حضارة معينة وتعبر عن مواقف أخلاقية وقيميه وميتافيزقية ليس لها أي صلة بالعلم.

ســابعـــا : فساد دعوى أن التفكير العلمي غير موجود لدى المسلمين والواقع أن المسلمين هم بناة المنهج العلمي و "التجريب" والبحـــــث العلمـــي الحديث يستمد مفاهيمه من الطريقة التي وضعـــها علمـــاء المســـلمين والقائمة على

عنصري (١) الملاحظة الموضوعية (٢) التجريـــب للحـــوادث والأشياء

وبهذا المعيار العلمي نجد أن التفكير لدى المسلمين هو تفكير علمـــي لا يخضع إلا لشروط البحث العلمي السليمة على حد يعتبر الدكتور عبـــد الحميد الهاشمي :

(١) أنه فكر موضوعي لا يصدق الخرافة.

(٢) أنه فكر يعتمد على الملاحظة الموضوعية طريقا للعلم واكتشافاته

(٣) أنه فكر يستخدم (التجريب) سبيلا إلى اكتساب
المعلومات واكتشاف القوانين العلمية
(٤) أنه فكر متواضع وفي أمين ذو أخلاق نبيلة
(٥) أنه فكر إنساني عالمي النزعة.

ثامنا : المصطلحات تمثل المفاتيح والمرتكزات الحضارية التي تبلور للأمة قواعد فهم منهج حياتها وسماتها ومقومات شخصيتها ومعالم رسالتها وتربط حاضرها بماضيها ومستقبلها وتعطيها المناعة والعلو بالحق على ما يدسه أعداء الأمة الإسلامية من تصورات وقيم ومعايير ناقصة.

ومن هنا يجب أن يتحقق في قواميس المصطلحات الإسلامية

١- ضرورة إبراز الهوية الإسلامية وريادتها فضلا عن حفظها.
٢- إظهار شمولية المصطلحات الإسلامية لدروب الحياة المادية والثقافية والروحية.
٣- رد الحق إلى أهله وبيان أسبقية المسلمين.
٤- لفت النظر إلى تراث المسلمين والدعوة إليه.
٥- الرد على الشبهات والمفتريات التي وجهت للمسلمين.

وبالجملة فأن علينا أن نقف في حذر إزاء المصطلحات التي يقدمها (التغريب) ويرمي بها إلى صهرنا في بوتقة الغرب المعاصر ويجب أن نفرق بين التغريب والمعاصرة وبين التحديث والتعريب فالمعاصرة أن تعيش الأمة العصر وتتجاوب معه بجوهر عقيدتها ومقوماتها.

وقد دفع الاستشراق إلى أفق الفكر الإسلامي اطروحات (القومية والإقليمية والعلمانية والديمقراطية والاشتراكية) وقد فشلت جميعها واحدة بعد واحدة ورفض الجسم الإسلامي الحي ، رفض العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل أطروحة مضللة والعودة إلى مفهوم الإسلام الجامع.

هامش : عملنا على الاستفادة من مختلف الأبحاث والدراسات التي تناولت المصطلحات واقتبسنا نصوصا من كتابات الباحثين أهـــل الأصالــة والإيمان الصادق وقد رغبت في ذلك لدعم قضيتنا الكبرى وهي تحرير فكرنا الإسلامي من التبعية للمصطلحات الغربية وكشف زيف التبعية نفسها.

أنور الجندي

الفهرس

رقم الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٧ /٢٢٢٧

الترقيم الدولي I.S.B.N.

٩٧٧-٥٥٠٢-٣٣-٠